

بَدَائِعُ الْبَدَائِعِ

جَمَعَ فِيهِ مُؤَلِّفُهُ أَخْبَارَ الشَّعْرَاءِ فِي الْبَدَائِعِ وَالْأَرْجَالِ
وَمُحَاسِنَ أَتْفَالِهِمْ فِي مَوَاطِنِ الْأَسْرَاعِ وَالْإِعْجَالِ
وَأُورَدَ مِنْهَا حِكَايَاتٌ لَمْ يُسَبِّحْ إِلَيْهَا

تَأَلَّفَتْ
جَمَالُ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ ظَا فَرِّ بْنِ حَسَنِ
الْأَزْدِيِّ الْخَزَرَجِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٦١٣ هـ

ضَبَطَهُ وَصَوَّغَهُ
مُصْطَفَى عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَا

Title: **BADĀ'Ī AL-BADĀ'ĪH**

(Wonders of spontaneity figures
in Arabic poetry)

Author: 'Ali ben Zāfir al-'Azdi

Editor: Muṣṭafa 'Abdul-Qādir 'Aṭa

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 280

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: بدائع البدائ

المؤلف: علي بن ظافر الأزدي

المحقق: مصطفى عبد القادر عطا

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 280

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-5247-5



9 00000

9 782745 152473

منشورات محمد باي دون بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد باي دون بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٨٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبعة، مبني دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف: ١١ / ٥٨٠٤٨١٠ - ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٥٨٠٤٨١٣ - ٩٦١ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف فى سطور

علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، أبو الحسن جمال الدين: وزير مصري، من الشعراء الأدباء المؤرخين، مولده ووفاته في القاهرة، ولي وزارة الملك الأشرف مدة، وصرف عنها، فولي وكالة بيت المال، ثم اعتزل الأعمال.

من كتبه: «الدول المنقطعة» أربعة أجزاء، قال ابن قاضي شهاب: وهو كتاب مفيد في بابه جدا، و«ذيل المناقب النورية» و«شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل» اختصره السيوطي وسماه «الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب» رسالة. و«أساس السياسة» و«أخبار ملوك الدولة السلجوقية» و«أخبار الشجعان» وغير ذلك. وشعره رقيق.

مولده سنة ٥٦٧ هـ ووفاته سنة ٦١٣ هـ.

ينظر ترجمته فى: فوات الوفيات (٥١ / ٢) وفيه : توفي سنة ٦٢٣ ، آداب اللغة العربية (٦٥ / ٣)، ومعجم المطبوعات (١٤٨)، والخزانة التيمورية (١٨٦ / ٣) وإرشاد الأريب (٢٢٨ / ٥) وفيه وفاته سنة ٦١٣. والشهاب الثاقب: مقدمة الناشر . ومعجم المؤلفين العراقيين (٤٢٥ / ٢) ومعجم المطبوعات (٤٥٩).

وكتاب «بدائع البدائ» سبق طباعته ونشره بمطبعة بولاق ومكتبة الأنجلو المصرية وطبع أيضا على هامش كتاب معاهد التنصيص فى مطبعة مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

اللهم أسبل علينا سترك الجميل، وأسبغ لدينا عطاءك الجزيل، وامنحنا رضاك الذى هو غاية التأميل، واكفنا سخطك الذى هو النهاية فى التنكيل، واحرسنا بعينك، وأيدنا بعونك، واكفنا بعزك، وصنا بجزرك، ووفقنا لذكرك، وأعنا على حمك وشكرك، فإنه لا توفيق إلا منك، ولا عون إلا بك، ولا صيانة إلا من عندك، ولا حراسة إلا لمن شملته عنايتك، ولا سعادة إلا لمن وسعته رحمتك.

اللهم إنك أمرت فعصينا، ونهيت فما انتهينا، وأضأت فما اهتدينا، وسنتت فما اقتدينا، وندبتنا إلى القرب منك فأبيننا، ثقة بأنك رءوف رحيم، واعتماداً على أنك لطيف حلیم، وسكوناً إلى أنك عطوف كريم، فلا تخيب فيك الظن، ولا تكذب فيك الأمل، ولا تقطع أسباب الرجاء، ولا تكلنا إلى إقامة الحجة فإنها داحضة، ولا إلى بسط المعذرة فإنها قاصرة، وشفع فينا خاتم أنبيائك الذى هو سيدهم حقاً، وآخرهم بعثاً، وأولهم خلقاً، محمداً الذى شرفت قدره، وشرحت بالنور صدره، ورفعت ذكره، وأذهبت عسره، وأثبت يسره، وملأت بالنور سره وجهه، وصلّ عليه صلاة تزيده نوراً على نور، وتهدى لروحه الروح والسرور، واجعلها لنا تجارة لن تبور، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، ورجوم الردى، وسلم تسليمًا، وبعد:

فقد كنت فى صدر عمرى وبدء أمرى نشطت لجمع أخبار الشعراء فى البدائه والارتجال، ومحاسن أشعارهم فى مضايق الإسراع والإعجال، وسجعت منها حكايات لم يرقمها فى الطرس بنان، ولم يطمثها قبلى إنس ولا جان، فأوقفت عليها صدر ذلك الزمان، وسيد فضلاء ذلك الأوان، السيد الأجل الفاضل أبا على عبد الرحمن بن الحسن البيسانى رحمه الله تعالى، فحثنى على الازدياد منها، والتطلب لها، والبحث عنها، فاجتمع من ذلك جزء أحكمت تربيته، وهذبت تبويبه، وسميته «بدائع البدائه»، ورتبت الأخبار فى كل باب منه على ترتيب الأعصار، وأعلمت كل حكاية أنا ناظم دررها، وناثر جوهرها، ومؤلف كلامها، ومثقف قوامها، كانت مسندة مسلسلة، أو مهملة مرسلة، بأن قلت بما هذا معناه، وكل حكاية لى فيها عمل شعر، أو اشتراك مع

بعض الشعراء، اقتصر في إعلامها على ذكر اسمي فقط، وإن كانت مسجوعة فسجعها مما وشى خاطري وشائعه، وأبدى بدائعه.

فلما رأى ما اجتمع منه سرُّ به واغتبط، وأكرم نزله فارتبط، وشرفني على صغر سني ونضارة غصني بأن أُنسخه لخزائنه، وحباه بحفظه وصيانتة، ولم يزل ذلك الجزء عني منسى الذكر، وعندى خامل القدر، حتى مثلت بالجانب العالي المكي الأشرفي - أعز الله سلطانه - في سنة ثلاث وستمائة، وذلك قبل أن أتمسك بمجبله، وآوى إلى ظله، فجرى في مجلسه ذكر هذا الجزء، فحسن من خاطره موضعه، وجل عنده موقعه، فرسم لي نقله.

وقد كنت في زمن فتوتى جمعت أخباراً كثيرة قارب حجم الجزء الأول مجموعها، وفاق على كثير منه مسموعها، فجمعت شمل الطارف بالتليد، والقديم بالجديد، وأنفذت به إليه، وأوفدته عليه.

ثم إننى بعد ذلك التقطت فرائد لم تظفر بمثلها الأسماط، ووشائع لم تغز بشبهها الأسفاط، وبدائع لم يلق بقدرها الإغفال، وغرائب لم يجز بجمعها الإهمال، فدعتنى النفس الطموح إلى أن أنثر ذلك النظام، وأهصر ذلك القوام، وأضم شمل هذه الفرائد الجنية القطاف، المقومة الثقاف، إلى تلك الفرائد المنتظمة العقود، المنمنمة البرود، وجعلت أفكر في ضعف الغرائز البشرية، والجلبات الإنسانية، ورغبتها أبداً في الزيادة، وحرصها على بلوغ الغاية، واغتيابها بالشئ حتى إذا حصلت وظفرت به، وأنشبت مخالبها فيه مالت إلى الملل، وخلقت لسأته العلل، وطلبت ما يرتفع عنه، وسخطت ما كانت رضيته منه، ونفسى تهون خطب التنقل، وصعب التبدل والتحول، وترغب في تميم الناقص، وجمع المتفرق، وضم المنتشر المتبدد، وتقول: لا بد لكل ثانية من ثالثة، وتعد بأنها لا تعود في قد هذه العزيمة نافثة، وتنشد قول القائل:

ولربما نثر الجمان تعمداً ليعود أحسن في النظام وأجمل

وتقيم العذر بأن تلك النسخة وقعت بين سمع الأرض وبصرها، حيث لم يوقف على أثرها، ولم يسمع بخبرها، وضاعت بين الباب والطاق، ولم تظفر بقبول ولا نفاق، ولو كانت حصلت في الخزائن المولوية السلطانية الملكية الكاملية الناصرية، شرفها الله، لتوشحت صدور مجالسه بعقودها، وتزينت معاطف مذاكرته ببرودها، ولدارت كتوسها، وجلبت عروسها، ولأشرقت زواهرها، وعبقت أزاهرها، ولسارت شواردها، وطار

أوابدها، كيف لا والفضل بمجلسه قد طنب خيامه، وشق كمامه، وأسكب غمامه، وأفغم رياضه، وأفعم حياضه، وهو - أدام الله أيامه - ولى العهد ووارث الملك، وواسطة السلك، وهو الذى سارت قصائدك إليه، وأحلتك آمالك فيه لديه، فعلى بابيه تخرجت، ومنه تدرجت، وإليه لما نبت بك البلاد عرجت، فرجعت إلى الجنب العالى، الذى أطلع هلالك حتى صار بدرًا، وأجرى جدولك حتى عاد نهرًا، ورأيت منه ملكًا إلا أنه بشر، وأسداً إلا أنه قمر، وبجرًا إلا أنه يسطو من سيفه بنهر، ولقيت منه بحر العطاء الذى بزخر مده، وليث السطاء الذى يحذر شده.

فحين ظهرت غرر هذا الحق وأوضاحه، وأنار مصباحه بل إصباحه، ضم المملوك جميع ما حصله من بدائع البدائه أولاً وفرطاً، وآخرًا ووسطاً، ورتب الجميع على الشرط الأول من ترتيب الحكايات والأخبار، على ترتيب الأعصار، إلا ما يقتضى تقديمه فرط مشابهة ومشاكلة، وزيادة مقاربة ومماثلة، وهو فن لم يجمعه قبلى أحد، ولا سطرته قبل يدي يد، وقد حمل منه المملوك منه الفذ فى فنه إلى الفذ فى سلطانه، والغريب فى حسنه إلى الغريب فى إحسانه.

وجملة ما فى هذا الكتاب لا تعدو ما فى خمسة أبواب:

الباب الأول: فى بدائع بدائه الأجوبة.

الباب الثانى: فى بدائع بدائه الإجازة.

الباب الثالث: فى بدائع بدائه التمليط.

الباب الرابع: فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد.

الباب الخامس: فى بقية بدائع البدائه.

ولا بد من مقدمة فصلين قبل سياقة الأبواب:

أحدهما: فى اشتقاق البديهة والارتجال.

والثانى: فى الفرق بينهما.

الفصل الأول

فى اشتقاق البديهة والارتجال

الارتجال مأخوذ من الانصباب والسهولة، ومنه قيل: شعر رجل، إذا كان سبطاً غير جعد، ومسترسلاً غير منقبض.

وقيل: من ارتجال البئر، وهى أن ينزلها الرجل برجليه من غير حبل، فكأنهم شبهوا اقتدار الشاعر على القول من غير فكرة ولا أهبة باقتدار نازل البئر على النزول من غير حبل ولا آلة.

والبديهة مشتقة من بده يده، بمعنى بدأ يبدأ، أبدلوا الهمزة هاء لقربها منها، كما قال: «لهنك»، بمعنى «لأنك»، وكما أبدلوا الحاء أيضاً بالهاء، لقربها منها، فقالوا: مدح ومدّه.

واشتقاق الارتجال والبديهة - وإن كانا متقاربين - إلا أن أهل هذه الصناعة ميزوا كل واحد منهما عن الآخر بما سنذكره فى الفصل الثانى.

* * *

الفصل الثانى

فى الفرق بينهما

الارتجال هو أن ينظم الشاعر ما ينظم فى أوحى من خطف البارق، واختطاف السارق، وأسرع من التماح العاشق، ونفوذ السهم المارق، حتى يخال ما يعمل محفوظاً أو مرئياً ملحوظاً، من غير حاجة إلى كتابة ولا تعلل بتقفية، وتنفرد عند ذلك قضية الحال باختراع الوزن والقافية، وهم الشهود العدول الذين يجب الرجوع إليهم، ولا يجوز العدول بالشهادة على استطاعته، وأن ذلك المنظوم ابن ساعته.

والبديهة أن ينزل عن هذه الطبقة قليلاً، ويفكر مقصراً لا مطيلاً، فإن أطال ذو البديهة الفكرة انعكست القضية، وخرجت من حد البديهة إلى حد الروية، وعند ذلك تقصر نهضة الاعتذار عن بلوغ ذلك المقدار، إذ المرتجل والبادء يقنع منهما بالردىء اليسير، ولا يقنع من المروى إلا بالجيد الكثير، وكفاك فى ذكرهما قول ابن المعتز:

القول بعد الفكر يؤمن زيغه شتان بين روية وبديهة

وقول ابن جريج:

نار الروية نار جد منضجة وللبيهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها لكنه عاجل يمضى مع الريح

وحسبك بهرب إمام الشعراء وفاتكهم من البيهة، فما ظنك بالارتجال. وإذا كان
عبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج يوم النهروان يقول - وهو البدوي الفصيح
والعربي الصريح -: إياكم والرأى الفطير، والكلام القضيبي، يقول هذا في مطلق
الكلام، وهو غير مقيد بوزن ولا قافية، فكيف الظن بالمقيد منهما. لعمري إنه لمقام يجين
فيه الشجاع، ويكذب فيه رائد الفكر في طلب الانتجاع.

* * *

الباب الأول

فى بدائع بدائه الأجوبة

١ - فمن ذلك ما أخبرنى به الشيخ الفقيه الأجل أبو محمد عبد الخالق بن زيدان المسكى - وكتب لى بخطه - قال: أملى على الشيخ العلامة أبو محمد بن برى - رحمه الله - قال: لقى عبيد بن الأبرص امرأ القيس، فقال له عبيد: كيف معرفتك بالأوابد؟ فقال: ألق ما أحببت، فقال عبيد:

ما حبة ميمة أحيت بميتها درداء ما أنبتت سنا وأضراسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرة تسقى فى سنايلها فأخرجت بعد طول المكث أكداسا
فقال عبيد:

ما السود والبيض والأسماء واحدة لا يستطيع لهن الناس تمساسا
فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها روى بها من محول الأرض أيباسا
فقال عبيد:

ما مرتجاة على هول مراكبها يقطعن طول المدى سيراً وإمراسا
فقال امرؤ القيس:

تلك النجوم إذا حانت مطالعها شبهتها فى سواد الليل أقباسا
فقال عبيد:

ما القاطعات لأرض لا أنيس بها تأتى سراعاً وما ترجعن أنكاسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الرياح إذا هبت عواصفها كفى بأذيالها للترب كناسا
فقال عبيد:

ما الفاجعات جهاراً فى علانية أشد من فيلق مملوءة باسا

فقال امرؤ القيس:

تلك المنايا فما يبقين من أحد يكفتن حمقى وما يبقين أكياسا
فقال عبيد:

ما السابقات سراع الطير فى مهل لا تستكين ولو ألجمتها فاسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الجياد عليها القوم قد سبخوا كانوا لهن غداة الروع أحلاسا
فقال عبيد:

ما القاطعات لأرض الجو فى طلق قبل الصباح وما يسرين قرطاسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الأمانى تتركّن الفتى ملكا دون السماء ولم ترفع به راسا
فقال عبيد:

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر ولا لسان فصيح يعجب الناسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الموازين والرحمن أنزلها رب البرية بين الناس مقياسا
٢ - ومثل هذا وإن تفاوت ما بين الأعصار، ولم يكن من باب الألغاز، ما ذكر أن
الشريف أبا جعفر مسعود بن الحسن العباسى - وهو من ولد العباس - بن محمد بن
على بن عبد الله بن العباسى ويعرف بالبياضى - كان يتعشق قينة ببغداد اسمها بدور،
وتعرف بجارية بنت الملك، وفيها يقول:

شكا القلب ظلمته فى الحشى إلى فأسكنت فيه بدورا
وكانت تنزل ببغداد فى القطيعة، فاجتمع يوماً هو وأبو تراب هبة الله بن السريجي -
وكان شاعراً - فقال بديهاً يخاطب الشريف:

أسلوت حب بدور أم تتجلد وسهرت ليلك أم جفونك ترقد
فقال الشريف بديهاً:

لا بل هم ألفوا القطيعة مثلما ألفوا نزولهم بها فتبعدوا

فقال أبو تراب:

فإلام تصبر والفؤاد متيم ولظى اشتياقك فى الحشى يتوقد
فقال الشريف:

ما دام لى جلد فلست بجازع إذ كان صبرى فى العواقب يحمد
فقال أبو تراب:

أحسن كتمان الهوى مستحسن لو كان ماء العين مما يجمد
فقال الشريف:

إن كان جفنى فاضحى بدموعه أظهرت للجلساء أنى أرمد
فقال أبو تراب:

فهب الدموع إذا جرت موهتها فيقال لم أنفاسه تتصعد
فقال الشريف:

أمشى وأسرع كى يظنوا أنها من ذلك المشى السريع تولد
فقال أبو تراب:

هذا يجوز ومثله مستعمل لكن وجهك بالحبة يشهد
فقال الشريف:

إن كان وجهى شاهداً بهوى فما يدرى إلى من بالحبة أقصد
فقال أبو تراب:

قد رجم الناس الظنون وأجمعوا أن التى ذكرت إليها المقصد
فقال الشريف:

لو يجمعون كما زعمت لما رووا لى فى سواها ما نظمت وأنشدوا
فقال أبو تراب:

قد كان حبك غيرها متحققا والأمر يحدث والهوى يتجدد
فقال الشريف:

حققت حبى غيرها وجعلتها مظلونة ذا كله لى جيد

فقال أبو تراب:

لو لم تقل ألفوا القطيعة جاز أن تنفى به بدر التمام وتجدد
فقال الشريف:

ما قلت لى جلد نفيت به الهوى عنى ولكن قلت فى تجلد
فقال أبو تراب:

فىلى متى هذا وطرف رقيبها مغض وطيف خيالها متردد
فقال الشريف:

أنا دائبا أبغى الوصال فإن أبت منه على عادتها فساءجد
فقال أبو تراب:

اخضع وذلل لمن تحب فليس فى حكم الهوى أنف يشال ويعقد
فقال الشريف:

ذا لا يكون مع الحبيب وإنما مع ساقط متحيل يستعمد

٣ - أنبأنى الشيخان الأجل العلامة تاج الدين أبو اليمان زيد بن الحسن الكندى،
والشيخ جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى المعروف
بابن الحرستانى قاضى دمشق الآن - أيدهما الله تعالى - إجازة، قالوا: أخبرنا الشيخ
الفقيه الإمام الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى قراءة
عليه - ونحن نسمع - قال: أخبرنا أبو السعادات أحمد بن أحمد بن عبد الواحد
المتوكلى، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو عبد الله بن أبى الفتح الفارسى، حدثنا
محمد بن حميد الخراز، أخبرنا الصولى، حدثنى أبو الفضل بن غلدة بن أبان، حدثنا
إسحاق الموصلى، قال: حدثنا الأصمعى، قال: أول ما تكلم به النابغة - يعنى الذبيانى
- من الشعر، أنه حضر مع عمه عند رجل، وكان عمه يحب أن يحاضر به الناس،
ويخاف أن يكون عيباً، فوضع الرجل كأساً فى يده، وقال:

تطيب نفوسنا لولا قذاها ونحتمل الجليس على أذاها
فقال النابغة:

قذاها أن صاحبها يخيل يحاسب نفسه بكم اشترها

٤ - ومن ذلك ما روى أن جريراً دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدى بن الرقاع العاملى - ولم يكن جرير رآه قبل ذلك - فقال الوليد: أتعرف هذا يا جرير؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: هو ابن الرقاع، فقال جرير: شر الثياب الرقاع، فممن هو؟ قال: هو رجل من عاملة، فقال جرير: هو من الذين قال الله فيهم: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٣، ٤]، قال: ويلك يا ملعون، فأنشأ جرير يقول:

يقصر باع العاملى عن الندى ولكن أير العاملى طويل
فابتدر عدى فقال:

أأمك يا ذا أخبرتك بطوله أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول
فقال جرير: امرؤ لم أدر كيف أقول، فوثب عدى فأكب على رجل الوليد يقبلها ويقول: أجرنى منه يا أمير المؤمنين، فالتفت الوليد إلى جرير، وقال: وتربة عبد الملك لئن هجوته لأجمنك ولأسرحن عليك ولأطيفنك بدمشق، فيعيرك الشعراء بذلك، فخرج جرير فصنع قصيدته التى أولها:

حى الهدملة من ذات المواعيس فالحنو أصبح قفراً غير مأنوس
افتخر فيها بنزار وعدد أيامهم، وهجا قحطان، وعرض بعدى ولم يسمه، فقال:
أقصر فإن نزاراً لا يفاخرهم فرع لئيم وأصل غير مغروس
وابن اللبون إذا ما لز فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

٥ - ومن ذلك ما رواه عوانة بن الحكم، ويحيى بن عنبسة القرشى، قالوا: اجتمع جرير والفرزدق عند بشر بن مروان، فقال لهما: إنكما قد تقارضتما الأشعار، وتطالبتما الآثار، وتقاولتما الفخار وتهاجيتما، فأما الهجاء فلا حاجة لى فيه، ولكن جددا بين يدى فخرًا، ودعا ما مضى، فقال الفرزدق:

نحن السنام والمناسم غيرنا ومن ذا يسوى بالسنام المناسما
فقال جرير:

على مقعد الأستاذ أنتم زعمتم وكل سنام تابع للغلاصم
فقال الفرزدق:

على محرث للفرث أنتم زعمتم ألا إن فوق الغلصمات الجماجا

فقال جرير:

وأنبأتمونا أنكم هام قومكم ولا هام إلا تابع للخراطم
فقال الفرزدق:

فنحن الزمام القائد المقتدى به من الناس ما زلنا فلسنا لهما
فقال جرير:

فنحن بنو زيد قطعنا زمامها فتاهت كسار طائش الرأس عارم
فقال بشر: يا جرير غلبته بقطعك الزمام وذهابك بالناقة، ثم أحسن جائزتهما،
وفضل جريراً.

٦ - ومن ذلك ما ذكره ابن سلام فى طبقات الشعراء، قال: اجتمع جرير
والفرزدق والأخطل فى مجلس عبد الملك، فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار، وقال
لهم: ليقبل كل منكم بيتاً فى مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس، فبدر الفرزدق فقال:

أنا القطران والشعراء جربى وفى القطران للجربى شفاء
فقال الأخطل:

فإن تك زق زاملة فإنى أنا الطاعون ليس له دواء
فقال جرير:

أنا الموت الذى أتى عليكم فليس لهارب منى نجاء
فقال عبد الملك: خذ الكيس، فلعمري إن الموت أتى على كل شيء.

٧ - ومن ذلك ما روى أن جريراً اجتمع مع الفرزدق فى مجلس عبد الملك، فقال
الفرزدق: النوار بنت مجاشع طالق ثلاثاً إن لم أقل بيتاً لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه
أبداً، ولا يجد فى الزيادة عليه مذهباً، فقال عبد الملك: ما هو؟ فقال:

فإنى أنا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله
وما أحديا ابن الأتان بوائل من الموت إن الموت لا شك نائله

فأطرق جرير قليلاً ثم قال: أم حرزة طالق منه ثلاثاً إن لم أكن نقضته وزدت عليه،
فقال عبد الملك: هات فقد والله طلق أحدهما لا محالة، فأنشد:

فى بدائع بدائه الأجوبة ١٧

أنا البدر يعشى نور عينيك فالتمس بكفيك يا ابن القين هل أنت نائله
أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئاً يطاوله

فقال عبد الملك: فضلك والله يا أبا فراس، وطلق عليك، فقال الفرزدق: فما ترى
أمير المؤمنين؟ فقال: وأيم الله لا تريم حتى تكتب إلى النوار بطلاقها، فتأني ساعة،
فزجره عبد الملك، فكتب بطلاقها، وقال فى ذلك:

ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقه نوار
وكانت جتنى فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت يدى ونفسى لكان لها على القدر الخيار

٨ - وقد أفضى الحال إلى ذكر خبر الكسعى الذى تمثل به الفرزدق فى الندامة، إذ
الحديث شجون، واللسان غير مسجون، وهو أنه خرج يرعى إبلاً له فى واد فيه حمض
وشوحط، فرأى قضيب شوحط نابتاً فى صخرة صماء ملساء، فقال: نعم منبت العود
فى قرار الجلمود، ثم أخذ سقاه فصب ما كان فيه من ماء فى أصله، فشربه لشدة
ظمئه، وجعل يتعاهده بالماء سنة حتى سبط العود ويسق واعتدل فقطعه، وجعل يقومه
ويقوم أوده حتى صلح، فبراه قوساً وهو يرتجز ويقول:

أدعوك فاسمع يا إلهى جرسى يا رب سددنى لنحت قوسى
وانفع بقوسى ولدى وعرسى فإنها من لذتى لنفسى
أنحتها صفراء لون الورس صلداء ليست كقوسى النكس

ثم برى بقيته خمسة أسهم وهو يرتجز ويقول:

هن لعمرى خمسة حسان يلذ للرامى بها البنان
كأنما قوامها ميزان فأبشروا بالخصب يا صبيان
إن لم يعقنى الشؤم والحرمان أو يرمنى بكيده الشيطان

ثم أخذ قوسه وأسهمه، وخرج إلى مكمن كان مورداً لحمر فى الوادى، فوارى
شخصه حتى إذا وردت رمى عيراً منها بسهم، فمرق منه بعد أن أنقذه، وضرب صخرة
فقدح منها ناراً، فظن أنه قد أخطأ، فقال:

أعوذ بالله العزيز الرحمن من نكد الجدد معاً والحرمان

فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم وردت حمر أخرى فرمى عيراً فصنع سهمه كالأول وظنه خطأ، فقال:

أعوذ بالرحمن من شر القدر أأخطأ السهم لإرهاف الوتر
أم ذاك من سوء احتيال ونظر وإننى عهدى لرام ذو ظفر
مطعم بالصيد فى طول الدهر

ثم وردت حمر أخرى، فرمى عيراً منها بسهم ففعل سهمه كالأول وظنه خطأ، فقال:

يا حسرتا للشؤم والجدة النكد قد شفىنى القوت لأهلى والولد
والله ما خلفت فى ذاك العمدة لصعبتى من سبد ولا لبد
أذهب بالحرمان مع طول الأمد
ثم وردت أخرى حمر أخرى، فصنع كالأول، فقال:

ما بال سهمى يوقد الجباحبا وكنت أرجو أن يكون صائبا
إذ أمكن العير وأبدى جانباً وصار ظنى فيه ظناً كاذبا
وخفت أن أرجع يومى خائبا إذ أفلتت أربعة ذواهباً
ثم وردت أخرى فصنع كالأول، فقال:

أبعد خمس قد حفظت عدها أحمل قوسى وأريد ردها
أخزى الإله لينها وشدها والله لا تسلم عندى بعدها
ولا أرجى ما حيت ردها قد أعذرت نفسى وأبليت جهدها

ثم خرج من مكمنه، فاعترضته صخرة، فضرب بالقوس عليها حتى كسرها، ثم قال: أبيت ليلتى، ثم أتى أهلى، فبات، فلما أصبح رأى خمسة حمر مصرعة، ورأى أسهمه مضرجة بالدم، فندم على ما صنع، وعض على أنامله حتى قطعها وقال:

ندمت ندامة لو أن نفسى تطاوعنى إذاً لقتلت نفسى
تبين لى سفاة الرأى منى لعمر الله حين كسرت قوسى
وقد كانت بمنزلة المفدى لدى وعند صبيانى وعرسى
فلم أملك غداً رأيت حولى حمير الوحش أن ضرجت خمسى
وقد روى فى طلاق الفرزدق غير هذا، وليس هذا موضع ذكره.

٩ - وروى الحاتمى فى كتاب حلية المحاضرة وغيره، قال: خرج جرير والفرزدق من العراق طالبى الرصافة لهشام بن عبد الملك وقد مدحاه، فلما كانا ببعض الطريق نزل جرير ليبول، فتلفت ناقة الفرزدق، فضربها بالسوط وقال:

علام تلفتين وأنت تحتى وخير الناس كلهم أمامى
متى تردى الرصافة تستريحى من الأنساع والدبر الدوامى

ثم قال لرواتها: الساعة يحىء ابن المراغة، فأنشده البيتين، فينقضهما بأن يقول:

تلفت إنها تحت ابن قين إلى الكيرين والفأس الكهام
متى ترد الرصافة تحز فيها كخزبك فى المواسم كل عام

فرجع جرير فوجد القوم يضحكون، فقال: ما الخبر؟ فقال أحد الرواة: يا أبا حرزة، إن أخاك أبا فراس وقع له كيت وكيت، وأنشده البيتين الأولين، فارتجل البيتين الآخرين، فعجب القوم من ذلك الاتفاق، وقالوا: والله يا أبا حرزة لهكذا زعم أنك تقول، فقال: أو ما علمتم أن شيطاننا واحد.

١٠ - وروى أن معن بن أوس المزنى كان قد قدم البصرة وجلس بالمربد ينشد الناس، فوقف عليه الفرزدق، وقال: يا معن، من الذى يقول:

لعمرك ما مزينة رهط معن بأخفاف يطآن ولا سنام
فقال معن: هو الذى يقول:

لعمرك ما نعيم أهل فلج بأرداف الملوك ولا كرام
فقال الفرزدق: حسبك، فإنما جربتك، فقال: قد جربت وأنت أعلم، فانصرف عنه الفرزدق.

١١ - وروى فى مثل هذا أن خلف بن خليفة الشاعر كان قد سرق، فقطعت يده، فصنع كفًا وأصابع من جلود، واتفق أن مر بالفرزدق فى بعض الأيام، فأراد العبث به، فقال: يا أبا فراس، من القائل:

هو القين وابن القين لا قين مثله لفتح المساحى أو لجدل الأدهم
فقال الفرزدق: هو الذى يقول:

هو اللص وابن اللص لا لص مثله لنقب جدار أو لطر دراهم

فانصرف مخزياً.

١٢ - وروى لنا عن عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - أنه قال: كنت فى مجلس عبد الملك والأخطل ينشده، إذ دخل الجحاف بن حكيم السلمى، فقطع الأخطل إنشاده والتفت إليه وقال:

ألا سائل الجحاف هل هو نائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر
قال: فنفض الجحاف يده فى وجهه وقال:

نعم سوف ننكيهم بكل مهند وننكى عميراً بالرماح الشواجر
وكان ذلك عقب مقتل عمير بن الحباب، ثم قال: لقد ظننت - يا ابن النصرانية - أنك لا تجسر علىّ بهذا القول، ولو وجدتني أسيراً فى يدك، فما برح الأخطل حتى حم، فقال له عبد الملك: أنا جارك منه، فقال: هبك أجزتني منه يقظة، فمن يجيرنى منه مناماً، فضحك عبد الملك. قال على بن ظافر: وجرى هذا القول يوم البشر على تغلب.

١٣ - ومن ذلك ما رواه أبو عبيدة وابن عائشة من سؤال عبد الملك بن مروان عمر بن أبى ربيعة المخزومى عن مناقضته للفضل بن العباس اللهبى، وغلبة الفضل عليه، فقال عمر: نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعة من قريش إذ دخل علينا الفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب، فوافقنى وأنا أتمثل بهذا البيت:

وأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليس بها هشام
فأقبل علىّ وقال: يا أخا بنى مخزوم، إن بلدة نتج بها عبد المطلب، وبعث منها رسول الله ﷺ، واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة ألا تقشعر لهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قول الذى يقول:

إنما عبد مناف جوهر زين الجوهر عبد المطلب
فأقبلت عليه وقلت: يا أخا بنى هاشم، وإن أشعر من صاحبك الذى يقول:

إن الدليل على الخيرات أجمعها أبناء مخزوم للخيرات مخزوم
فقال: أشعر والله من صاحبك الذى يقول:

جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها إذ أم هاشم لا أبناء مخزوم
فقلت فى نفسى: غلبنى والله، ثم حملنى الطمع فى انقطاعه على مخاطبتى، فقلت:

بل أشعر منه الذى يقول:

أبناء مخزوم الحريق إذا حركت نيرانه ترى ضرما
يخرج منه الشرار مع هب من حاد عن حره فقد سلما
فوالله ما تلثم إلى أن أقبل بوجهه وقال: أشعر من صاحبك يا أخا بنى مخزوم الذى
يقول:

هاشم بحر إذا همى وطمى أخذ حر الحريق واضطرمما
واعلم وخير المقال أصدقه بأن من رام هاشما هاشما
فقال: يا أمير المؤمنين، فتمنيت والله أن الأرض ساخت بى، ثم تجلدت وقلت: يا
أخا بنى هاشم، أشعر من صاحبك الذى يقول:

أبناء مخزوم أنجم طلعت للناس تجلو بنورها الظلما
تجود بالنيل قبل تسأله جوداً هنيئاً وتضرب البهما
فأقبل على أسرع من البرق، وقال: أشعر من صاحبك وأصدق الذى يقول:
هاشم شمس بالسعد مطلعها إذا بدت أخفت النجوم معا
اختار منها ربي النبى فمن قارعنا بعد أحمد قرعا
فاسودت الدنيا فى عيني، وأدبر بى، وانقطعت فلم أحر جواباً، فقلت: يا أخا بنى
هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله ﷺ، فما تسعنا مفاخرتك، فقال: كيف لا أم
لك، والله لو كان منك لفخرت به على، فقلت: صدقت وأستغفر الله، والله إنه لموضع
الفخر ﷺ. وداخلنى السرور لقطعه الكلام، ولثلا ينالنى عجز عن إجابته فأفتضح، ثم
إنه ابتدأ المناقضة فأفكر هنيهة، ثم قال: قد قلت فلم أجد بداً من الاستماع، فقلت:
هات، فقال:

نحن الذين إذا سما لفخارهم ذو الفخر أفعده الزمان القعدد
فافخر بنا إن كنت يوماً فاخراً تلق الألى فخروا بفخرك أفردوا
قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر منا المبارك ذو الرسالة أحمد
ماذا يقول ذوو الفخر هنا لكم هيهات ذلك هل ينال الفرقد
فحصرت وتبلدت وقلت: لك عندى جواب فأنظرنى، وأفكرت ملياً، ثم أنشأت

لا فخر إلا قد علاه محمد فإذا فخرت به فإنى أشهد
 أن قد فخرت وفقت كل مفاخر وإليك فى الشرف الرفيع المعمد
 ولنا دعائم قد بناها أول فى المكرمات جرى عليها المولد
 من رامها حاشا النبى وأهله بالفخر غطمطه الخليج المزيـد
 دع ذا روح لغناء خود بضـة مما نطقـت به وغنى معبد
 مع فتية تندى بطون أكفهم جوداً إذا علج الحرون الأنكد
 يتناولون سلافة عانية لذت لشاربها وطاب المقعد

فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجباني بجواب كان أشد على من الشعر، فقال: يا أبا بنى
 خزم، أريك السها وترينى القمر. قال أبو عبد الله اليزيدى: يريد: أدلك على الأمر
 الغامض وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح، وهو مثل. ثم قال: تخرج من المفاخرة إلى
 شرب الخمر المحرمة، فقلت له: أما علمت - أصلحك الله - أن الله تعالى يقول فى
 الشعراء: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]، فقال: قد صدقت، وقد
 استثنى الله عز وجل قوماً منهم فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا
 اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فإن كنت منهم فقد دخلت فى الاستثناء واستحققت
 العقوبة بدعائك إليها، وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عز وجل عليك أعظم من شرب
 الخمر، فقلت: أصلحك الله، لا أرى للمستجدى شيئاً أعظم من السكوت، فضحك
 وقال: أستغفر الله، ثم قام عنى، فضحك عبد الملك حتى كاد يموت، ثم قال: يا ابن أبى
 ربيعة، أما علمت أن لبنى عبد مناف السنة لا تطاق، ثم قضى حوائج عمر وصرفه.
 قال على بن ظافر: وأحسب الحكاية مصنوعة؛ لأن أشعارها ضعيفة.

١٤ - وروى ورقاء العامرى أن الحجاج قال لليلى الأخيلية لما وفدت عليه: إن
 شبابك قد هرم فولى، واضمحل أملك وأمر توبة بن الحمير، فأقسم عليك إلا ما
 صدقتنى، هل كان بينكما ريبة قط، أو خاطبك فى ذلك قط؟ فقالت: لا والله أيها
 الأمير، إلا أنه قال لى مرة كلمة فيها بعض الخضوع فقلت له:

وذى حاجة قلنا له لا تبج بها فليس إليها ما حييت سبيل
 لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليـل

فلا والله ما سمعت بعدها منه نغمة فيها ريبة حتى فرق الموت بيننا، فقال لها الحجاج: فما كان منه بعد ذلك؟ فقالت: وجه صاحباً له إلى حاضرنا فقال: إذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل، فاعل شرفاً، ثم اهتف بهذا البيت:

عفا الله عنها هل أبين ليلة من الدهر لا يسرى إلى خيالها
فلما فعل الرجل ذلك، عرفت المعنى فقلت له:

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه عزيز علينا حاجة لا ينالها
١٥ - ومن ذلك ما روى أبو صالح الفزارى، قال: أقبل شقران مولى سلامان من البصرة بتمر قد امتاره، فلقى ابن ميادة الرياح بن أبرد، فقال: ما هذا الذى معك؟ قال: تمر امرته لأهلى يقال له: زُبّ رباح، فقال ابن ميادة:

كأنك لم تقفل لأهلك مرة إذا أنت لم تقفل بزب رباح
فقال شقران:

فإن كان هذا زبه فانطلق به إلى نسوة سود الوجوه قباح
فغضب ابن ميادة، وانحنى عليه بالسوط يضربه، ثم انصرف مغضباً.
١٦ - وكان المغيرة بن حبناء يهاجى زياداً الأعجم العبقسى، وكان بالمغيرة وضح، فقال فيه زياد يصف بياضه:

عجبت لأبيض الخصبين عبد كأن عجانه الشعرى العبور
فقيل له: يا أبا أمامة لقد شرفته، ورفعت من قدره، إذ تقول كأن عجانه الشعرى، فقال: أو هكذا ظنكم، لأزيدنه شرفاً ورفعة، ثم صنع فيه من قطعة، فقال:

لا تبصر الدهر منهم خارئاً أبداً إلا وجدت على باب استه قمرا
١٧ - واتفق أنهما اجتمعا يوماً بمجلس المهلب، فجرى بينهما مهاترة، فقال المغيرة لزياد:

أقول لخ وأنكر بعض ما بى ألم تعرف رقاب بنى تميم
فقال زياد:

بلى لعرفتهن مقصرات جباه مذلة وسبال لوم
فانقطع المغيرة.

٢٤ فى بدائع بدائه الأجوبة

١٨ - ومن ذلك ما ذكره المدائنى قال: كان أرطاة بن شهية المرئى يهاجى الربيع بن قعنّب، فاجتمعا يوماً لمهاترة والمناقضة، فقال أرطاة للربيع:

لقد رأيتك عريانا ومؤزرًا فما دريت أنثى أنت أم ذكر
فقال الربيع:

لكن سهية تدرى إذ أتيتكم على عرياء لما اخلت الأزر
فانقطع ابن سهية.

١٩ - ويروى - إن صح وجود مجنون بنى عامر - أنه لما تزوجت ليلى عظم ذلك عليه، واشتد همه وحزنه، وأراد ابن عم له سفرًا، وكان طريقه على منزل ليلى، فأتاه المجنون، وقال له: إذا مررت على منزل ليلى فارفع صوتك بهذا البيت قائلاً:

أما وجلال الله لو تذكرننى كذكرك ما تهنّيت للعين مدمعا
فلما بلغ منزلها صنع ما سأله إياه، فخرجت ليلى إليه وقالت:

بلى وجلال الله ذكراً لو أنه تضمنه صلد الصفا لتصدعا
قال على بن ظافر: والصحيح أن هذين البيتين من قصيدة للصمة القشيري، ولكن نقلت هذه الحكاية من كتاب الأجوبة للقمى.

٢٠ - روى الحسن بن صاعد السكونى، قال: حدثنى خولان الأسدى، قال: نزلنا على ماء يعرف بماء السيال، ونزل بجانب الماء حى آخر، فعلق رجل منا بامرأة من ذلك الحى، فلما أزمعنا الرحيل أخذ الرجل غلاماً منا فرواه هذا البيت، وهو:

وما بين ذا الحيين أن يتفرقا من الدهر إلا ليلة وضحاها
حتى حفظه، وقال له: قم بإزاء ذلك البيت الذى فيه الجارية وردد هذا البيت، واحفظ ما يرد عليك، ففعل الغلام، وكانت الجارية جالسة وفي حجرها رأس أخ لها كبير تفليه، وأخ لها صغير يصلح شيئاً، فقالت:

لقد كان فى عيش رضى لو أنه حوى حاجة فى نفسه فقضاها
فقال أخوها الصغير:

أما سمع المفلّى لا در دره رسالة صبب بالسلام نحاهها
فقال الكبير:

لحى الله من يلحى المحب على الهوى ومن يمنع النفس اللجوج هواها
ثم دعا بالرجل فزوجه إياها.

٢١ - وحدث المدائنى قال: كان بين يحيى بن زياد الحارثى وحماد الراوية ومعلى بن هبيرة، ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من المنافسة، وكان معلى يجب أن يطرح حماداً فى لسان بعض الشعراء، قال حماد: فقال لى يوماً بحضرة يحيى بن زياد: أتقول لأبى عطاء السندى: قل: زج وجرادة ومسجد بنى شيطان؟

قال على بن ظافر: وكان أبو عطاء يرتضخ لكنة سندي يجعل فيها الجيم زائاً، والشين سيناً، والطاء والضاد ذالاً، والعين همزة، والحاء هاء - قال: قال حماد: فقلت: ما تجعل لى على ذلك؟ قال: بغلتى بسرجهما ولجامها، قلت: وعد لها على يدى يحيى بن زياد. ففعل، وأخذت عليه بالوفاء موثقاً، وجاء أبو عطاء فجلس إلينا، وقال: مرهباً مرهباً، هياكم الله، فرحبنا به، وعرضنا عليه العشاء فأبى، وقال: هل من نبيذ؟ فأحضرناه، فشرب حتى احمرت عيناه، فقلت له: يا أبا عطاء، طرح علينا رجل أبيتاً فيها لغز، ولست أقدر على إجابته، ففرج عنى، فقال: هات، فقلت:

أبن لى إن سئلت أبا عطاء يقينا كيف علمك بالمعانى
فقال مسرعاً:

خبير ألم فاسأل تزدنى بها دبا وآيات المثانى
فقلت:

فما اسم حديدة فى رأس رمح دوين الكعب ليست بالسنان
فقال:

هو الزز الذى إن بات ضيفا لقلبك لم يزل لك أولتان
فقلت: فرج الله عنك، تعنى الزج.

فما صفراء تدعى أم عوف كأن رجيلتيها منجلان
فقال:

أردت زراة وأزن زنى بأنك ما قصدت سوى لسانى
فقلت: فرج الله عنك، وأطال بقاءك، تريد «جرادة»، و«أظن ظناً»، ثم قلت:

أتعرف مسجداً لبنى تميم فويق الميل دون بنى أبان
فقال:

بنو سيطان دون بنى أبان كقرب أبىك من أبد المدان
قال حماد: ورأيت عينيه قد احمرتا وعرفت الغضب فى وجهه، فتخوفته فقلت: يا أبا
عطاء، هذا مقام المستجير بك، ولك النصف مما أخذت، قال: فاصدقنى، فأخبرته الخبر،
فقال: أولى لك، قد سلمت وسلم لك جعلك، وانقلب يهجو معلى بن هبيرة، فأفحش.
وروى العسكرى هذه الحكاية على غير هذا السياق، فذكر أن حماد الرواية وحماد
عجرد وحماد بن الزبرقان ويكر بن مصعب الزهرى اجتمعوا فقالوا: لو بعثنا إلى أبى
عطاء السندى - ولم يذكر السبب الذى من أجله اقترح حماد على أبى عطاء ما اقترح -
وذكر البيت الثانى:

تزدنى - والقران - بها عليما بصيراً بالمقاطع والمبانى
وذكر البيت الثالث:

فما اسم حديدة فى رأس رمح دوين الصدر ليست بالسنان
وذكر البيت الثامن:

وذلك مسزداً أنساه قدما بنو سيطان مأرؤف المكان
٢٢ - مدح بشار بن برد يعقوب بن داود وزير المهدي، فلم يعبأ به وحرمه، فوفد
عليه، وطال مقامه ببابه وهو لا يأذن، فأحس به فى بعض الأيام، فرفع بشار صوته
فأنشد:

طال الوقوف على رسوم المنزل
فأجابه يعقوب مسرعاً:

فلإذا تشاء أبا معاذ فارحل فرحل بشار، فهجاه بقوله فيه وفى المهدي:

بنى أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين النأى والعود

٢٣ - وهجا أخاه صالح بن داود، وكان قد ولى ولاية، فسقط به المنبر، فقال فيه من

هم حملوا فوق المنابر صالحا أخاك فضجت من أخيك المنابر
فلما اشتهر هجاؤه دخل يعقوب على المهدي فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا المشرك
هجاك بما لا أستطيع أن أذكره، فلم يزل المهدي به حتى كتب له قوله:

خليفة يزنى بعماته يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره ودس موسى فى حر الخيزران

فجر ذلك إلى قتل بشار بن برد.

٢٤ - وذكر أبو الفرج الأصبهاني فى كتاب القيان والمغنين، قال: كانت بالكوفة
جارية مغنية يقال لها: سعاد جارية السكونى، وكان مولاها من الظرفاء وفتيان طبقتها،
مروءة وحسن عشرة ومساعدة، فحضرت سعاد فى مجلس مطيع فيه إياس وحماد
عجرب، فقال مطيع:

قبلنى سعاد بالله قبله واسألينى بها - فديتك - نخله
فورب السماء لو قلت صل لوجهى جعلت وجهك قبله

فقال الجارية لحما: أكفينه يا عم، فقال يجيبه بديها:

إن خلا لها سواك وفيا لا غدورا بها ولا فيه مله
لا يباع التقبيل بيعا ولا ير شى ولا يجعل التعاشق عله

فقال له مطيع: هذا هجاء، وما أرادت الجارية هذا كله، ولقد اشتفيت منى على
لسان غيرك، فقالت الجارية - وكانت ظريفة بارعة: صدق، ما أردنا أن نسبه، فقال
حماد:

أنا والله أشتهى من ك ببذل والبذل فى ذاك حله
فأجيبى وأنعمى وخذى البذل ل وأطفى لعاشق منك غله

قال: فرضى مطيع وخجلت الجارية، وقالت: أنا عائذة بكما من شركما فاكفانيه،
وخذا فيما جئتما له.

٢٥ - حدث المدائنى، قال: كان عثمان بن شيبة مبخلاً، وكان حماد عجرب يهجو،

فجاء رجل كان يقول الشعر إلى حماد، فقال له:

أعنى من غنثاك بيت شعر على فقرى لعثمان بن شيبه
فقال حماد مسرعاً:

فإنك إن رضيت به خليلاً ملأت يدك من فقر وخيبه
فقال له الرجل: جزاك الله خيراً، فقد عرفتني من أخلاقه ما قطعني عنه، وصنت ماء وجهي عن بذله.

٢٦ - وروى إسماعيل بن يحيى اليزيدى، عن أبيه قال: كنت جالساً أكتب كتاباً، فنظر فيه سلم الخاسر، فقال:

أير يحيى أخط من كف يحيى إن يحيى بأیره لخطوط
قال: فقلت مسرعاً:

أم سلم أدرى بذلك منه إنها تحت أيره لضرط
ولها تحته إذا علاها أزمل من وداقها وأطيط
ليت شعري ما بال سلم بن عمرو كاسف البال حين يذكر لوط
لا يصلى عليه حين نصلى بل له عند ذكره تثبيط

٢٧ - وذكر أبو مروان صاحب كتاب المقتبس فى أبناء أهل الأندلس أن أبا المخشى عاصم بن زيد بن يحيى بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدى بن زيد بن حماد العبادى شاعر الأندلس فى زمانه، كان خبيث اللسان، كثير الهجاء، وهو الذى قطع هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان لسانه؛ لأنه عرض به فى قصيدة مدح بها أخاه أبا أيوب المعروف بالشامى، وكان بين الأخوين تباعد مفرط، والبيت الذى عرض فيه قوله:

وليس كمن إذا ما سيل عرفا يقلب مقلّة فيها اعورار

وكان هشام فى إحدى عينيه نكتة بياض كجد أبيه هشام بن عبد الملك، ثم اتفق لأبى المخشى أن مدح هشاماً ووفد عليه على ماردة، وهو يومئذ يتولى حربها لأبيه، فلما مثل بين يديه قال له: يا عاصم، إن النساء اللاتى هجوتهن لمعاداة أولادهن وهتكت أستارهن، قد دعون عليك، فاستجاب الله لهن، فبعث عليك منى من يدرك منك ثأرهن وينتقم لهن، ثم أمر به فقطع لسانه، ثم نبت بعد ذلك وتكلم به. وكان أبو المخشى هذا

يسكن بوادى شوس، وكان بينه وبين ابن هبيرة مهاجرة شديدة، فاجتمعنا يوماً للمناقضة فيه، فقال له ابن هبيرة وعيره بأن نسبه إلى النصرانية لأجل أن آباءه كانوا نصارى بقوله:

أقلفتك التى قطعت بشوش دعتك إلى هجائى وانتقالى
الانتقال: الشتم، فقال أبو المخشى مسرعاً:

سألت وعند أمك من ختانى جواب كان يغنى عن سؤالى
فقطعه.

وعلى ذكر أبى المخشى وقطع لسانه، كان مالك رضوان الله عليه يفتى فيمن قطع لسان رجل عمداً بقطع لسانه من غير انتظار، ثم رجع لما انتهت إليه قصة أبى المخشى، وأنه نبت لسانه بعد أن قطع بمقدار سنة، وأنه تكلم به، فقال: ينتظر سنة، فقد ثبت عندى أن رجلاً بالأندلس نبت لسانه بعد أن قطع فى نحو هذه المدة.

٢٨ - ونقلت من خط الفقيه أبى محمد عبد الخالق المسكى، قال بشار لعنان:

عنان يا منيتى ويا سكنى أما ترينى أجول فى سكرتك
حرمت منك الوفا معذبتى فعجلنى بالسجل من صكرتك
إنى ورب السماء مجتهد فى حل ما قد عقدت من تكرك
فقلت مجاوبة له:

لم يبق مما تقول قافية يقولها قائل سوى عكرك
فقال:

بللى وإن شئت قلت فيشلة تسكن الهائجات من حكرتك
قال على بن ظافر: عنان لم يدركها بشار، وإنما كان يشاغبها أبو نواس، ولهما فى مثل هذا أخبار كثيرة، وهذه القافية مما يعاها به.

٢٩ - كان بمصر رجل زجلى كثير الوسخ، قذر الجلد والثوب، لا تكاد تفارقه قفة فيها كراريس، يعرف بالمفشراتى، ويلقب أديب القفة، وكان يصنع مقامات مضحكة فيها غرائب وعجائب، يزعم أنه يضاهى بها مقامات الحريرى، وكان يقول: أنا موازنه فى كل شىء حتى فى اسمه ولقبه، هو أبو القاسم محمد، وأنا أبو القاسم محمد، وهو ابن على، وأنا ابن على، وهو الحريرى، وأنا الحريرى، وهو البصرى، وأنا المصرى،

..... فى بدائع بدائه الأجوبة

ويجعل هذا من أوضح البراهين وأقوى الأدلة على مساواته فى كل قصيدة، ومما أنشدنيه لنفسه - وأنا أذكره على سبيل الإطراف، فلقد كان عجيب الشأن - قوله:

يا ساجاً فى بركك وصائداً فى شببك
لا تحقـرن ككتـى فـككتـى ككـكـتـك

والككة: مركب من مراكب صعيد مصر ليس فيها مسمار.

٣٠ - وروى أن أبا نواس خرج يوماً وهو خمور إلى الكناسة فاستقبله أعرابى ومعه غنم، فقال أبو نواس:

أيا صاحب الذود اللواتى تسوقها بكم ذلك الكبش الذى قد تقدما
فقال الأعرابى:

أبيعكه إن كنت تبغى شراءه ولم تك مزاحا بعشرين درهما
فقال أبو نواس:

أخذت هداك الله رجعى جوابنا فأحسن إلينا إن أردت تكرمنا
فقال الأعرابى:

أحط من العشرين خمسا لأننى أراك ظريفا أخرجتها مسلما
ف قيل للأعرابى: أتدرى من يكلمك منذ اليوم؟ فقال: لا، فقيل: أبو نواس، فرجع
فلحقه، وحلف بصدقة غنمه إن لم يقبله.

٣١ - وروى أنه مر أعرابى ومعه نعجة وكبش وجمل صغير، فقال أبو نواس لمن معه: ما رأيكم فى تحجيله؟ فقالوا له: افعل، فقال:

بكم النعجة التى خلفها الكبش والجمل
فقال الأعرابى:

بـ ثلاثين درهما جـدداً أيها الأجل
٣٢ - وروى أنه دخل على عنان، فكتب رقعة ونالوها إياها، فإذا فيها:

ماذا تقولين فىمـن يريد منك نظيره

فكتبت تحتها عجلة:

إيـاي تعنـى بهـذا عـليك فـاجلـد عـمـيره
ثم ناولته الرقعة فكتب تحتها عجلًا:

أريـد هـذا وأخـشى عـلى يـدى مـنك غـيره
فخجلت وقالت: تعست وتعس من يغار عليك.

٣٣ - وروى الجماز أنه دخل عليها قبل تعارفهما، فأنشد:

إن لى أيـراً خبيـثاً عـارم الـرأس فـلـوتـا
لو رأى الحـر بـيـحر عـاد للـغـلـمة حـوتـا
أو رآه فـسـوق جـو لـنـزى حـتى يـمـوتـا
أو رآه جـوف بـيـت صـار فـيه عـنـكـبوتـا
فقال ارتجالاً:

زـوجـوا هـذا بـالـف وأظـن الـألف قـوتـا
إننى أخـشى عـليه إن تـمـادى أن يـمـوتـا
بـادروا مـا حـل بـالمـس كـين خـوفاً أن يـفـوتـا
قـبل أن يـنعكـس الحـا لـ فـلا يـأتى ويـوتى

فعجب الحاضرون منهما، واستظرف كل منهما صاحبه، ودامت صحبتها بعد ذلك.

٣٤ - وروى المدائنى قال: اجتمع أبو نواس وإسماعيل بن نوبخت وأبو الشمقمق فى بيت ابن أذين - قال على بن ظافر: هو أبو عبد الله الجماز - فبينما هم عنده، إذ جاء أبو العتاهية يسأل عن ابن أذين - وكان بينه وبين أبى الشمقمق شر، فخبثوه من أبى العتاهية فى بيت، ودخل أبو العتاهية، فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث، فظنه جارية، فقال لابن أذين: متى استطرفت هذه؟ فقال: قريباً يا أبا إسحاق، فقل فيها شيئاً، فمد أبو العتاهية يده إلى الغلام وقال:

مـدـدت كـفى نـحوكم سـائلاً ما إذا تـردون عـلى السـائل
فصاح أبو الشمقمق من داخل البيت قائلاً:

يـرد فـى كـفك ذا فيـشة تـشفى جـوى فـى أـستك مـن داخـل
فقام أبو العتاهية مغضباً، وهو يطلب الباب، ويقول: أبو الشمقمق والله، وضحك

القوم حتى كادوا يهلكون.

٣٥ - وذكر الخالديان فى كتاب أخبار مسلم بن الوليد هذه الحكاية، وذكرها غيرهما بأبسط مما ذكرها، فكتبناها بلفظ الأكثر.

قال دعبل بن على الخزاعى: بينما أنا بباب الكرخ، إذ أنا بفتاة تسمى قرة، معروفة بظرف وجمال وشعر وأدب وغناء، وقد اجتازت، فتعرضت لها وقلت:

دموع عينى لها انبساط ونوم عينى به انقباض
فقلت:

وذا قليل لمن دهته بسحرها الأعين المراض
فقلت:

فهل لمولاي عطف قلب أو للذى فى الحشى انقراض
فقلت مسرعة من غير تلبث:

إن كنت تبغى الوصال منا فالوصل فى ديننا قراض
قال دعبل: فلا أعلم أنى خاطبت جارية تقطع الأنفاس بعذوبة ألفاظها، وتختلس الأرواح ببلاغة منطقها، وتذهل الألباب برخيم نغمها، مع تلاعة جيد، ورشاقة قد، وكمال عقل، وبراعة شكل، واعتدال خلق، قبلها، فحار والله البصر، وذهل اللب، وجل الخطب، وتلجلج اللسان، وتعلقت الرجلان، وما ظنك بالحلفاء أدنيت من النيران. ثم ثاب إلى عقلى، وراجعنى حلمى، وذكرت قول بشار:

لا يؤيسنك من مخبأة قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا
هذا لمن حاول ما دون الطمع فيه اليأس منه، فكيف بمن وعد دون المسألة، وبذل قبل الطلبة فنقلها من تلك القافية، وقلت:

أترى الزمان يسرنا بتلاق ويضم مشتاقا إلى مشتاق
فقلت مسرعة:

ما للزمان تقول فيه وإغما أنت الزمان فسرنا بتلاق
قال دعبل: فاستبعتها - وذلك فى زمن إملاقي - فقلت: ليس لى إلا بيت مسلم بن

الوليد صريع الغوانى، فصرت إلى بابه، فاستوقفتها وناديتها، فقلت: أحمل إليك الخير، معى وجه مليح، تقل له الدنيا بما فيها، مع ما أنا فيه من ضيقة وعسر، فقال: والله لقد شكوت ما كدت أبادرك بشكواه، إيت بها.

فلما دخلت قال: والله ما أملك سوى هذا المنديل، فقلت: هو البغية، ناولنيه، فقال: خذه، لا بارك لك الرحمن فيه. فأخذته فبعته بدينار وكسر، واشترت به لحماً وخبزاً ونبيذاً، ثم صرت إليهما، فإذا هما يتساقطان حديثاً كأنه الدر، فقال: ما صنعت؟ فأخبرته، فقال: كيف يصلح طعام وشراب وجلس مع وجه مليح بغير نقل ولا ربحان ولا طيب، اذهب فألطف بتمام ما كنت فى أوله.

قال: فخرجت، فاضطربت فى ذلك حتى أتيت به، فألفيت باب الدار مفتوحاً، فدخلت فلم أر لهما ولا لشيء مما كنت جئت به أثراً، فأسقطت فى يدي، وقلت: أرى صاحب الربيع أخذهما، وبقيت متلهفاً حائراً، أرجم الظن وأجبل الفكر سائر يومى، فلما أمسيت قلت فى نفسى: أفلا أدور فى البيت لعل الطلب يوقعنى على أثر، ففعلت، ووقعت على سرداب، وإذا بهما قد نزلا فيه، وأنزلا معهما ما احتاجا إليه، فلما أحسست بهما دليت رأسى، ثم صحت: مسلم، ثلاثاً، فكان من إجابته أن غرد بصوته وقال:

بت فى درعها وبات رفيقى جنب القلب طاهر الأطراف

قال دعبل: فقلت: ويلك من يقول هذا؟ قال:

من له فى حر أمه ألف قرن قد أنافت على علو مناف

قال: فضحكا ثم سكتا، واستجلبت كلامهما، فلم يجيبانى بشيء، وباتا فى لذتهما، وبت ليلة يقصر عمر الدنيا عن ساعة منها طويلاً وغماً وهماً، حتى أصبحت ولم أكد. فخرج إلى مسلم وهى معه، فجعلت أشتمه وأفترى عليه، فلما أكثرت قال: يا أحمق، منزلى دخلت، ومنديلى بعت، ودراهمى أنفقت، فعلى من تثرب يا قواد، فقلت: مهما كذبت على، فما كذبت فى الحق والقيادة، وانصرفت وتركتهما.

٣٦ - وذكر صاحب كتاب نجباء الأبناء أن الرشيد اطلع من مستشرف له على

قصره، فرأى ولده عبد الله المأمون يكتب على حائط وهو صغير، فقال للخادم: انطلق حتى تنظر ماذا يكتب عبد الله، واحرص على ألا يفطن لك، فذهب الخادم فتسلل حتى

٣٤ فى بدائع بدائه الأجوبة

قام من خلفه، وهو مقبل على الحائط، فنظر وعاد إلى الرشيد، فأخبره أنه كتب:

قل لابن حمزة ما ترى فى زيـرياج محكمه

قال الخادم: إني تسلفت عليه، حتى قمت من خلفه وهو لا يعلم لغلبة الفكر عليه، فقال له الرشيد: ارجع فسله عما يكتب، فيقول لك: إني مفكر فى التميم على هذا البيت، فقل له: اكتب تحته:

قال ابن حمزة يا بنى هـزلت مجترئاً فمه

فانطلق الخادم إلى الرشيد فكان ما ظنه الرشيد، ففعل الغلام ما أمره به، فأطرق المأمون قليلاً، ثم قال: لولا أنك مأمور لم تنج من يدى. فرجع الخادم إلى الرشيد فأخبره، فقال: نجوت. ثم دعا على بن حمزة الكسائى وقال له: من أين علم عبد الله أن الخادم مأمور؟ فقال الكسائى: علمه من قوله: هزلت مجترئاً فمه، إذ كان الخادم لا يقدر على مخاطبته بذلك إلا عن أمر.

٣٧ - وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى فى كتاب الوزراء قال: ذكر أبو الفضل بن عبد الحميد فى كتابه أن الأحول المحرر شخص مع محمد بن يزداد عند شخص المأمون إلى دمشق، وأنه شكاً يوماً إلى أبى هارون خليفة محمد بن يزداد الوحدة والغربة وقلة ذات اليد، وسأله فى أن يسأل له ابن يزداد أن يكلم المأمون فى أمره فيبره بشىء، ففعل أبو هارون ذلك، ورأى محمد بن يزداد من المأمون طيب نفس، فكلمه له وعطفه عليه، فقال له المأمون: أنا أعرف الناس به، إنه لا يزال بخير ما لم يكن معه شىء، فإذا رزق فوق القوت بذرة أفسده ذلك، ولكن قد أمرنا له - لشفاعتك - بأربعة آلاف درهم، فدعا ابن يزداد بالأحول، فعرفه بما جرى ونهاه عن الفساد، وأمر له بالمال، فلما قبضه ابتاع غلاماً بمائة دينار، واشترى سيفاً وممتعاً، وأسرف فيما معه، حتى لم يبق معه شىء، فلما رأى الغلام ذلك أخذ كل ما كان فى بيته وهرب، فبقى عرياناً بأسوأ حال، فجاء إلى أبى هارون خليفة محمد بن يزداد فأخبره، فأخذ أبو هارون نصف طومار فكتب فى آخره:

فر الغلام فطار قلب الأحول وأنا الشفيـع وأنت خير مؤمل

ثم ختمه وقال له: امض إلى محمد بن يزداد، فمضى وأوصله إليه، فلما رآه محمد قال له: ما فى كتابك؟ قال: لا أدري، قال: وهذا من حقك، تحمل كتاباً لا تدري ما فيه، ثم فضه فلم ير شيئاً، فجعل ينشره وهو يضحك، حتى انتهى إلى آخره، فوقف على البيت

لولا تعبت أحول بغلامه كان الغلام ربيطة فى المنزل
ثم ختمه وناوله إياه، وأمره أن يرده إلى خليفته، فقال: الله الله فى، جعلنى الله
فداك، ارحمنى من الحالة التى قد صرت إليها، فرق له ووعدته أن يكلم المأمون، فكلمه
وشرح له الحال، ووصف له ضعف عقل الأحوال ووهى عقده، فأمر المأمون
بإحضاره، فلما مثل بين يديه قال له: يا عدو الله تأخذ مالى وتشترى به غلاماً حتى يفر
منك، فارتاع لذلك وتلجلج لسانه، فقال: جعلنى الله فداك، ما فعلت، فقال: ضع يدك
على رأسى واحلف أنك لم تفعل، فارتاع، وجعل ابن يزداد يأخذ بيده لذلك، والمأمون
يضحك ويشير إليه أن ينحيا، ثم أمر بإجراء رزق واسع له كل شهر، ووصله مرة بعد
مرة حتى أغناه الله؛ لأنه كان يعجبه خطه.

٣٨ - أنبأنا الفقيه الحافظ التقي أبو محمد عبد الخالق المسكى إجازة، أنبأنا الحافظ
السلفى إجازة، أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوى، وابن بعلان الكبير، قالوا:
أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستانى الحافظ، قال: أخبرنا النجيرمى أبو
يعقوب، حدثنا المهلبى، قال: لما حضرت المأمون الوفاة جلست عند رأسه جارية كان
بها مشغوقاً، وقد أخذته غشية، فجعلت تبكيه وأنشأت تقول:

يا ملكا لست بناسيه وليتنى بالنفس أفديه
فأفاق من غشيته ونظر إليها وأنشأ يقول:

باكىتى من جزع أقصرى قد غلق الرهن بما فيه
٣٩ - ومن حسن الجواب بالشعر بديهاً ما روى طماس قال: جاء ابن دنقش
الحاجب إلى دار محمد بن عبد الملك الزيات يستدعيه، وقد كان المعتصم طلبه، فدخل
المجلس ليلبس ثيابه، فرأى ابن دنقش فى صحن الدار غلاماً له روقة، فقال - وهو يظن
أن محمد بن عبد الله لا يسمعه -:

وعلى اللواط فلا تلومن كاتباً إن اللواط سجية الكتاب
فقال محمد مسرعاً:

وكما اللواط سجية الكتاب فكذا الحلاق سجية الحجاب
فاستحيا ابن دنقش واعتذر بأن هذا شئ جرى على لسانه من غير قصد، فقال له

محمد بن عبد الملك: إنما يحسن الاعتذار، إذا لم يقع القصاص.

٤٠ - وذكر الصولى فى كتاب الوزراء قال: حدثنا محمد بن موسى اليزيدى، قال: دخل الحسن بن وهب على محمد بن عبد الملك وهو فى بستان، وأقبل غلام لمحمد بن عبد الملك حسن الوجه، فقال للحسن: أجز:

كيف ترى هذا الغلام الذى أقبل يحكى البدر فى المطلع
فقال الحسن:

لا تسألنى يا أبا جعفر عن مثله فى مثل ذا الموضع
فقال أبو الجهم أحمد بن سيف وكان حاضراً:

أتيت والله بهما جملة وخيمة المربع والمرتع
فقال الحسن يعرض بأبى الجهم:

إذا ما حامت العقبان يوما تسترت الجوارح بالغياض
فقال أبو الجهم يجيبه:

ألم يخفق فؤادك يا ابن وهب لذكرى دون رميك فى عراضى
وهل ثبتت عقاب فى مكان إذا نسر تحامل فى انقضاض
فأقسم عليهما محمد بأن يمسكا، وأقبل يردد بيت الحسن الذى أوله: لا تسألنى، فقال
الحسن:

نعم وإن أحببت يا سيدى فسرت ما أجملته فاسمع
فقال محمد:

إن كنت تهواه فخذ فهدى جدت لك الآن به فاقطع
فقال الحسن:

إن كنت تهوى الصدق فأذن له يخرج إذا حان خروجى معى
قال: اخرج معه يا غلام فأنت له.

٤١ - وروى على بن الجهم قال: كنت يوماً عند فضل الشاعرة، فلحظتها لحظة

رابتها، فقالت:

يا رب رام حسن تعرضه يرمى ولا أشعر أنى عرضه
فقلت:

أى فتى لحظك ليس يرضه وأى عهد محكم لا ينقضه
فضحكت وقالت: خذ فى غير هذا الحديث.

٤٢ - وكان أبو الفضل بن المضاء أحد أمراء بنى الأغلب يخضب، فأنشده يوماً أبو
شراحيل شريح بن عبد الله بن غانم بن العاص يعرض به:

لعمرك ما الخضاب إذا تولى شباب المرء إلا كالسراب
فقال يعقوب يحييه بديهاً:

فلا تعجل رويدك عن قريب كأنك بالمشيب وبالخضاب
٤٣ - وذكر الصولى فى كتاب الوزراء: حدثنى محمد بن العلاء السجزي قال:
دخل أبو ناضرة إلى عبيد الله بن سليمان فقال:

أيطعن فى جملة الظاعنين غداً أم يقيم أبو ناضره
فقال الوزير:

يقيم يقيم على رغبة وتحلق لحيته الوافره
فقال عبيد الله بن الفرغ كاتب سر عبد الله سرّاً:

ويصفع من غير ما حشمة وتؤتى حليته الفاجره
٤٤ - وذكر أبو عبد الله التنوخى فى كتاب نشوار المحاضرة قال: حدثنى محمد بن
الحسن البصرى، قال: حدثنى الهمدانى الشاعر، قال: قصدت ابن الشلمغانى فى ما درايا،
فأنشدته قصيدة قد مدحته بها، وتأنت فيها وجودتها، فلم يحفل بها، فكنت أغاديه كل يوم،
وأحضر مجلسه إلى أن يتقوض الناس، فلا أرى للشواب طريقاً، فحضرت يوماً، وقد احتشد
مجلسه، فقام شاعر، فأنشد نونية، إلى أن بلغ فيها إلى بيت هو:

فليت الأرض كانت ما درايا وليت الناس آل الشلمغانى
فعن لى فى هذا الوقت هذا البيت، فقامت إليه مسرعاً:

إذا كانت بطون الأرض كنفاً وكل الناس أولاد الزوانى
فضحك وأمرنى بالجلوس، وقال: نحن أحوجناك لهذا، وأمر لى بجائزة سنية، فأخذتها

٤٥ - وكان أبو عمر أحمد بن عبد ربه صديقاً لمحمد بن يحيى بن القلظا الشاعرا، ثم فسد ما بينهما وتهاجيا، وكان سبب الفساد بينهما أن ابن عبد ربه مر يوماً، وكان فى مشيته اضطراب، فقال: يا أبا عمر، ما علمت أنك آدر إلا اليوم لما رأيت مشيتك، فقال له ابن عبد ربه: كذبتك عرسك أبا محمد، فعز على القلظا كلامه، وقال له: أتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء، ثم صنع قصيدة أولها:

يا عرس أحمد إنى مزعم سفرا فود عيني سراً من أبى عمرا
ثم تهاجيا بعد ذلك، وكان القلظا يلعبه بطلاس؛ لأنه كان أطلس لا لحية له، ويسمى كتابه العقد جبل القوم، فاتفق اجتماعهما مرة عند بعض الوزراء، فقال الوزير للقلظا: كيف حالك اليوم مع أبى عمر؟ فقال مرتجلاً:

حال لى طلاس عن رائه وكنت فى قعدد أبنايه
فبادره ابن عبد ربه، فقال:

إن كنت فى قعدد أبنايه فقد سقى أمك من مائه
فانقطع القلظا خجلاً.

٤٦ - أبنا الشيوخ النبیه الفقيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى، عن الفقيه أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله بن أبى نصر بن عبد الله الحميدى، قال: أخبرنى أبو محمد على بن أحمد الفقيه بن حزم، قال: أخبرنى الحسن على بن محمد بن أبى الحسن، قال: وجدت بخط أبى قال: أمرنا الحاكم المستنصر بالله بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد مع أبى على إسماعيل بن القاسم البغدادى وابنى سعيد فى دار الملك التى بقصر قرطبة، وأحضر من الكتاب نسخاً كثيرة فى جملتها نسخة القاضى منذر بن سعيد التى رواها بمصر عن ابن ولاد، فمر لنا صدر من الكتاب بالمقابلة، فدخل علينا المستنصر فى بعض الأيام فسألنا عن النسخ، فقلنا له: إن نسخة القاضى التى كتبها بخطه محرفة، وأريناه مواضع مغيرة وأبياتاً مكسورة، وأسمعناه ألفاظاً مصحفة ولغات مبدلة، فعجب من ذلك وسأل أبا على، فقال له نحو ذلك، واتصل المجلس بالقاضى، فكتب إلى المستنصر رقعة فيها:

جزى الله الخليل الخير عنا بأفضل ما جزى فهو المجازى

وما خطأ الخليل سوى المغيلى وعضروطين فى دار الطراز
فصار القوم زرية كل زار وسخرية وهزأة كل هاز
فلما دخلنا على المستنصر قال لنا: أما القاضى فقد هجاكم، وناولنا الرقعة بخط
القاضى - وكانت تحت شىء بين يديه - فقرأناها وقلنا: يا مولانا نحن نجل مجلسك
الكريم عن انتقاص أحد فيه، لا سيما مثل القاضى فى سنه ومنصبه، فإن أحب مولانا
أن يقف على حقيقة ما استدركناه فليحضره وليحضره الأستاذ أبا على، ثم نتكلم على
كل كلمة استدركناه عليه، فقال: قد ابتدأكم والبادى أظلم، وليس على من انتصر
لوم، قال أبى: فمددت يدى إلى الدواة وكتبت بين يديه:

هلم فقد دعوت إلى البراز	وقد ناجزت قرناً ذا نجاز
ولا تمس الضراء فقد أثرت الـ	أسود الغلب تخطو باحتفاز
وأصحر للقاء تكن صريعاً	بماضى الحد مصقول جراز
رويت عن الخليل الوهم جهراً	لجهلك بالحقيقة والمجاز
دعوت له بخير ثم أخنت	يداك على مفاخره العزاز
تهدمها وتجعل ما علاها	أسافلها ستجزيك الجوازي
جزى الله الإمام العدل عنا	جزاء الخير فهو له مجازى
به وريت زناد العلم قدماً	وشرف طالبه باعزاز
وجلى عن كتاب العين دجنا	وإظلاماً بنور ذى امتياز
بأستاذ اللغات أبى على	وأخذان بناحية الطراز
بهم صح الكتاب وصيروه	من التصحيف فى ظل احتراز

قال الحميدى: وأسقطنا نحن منها أبياتاً تجاوز الحد فيها. قال: ثم أنشدتها المستنصر
بالله فضحك وقال: قد انتصرت وزدت، وأمر بها فختمت ثم وجه بها إلى القاضى فلم
تسمع له بعد كلمة.

٤٧ - أنبأنا الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى قال: نزلت من قرافة مصر أودع
الشيخ الأجل أبى الحسين بن جبير، فقال لى: كنت على الجىء إليك، فقلت: همة سيدنا
هى التى أتت بى، فسألنى عن القرافة، فقلت: هى موضع يصلح للخير والشر، من طلب
شيئاً وجده، فقال: خذ هذه الحكاية، قال لى بعض مشايخنا عن ابن الفرضى: كنت فى

موضع يتفرج فيه، وبت به، ثم أقبلت باكراً منه، فلقينى بعد من يقرأ على، فقال:

من أين أقبلت يا من لا نظير له ومن هو الشمس والدنيا له فلك
فأجبهته مسرعاً:

من موضع تعجب النساك خلوته وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا

٤٨ - قال بديع الزمان الهمذانى: كنت عند الصاحب كافى الكفاة أبى القاسم
إسماعيل بن عباد يوماً، وقد دخل عليه شاعر من شعراء العجم، فأنشده قصيدة يفضل
فيها قومه على العرب، وهى:

غنينا بالطيبول عن الطلول	وعن عنس عذافرة ذمول
وأذهلنى عقار عن عقار	ففى أست أم القضاة مع العذول
فلست بتارك إيوان كسرى	لتوضح أو لحومل فالدخول
وضب بالفلا ساع وذئب	بها يعوى وليث وسط غيل
يسلون السيوف لرأس ضب	حراشاً بالغداة وبالأصيل
إذا ذبحوا فذلك يوم عيد	وإن نحروا ففى عرس جليل
أما لو لم يكن للفرس إلا	نجار الصاحب القرم النبيل
لكان لهم بذلك خير فخر	وجيلهم بذلك خير جيل

فلما وصل إلى هذا الموضع من إنشاده، قال له الصاحب: قدك. ثم أشرأب ينظر إلى
الزوايا وأهل المجلس - وكنت جالساً فى زاوية من البهو فلم يرنى - فقال: أين أبو
الفضل؟ فقلت وقبلت الأرض وقلت: أمرك، قال: أجب عن ثلاثتك، قلت: وما هى؟
قال: أدبك، ونسبك، ومذهبك، فأقبلت على الشاعر فقلت: لا فسحة للقول ولا راحة
للطبع إلا السرد كما تسمع، ثم أنشأت أقول:

أراك على شفا خطر مهول	بما أودعت لفظك من فضول
تريد على مكارمنا دليلاً	متى احتاج النهار إلى دليل
ألسنا الضارين جزى عليكم	وإن الجزى أولى بالذليل
متى قرع المنابر فارسى	متى عرف الأغر من الحجول
متى عرفت - وأنت بها زعيم -	أكف الفرس أعراف الخيول
فخرت بملء ماضغتيك هجرأ	على قحطان والبيت الأصيل
وتفخر أن مأكولا ولبساً	وذلك فخر ربات الحجول
ففاخرهن فى خد أسيل	وفرع فى مفارقتها رسيل

فى بدائع بدائه الأجوبة ٤١

وأجند من أهلك إذا تزىا عراة كالليوث على الخيول

قال: فلما أتممت إنشادى التفت إليه الصاحب، وقال له: كيف رأيت؟ قال: لو سمعت به ما صدقت، قال: فإذا جازتكَ جوازك، إن رأيتك بعدها ضربت عنقك. ثم قال: لا أرى أحداً يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية ينزع إليها.

٤٩ - قال العميد أبو الحسن على بن الحسن بن أبى الطيب الباخري فى كتابه المعروف «بدمية القصر وعصرة أهل العصر» جرى بين القاضى أبى سعيد على بن عبد الله الناصحى وبين الحاكم أبى سعد دوست مبادهة، قال له القاضى:

وما وصل الكتاب إلى حتى أجبت إلى الذى استدعاه منى
فقال أبو سعد:

جزاك الله عن مولاك خيراً وخفف ثقل هذا الشكر عنى
فقال القاضى:

وأولى الشيخ عزا مستفاداً وحقق فيه مأمولى وظنى
فقال أبو سعد:

وكم لك نعمة من غير ذكر وكم لك منة من غير من
٥٠ - وكان حسان بن هجل الكلبى المعروف بعرقلة أعور، وكان يجلس على حانوت خياط بدمشق يعرف بأبى الحسين الأعرج، وكان له طبع فى قول الشعر، فقال له عرقلة يوماً يداعبه:

ألا قل للرقيع أبى حسين أرانى الله عينك مثل عينى
فقال الأعرج مجاباً له:

ألا قل لابن كلب لا ابن عجل أرانى الله رجلك مثل رجلى
فخجل عرقلة من قوله وانصرف.

الباب الثاني

فى بدائع بدائه الإجازة

الإجازة أن ينظم الشاعر على شعر غيره فى معناه ما يكون به تمامه وكماله، وقد يكون بين متعاصرين وغير متعاصرين، وهى مشتقة من الإجازة فى السقى، يقال: أجاز فلان فلاناً، إذا سقاه أو سقى له، فكأنهم شبهوا عمل الشاعر المجيز لعمل الشاعر المجاز شعره، بسقى الشخص للشخص، قال يعقوب بن السكيت: يقال للذى يرد الماء: مستجيز، وأنشد:

وقالوا فقيم قيم الماء فاستجز عباداً إن المستجيز على قتر
قال أبو على حسن بن رثيق مولى الأزدي: ويجوز أن يكون من أجزت عن فلان الكأس إذا صرفتها عنه - دون أن يشربها - إلى من يليه، وكأنهم شبهوا الشاعر لما تعدى إتمام شعره بمجيز الكأس. قال أبو نواس:

وقلت لساقيا أجزها فلم يكن لينهى أمير المؤمنين وأشربا
فجوزها عنى عصاراً ترى لها على الشرف الأعلى شعاعاً مطبنا
وقد ذكرنا أن الإجازة تكون بين عصرين وغير عصرين، ونحن الآن نجعلها لك فى فصلين، ونذكر ما ورد فى كل فصل من الأخبار على ترتيب الأعصار، وهو شرطنا فى هذا الكتاب.

الفصل الأول

فى إجازة الشاعر المعاصره

٥١ - فمن هذا القسم ما تكون الإجازة فيه بقسيم لقسيم، كما روى الزبير بن بكار، قال: استنشد عبد الله بن عباس - رضوان الله عليه - عمر بن أبى ربيعة فأنشده:

تَشْطُ غُدًّا دار جيراننا

فبدره ابن عباس فقال:

وللدار بعد غد أبعد

فقال له عمر: كذلك قلت أصلحك الله! أفسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغى أن

فى بدائع بدائه الإجازة ٤٣
يكون.

٥٢ - وروى عمران بن عبد العزيز الزهرى أن عمر بن أبى ربيعة شبيب بزيب بنت موسى أخت قدامة بن موسى الجمحى، وكان سبب تشييبه بها أن ابن أبى عتيق ذكرها له، فأطنب فى وصفها بالحسن والجمال، فصنع فيها قصيدته التى أولها:

يا خليلى من ملام دعانى وألما الغداة بالأظعان
فبلغ ذلك ابن أبى عتيق، فلامه فى ذكرها، فقال له:

لا تلمنى عتيق حسبى الذى بى إن عندى عتيق ما قد كفانى
لا تلمنى فأنت زينتها لى
فبدره ابن أبى عتيق فقال:

أنت مثل الشيطان للإنسان
فقال عمر: هكذا ورب الكعبة قلته. فقال ابن أبى عتيق: إن شيطانك - ورب العزة - ربما ألم بى، فيجد عندى من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته، فيصيب منى وأصيب منه.

٥٣ - ومن ذلك ما روى أبو عبيدة أن راكباً أقبل من اليمامة، فمر بالفرزدق وهو جالس، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من اليمامة، فقال: هل أحدث ابن المراغة بعدى من شىء؟ قال: نعم، قال: هات، فأنشد:

هاج الهوى بفؤادك المهتاج
فقال الفرزدق:

فانظر بتوضيح باكر الأحداج
فأنشد الرجل:

هذا هوى شغف الفؤاد مبرح
فقال الفرزدق:

ونوى تقاذف غير ذات خلاج
فأنشد الرجل:

إن الغراب بما كرهت لمولع

فقال الفرزدق:

بنوى الأحبة دائم التشحاج

فقال الرجل: هكذا والله قال، أفسمعتها من غيرى؟ قال: لا، ولكن هكذا ينبغي أن يقال، أو ما علمت أن شيطاننا واحد! ثم قال: أمدح بها الحجاج؟ قال: نعم، قال: إياه أراد.

٥٤ - ومن ذلك ما أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى، أخبرنا أبو طاهر السلفى إجازة، أنبأنا أبو صادق مرثد بن يحيى بن القاسم المدينى، قال: كتبت إلى القاضى أبو الحسين على بن محمد بن صخر الأزدي أن أبا القاسم عمر بن محمد بن سيف أذن لهم فى الرواية عنه، أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلام قال: قال عمر بن عبد العزيز، رضى الله عنه، لابن عبد الأعلى: أتمم هذا البيت وأنت أشعر العرب:

نروح ونغدو كل يوم وليلة

فقال مجيباً:

وعما قليل لا نروح ولا نغدو

٥٥ - ومن ذلك ما روى سلمة النميرى، قال: حضرت مجلس هشام بن عبد الملك وبين يديه جرير والفرزدق والأخطل، فأحضرت بين يدى هشام ناقة، فقال متمثلاً:

أنسيخها ما بدا لى ثم أرحلها

أيكم أتمه كما أريد فهى له، فبدر جرير فقال:

كأنها نقسنتك تعدو بصحراء

فقال: لم تصنع شيئاً، فقال الفرزدق:

كأنها كاسر بالدو فتخاء

فقال: ولا أنت، فقال الأخطل:

ترخى المشافر واللحين إرخاء

فقال: اركبها لا حملك الله.

٥٦ - ومن ذلك ما روى أن بعض الشعراء قال لأبى العتاهية: أجز:

ببرد الماء وطاباً

حبذا الماء شـرابا

٥٧ - ومن ذلك ما روى عن دعبل بن على الخزاعى أنه قال: كنت أنا ومحمد بن وهيب نسمر عند معقل بن عيسى بن إدريس العجلي أخى أبى دلف، فطلعت الثريا ليلة، فقال:

أما تـرون الثـريا

فبدر محمد بن وهيب فقال:

كأنها عـقد رـيا

٥٨ - ومن ذلك ما روى محمد بن إسحاق، عن أبيه قال: قلت:

وصف الصد لمن أهوى فصد

ثم أجبلت فمكثت عدة ليال لا أقدر على تمامه، فدخل على عبد الله بن عمار التيمي، فرأى مفكراً، فقال لى: ما قصتك؟ فأخبرته، فقال فى الحال:

وبدا يـزح بالهـجر فـجد

قال إسحاق: ثم تمتها بعد فقلت:

ماله يعدل عنى وجهه وهو لا يعدله عندى أحد

٥٩ - ومن ذلك ما روى محمد بن داود بن الجراح، قال: كان أبو تمام حبيب بن أوس الطائى عند الحسن بن وهب، فدخل عليهما أبو نهشل بن حميد، فلما رآه أبو تمام قال:

أعـضك الله أبـا نهـشل

ثم قال للحسن: أجز فقال:

يـجد ريم أبـيض أكـحل

ثم قال: أجز أبا نهشل فقال:

يطمع فى الوصل فإن رسته صار مع العيوق فى منزل
وهذا أيضاً فيه إجازة بيت بيت.

٦٠ - ومن ذلك ما روى أن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن

٤٦ فى بدائع بدائه الإجازة

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان - وهو المنعوت بين ملوك الأندلس بالأمير - صنع فى بعض غزواته قسيماً، وهو:

نرى الشئ مما يتقى فنهايه

ثم أرتج عليه - وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائباً - فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالي، وكان يكتب له، فأنشده القسم، فقال:

وما لا نرى مما يقى الله أكثر

فاستحسنه وأجازه وحمله استحسانه على أن استوزره.

٦١ - ومن ذلك ما روى النميرى قال: دخل أبى على المعتز بالله - وكان من

جلسائه - فوقع بين الجلساء تنازع، فنهاهم حتى أضجروه، قال النميرى: فقال له أبى:

عادتك الصفح والذنوب لنا

فقال المعتز:

كذاك فعل العبيد الملك

٦٢ - قال القاضى الفقيه جمال الدين: سمع الناس يذكرون حكاية لا أتقلد

صحتها، وهى أن أبا تمام لقي ديك الجن وهو طفل يلعب، ويدعى قول الشعر، فقال: إن كنت شاعراً كما تقول، فأجز:

فرقوا بين من أحب وبينى

فقال: أبعد أم أقرب؟ فقال أبو تمام بعد، فقال:

مثل بعد السماك والفرقدين

فقال له: قرب، فقال:

مثل ما بين حاجبى وعينى

٦٣ - وذكر عبيد الله بن أحمد بن طاهر فى تاريخه الذى ذيل به كتاب أبيه قال:

حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم أنه أول ما قال الشعر: حضر أبو الصقر إسماعيل بن بلبل عند أبيه فى مجلس فيه أبو عبد الله أحمد بن أبى فتن، ووالدى أحمد ابن أبى طاهر وجماعة من أهل الأدب، فاستشدنى أبو الصقر شيئاً من شعرى فأنشدته، فاستنكره أبو الصقر، ثم قال: أريد أن أمتحنك فى شئ تجيزه، فقلت له: ذلك لك،

أنت غلام شاعر خبيث

فقلت من غير تلبث:

أنت امرؤ بجوده يغيث

يعجل ما يعطى ولا يريث

لك القديم ولك الحديث

فقال أبو عبد الله بن أبى فتن: اذهب يا غلام فأنت أشعر الأولين والآخرين، ثم حضرت المائدة، وحضر عليها كباب رشيدى، فقال ابن أبى فتن:

كباب رشيدى إذا ما رأيته

ثم قال: أجز فقلت:

وإن كنت شبعاناً قرمت إلى الأكل

ثم قال ابن أبى فتن: ما سمعت أحسن من هذا، ما لهذا الصدر عجز أولى به من هذا. وهذه الحكاية صدرها من باب الأجوبة وآخرها من هذا الباب.

٦٤ - وذكر الرئيس هلال بن المحسن بن الصابى فى كتاب الوزراء والكتاب، قال: حدث أبو الفرج الأصفهاني قال: سكر الوزير المهلبى ليلة، ولم يبق بمحضته من ندمائه غيرى، فقال له: يا أبا الفرج، أنا أعلم أنك تهجونى سراً، فاهجنى الساعة جهراً، فقلت: الله فى أيها الوزير، إن كنت قد ثقلت عليك، فمرنى فلا أعود أجيبك أبداً، وإن كنت تريد قتلى فبالسيف أهون، فقال: دع هذا، فلا بد أن تهجونى - وكنت قد سكرت - فقلت:

أير بغل مكوكب

فبدر فقال:

فى حرام المهلبى

هات مصراعاً آخر فقلت: الطلاق لازم لى، إن زدت على هذا كلمة.

٦٥ - وروى عبد الجبار بن حمديس الصقلى، قال: صنع عبد الجليل بن وهبون المرسى الشاعر نزهة بوادى إشبيلية، فأقمنا فيه يومنا، فلما دنت الشمس للغروب هب

نسيم ضعيف غضن وجه الماء، فقلت للجماعة: أجزوا:

حاكت الريح من الماء زرد

فأجازه كل بما تيسر له، فقال لى أبو تمام غالب بن رباح الحجام: كيف قلت يا أبا محمد؟ فأعدت القسم له، فقال:

أى درع لقتال لوجهم

فحفظ القسمان ونسى ما عداهما.

٦٦ - قال على بن ظافر: وقد أنبأنى الفقيه أبو محمد المسكى إجازة، قال: كتب إلى الحافظ السلفى: أنشدنى أبو الفضل أحمد بن عبد الكريم بن مقاتل المقرئ الصنهاجى بالإسكندرية، قال: أخبرنى أبو محمد بن حمديس قال: كنا مع المعتمد بن عباد بجمص الأندلس، فمر على أضاة قد راح عليها الصبا، فأثبت على وجه الماء مثل الزرد، فقال:

نسج الريح على الماء زرد

وطلب الإجازة من شعرائه فلم يجبه أحد، فقلت أنا:

أى درع لقتال لوجهم

فاستحسن ذلك منى، وكنت وقت الإنشاد رابعاً فجعلنى ثانياً، وأمر لى بجائزة سنية. قال على بن ظافر: والحكاية الأولى منصوصة فى ديوان ابن حمديس الذى دونه لنفسه، وهو موجود فى أيدى الناس. والحكاية الثانية رويتها من هذا الطريق، وقد نقله ابن حمديس إلى غير هذا الموصوف، فقال:

نثر الجو على الترب برد أى در لنحور لوجهم

فتناقض المعنى بقوله: البرد، وقوله: لو جمد، إذ ليس البرد إلا ما جمده البرد، اللهم إلا أن يريد بقوله: لو جمد: لو دام جموده، فيصح ويبعد عن التحقيق. ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوارة:

ولربما سلت لنا من مائها سيفاً وكان عن النواظر مغمدا

طبعته لجيا فذابت صفحة منه ولو جهدت لكان مهندا

قال على بن ظافر: وقد أخذت أنا هذا المعنى، فقلت أصف روضاً:

فلو دام ذاك النبت كان زبرجداً ولو جهدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ عن قول على بن التونسي الإيادى من قصيدته الطائية المشهورة:

أولئـقـطـر هـذا الجـو أم نـقـط ما كان أحسنه لو كان يلتقط
وهذا المعنى كثير للقدماء. قال على بن الرومى من قطعة فى العنب الرازقى:

لو أنه يبقى على الدهور قـرط آذان الحـسان الحـور
٦٧ - أنبأنا الشيخان الأجل العلامة أبو اليمن تاج الدين الكندى، والشيخ الفقيه جمال الدين بن الحرستانى إجازة عن الإمام الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر سماعاً، قال: أنبأنا أبو الفرج غيث بن على الصورى، حدثنى أبى، قال: سمعت بكار بن على الرياحى بدمشق يقول: لما وصل عبد المحسن الصورى إلى هنا جاءنى المجدى الشاعر فعرفنى به وقال: هل لك فى أن نغضى إليه ونسلم عليه؟ فأجبت وقمت معه حتى أتينا إلى منزله، وكان ينزل دائماً إذا قدم فى سوق القمح، وكان بين يديه دكان قطان، وفيها رجل أعمى، فوقفت به عجوز كبيرة، فكلمها بشيء وهى منصتة له، فقال المجدى فى الحال:

منصـتـة تـسـمـع ما يـقـول

فقال عبد المحسن فى الحال:

كالـخـلد لما قابـلـته الغـول

فقال له المجدى: أحسنت والله يا أبا محمد، أتيت بتشيهين فى نصف بيت. أعيدك بالله.

٦٨ - قال على بن ظافر: وأخبرنى من أثق به - هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن على اليحصبى القرمونى الزجال بما معناه، قال: ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للتنزه بظاهر إشبيلية فى جماعة من ندمائه وخواص شعرائه، فلما أبعد أخذ فى المسابقة بالخيول، فجاء فرسه بين البساتين سابقاً، فرأى شجرة تين قد أينعت وأزهرت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت، فسدد إليها عصا كانت فى يده فأصابها، وثبتت فى أعلاها، فأطربه ما رأى من حسننها وثباتها، والتفت ليخبر من لحقه من أصحابه، فرأى ابن جاح الصباغ أول لاحق به، فقال: أجز:

كأنـهـا فـوق العـصا

فأجاب مسرعاً:

هامسة زنجى عصى

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله، وأمر له بمجازة سنية.

٦٩ - قال على بن ظافر: وأخبرنى أيضاً أن سبب اشتهاى ابن جاخ هذا أن الوزير أبا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الأندلس، لا يستقر ببلد، ولا يستفزه عن وطره وطن، وكان كثير التطلب لما يصدر من أرباب المهن من الأدب الحسن، فبلغه خبر ابن جاخ هذا قبل اشتهاى، فمر على حانوته وهو آخذ فى صناعة صباغته، والنيل قد جر على مده ذيلًا، وأعاد نهاره ليلاً، فأراد أن يعلم سرعة خاطره، فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء، وأشار إلى يده فقال:

كم بين زند وزند

فقال:

ما بين وصل وصد

فعجب من سرعة ارتجاله مع مضيه فى عمله واستعجاله، وجذب يضبعه، وبالغ فى الإحسان إليه غاية وسعه.

٧٠ - وأخبرنى أيضاً أنه دخل سرقسطة، فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى، فمر عليه ولحم خرفانه بين يديه، فأشار ابن عمار إلى اللحم وقال:

لحم سباط الخرفان مهزول

فقال:

يقول للمفلسين منه زولوا

٧١ - وأخبرنى الشيخ الأجل الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد القرطبى - أيده الله - قال: قال أبو محمد عبد المؤمن بن على صاحب قرطبة والمغرب يوماً فى مجلسه، وقد عوفى من مرضه:

الحمد لله رب العالمين على

ثم طلب إجازته من أهل المجلس، فلم يجبه أحد، فقال أبو العباس ابن حيوس:

برء الإمام الذى فى الأمنين علا

قال لى الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن دحية: صنع شيخنا قاضى الجماعة

برء الإمام الذى فى الناس قد عدلا

ثم عمل فيها أبياتاً.

٧٢ - وأخبرنى الأجل شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير الصدر الكبير نجم الدين أبى الفتح يوسف بن المجاور أدام الله عزه، قال: أخبرنى البهاء الحسن بن على بن محمد الخراسانى المعروف بابن الساعاتى قال: سائرت الفقيه مرتضى الدين نصر الشيرازى - رحمه الله تعالى - فجرى فى الحديث ما أوجب أن قال:

إن هذى النفوس للموت تسعى

واستجازنى فقلت:

فلإذا قليل مات لم يك بدعا

٧٣ - وأخبرنى القاضى الموفق بهاء الدين أبو على بن الديباجى الكاتب قال: أنشدنى القاضى السعيد أبو القاسم بن سناء الملك - رحمه الله تعالى -:

إذا مت مهجوراً فلا عاش عاشق

قال: وقد أعيانى إتمامه على هذا النمط من الجناس، فقلت:

ولا طار للأحباب بعدى طارق

فقال: إنما مرادى أن يكون الجناس متصلاً مثل الأول، فقلت:

وبعدى للأحباب لا طار طارق

٧٤ - قال على بن ظافر: سائرت فى بعض أسفارى سنة ثلاث وستمائة أبا الحسن، وأنا عائد من ميفارقين إلى ماردين، وكان الشتاء كلباً، والبرد قوياً، والوحل شديداً، فلقينا فى تلك العقاب عشا، فقال:

عقاب فى ثناياها عقاب

واستجازنى فقلت للوقت:

فما هى بالعذاب بل العذاب

٧٥ - قال على بن ظافر: وبتنا ليلة بالقرافة، فرأى بعض أصحابنا الزهرة، وقد قارنت المشتري، وهما مشرقان فى حندس الظلماء، فأفرط فى استحسانهما، فقال أبو

الفضل الوجيه جعفر بن جعفر الحموى:

مقارن الزهرة والمشتري

فقلت:

كالزج واللهزم فى السمهرى

فأفرط الجماعة فى استحسانه، ثم وقع لى أن أشبههما بلهزم من ذهب وزج من فضة لاصفرار الزهرة وشدة بياض المشتري، فقلت:

أما ترى المشتري وقد قارن الزهرة يبغي دنو مقرب

كصعدة زجها ولهزمها ذاك لجين وذا من الذهب

٧٦ - قال على بن ظافر: اجتمعت أنا والقاضى الأعز أبو الحسن على بن المؤيد

الغسانى - رحمه الله - يوماً بالرصد، فرأينا شعاع الأصيل فوق بياض الماء، فقلت له: أجز:

أذكت الشمس على الماء لهب

فقال:

فكست فضته منها ذهب

٧٧ - وقلت له يوماً: أجز:

طار نسيم الروض من وكر الزهر

فقال:

وجاؤ مبلول الجناح بالمطر

٧٨ - وذكر أبو على الحسن بن رشيق فى كتاب الأنموذج حكاية مطبوعة، قال:

جلست فى دكان أبى لقمان الصفار - وكان يتهم فى شعره - مع جماعة من الشعراء، وأبو لقمان والدركادو الشاعر يلعبان بالشطرنج، ونحن نضحك لما يجرى بينهما من غريب المهاترة، فقال الدركادو: أجز يا أبا لقمان:

حيتان حبك فى طنجير بلوائى

فقال أبو لقمان:

وفحم وجهك فى كانون أحشائى

فى بدائع بدائه الإجازة ٥٣

فقال له أحمد بن إبراهيم الكمونى: أحسنت يا أبا لقمان، قسيمك خير من قسيمه، فزهى أبو لقمان وقال: أدفع فى بديع الشعر، وهذا شعرى فى الهتف. وإنما لم أورد هذه الحكاية مرتبة فى نظام الحكايات المتقدمة على ترتيب الأعصار والأزمة، إذ كان حقها أن تكون بين الحكايات المنسوبة إلى أبى الفرج والمهلبى والمنسوبة إلى ابن حمدى؛ لأنها ليست من بدائع البدائه، ولم أر إخلاء الكتاب منها لما فيها من الحلاوة.

٧٩ - ومن الإجازة إجازة قسيم بقسيم وبيت، كما يروى لنا أن الرشيد هارون - رحمه الله تعالى - صنع قسيماً وهو:

الملـك لله وحـده

ثم أرتج عليه، فقال: استدعوا من الباب من الشعراء، فدخل عليه جماعة منهم الجمار، فقال: أجزوا - وأنشدهم القسيم - فبدر الجمار فقال:

ولللـخليفة بعـده

فقال له الرشيد: زد، فقال:

وللمـحب إذا مـا حـيـبه بـات عـنده

فقال له الرشيد: أحسنت ولم تعد ما فى نفسى، وأجازه بعشرة آلاف درهم.

٨٠ - وذكر عبید الله بن أحمد بن أبى طاهر فى تاريخ بغداد قال: حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم، قال: استزارنى أحمد بن سعيد الدمشقى وأنا صغير، وسأل أبى أبا الحسن الإذن لى فى المسير إليه، وأخبره أن أحمد بن أبى طاهر، وأبا طالب ابن مسلمة، وعلى بن مهدى، وجماعة من أهل العلم والأدب عنده، فأذن له، فصرت إليه، فصادت عنده أبا الحسن لحظة، فلما أردنا القيام إلى صفة فى داره للأكل لبس الجماعة نعالهم، وبقي لحظة بغير نعل، فسمعتة يقول:

يا قوم من لى بنعل

فقلت:

فى بيت تصحيف نعل

فضحكت الجماعة وغضب الدمشقى، فقلت:

وليس ذا قول جد لـكـنه قول هـزل

فضحك وتعجب القوم من بديهتهى.

٨١ - قال على بن ظافر: صنع المتوكل على بن الأفطس صاحب بطليوس من بلاد الأندلس قسيما، وهو:

الشعر خطـة خسف

وأرتج عليه، فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون أحد وزراء دولته وخواص حضرته، فاستجازه إياه فقال:

لكل طالب عرف

للشيخ عيبة عيب وللفتى ظرف ظرف

وقد أنبأنى الشيخ الأجل الحافظ العلامة ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي إجازة عن الأستاذ المفيد أبى بكر محمد بن خير بقراءته عليه، عن الحافظ أبى القاسم خلف بن يوسف الشترينى - عرف بابن الأبرش - عن أبى الحسن بن بسام فى كتاب الذخيرة، أن قائل القسم الأول الأستاذ أبو الوليد ضابط، وأن عبد المجيد أجازته ارتجالاً، وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

٨٢ - وبهذا الإسناد قال ابن بسام: ذكر أبو على الحسين بن الغليظ المالمقى قال: قلت يوماً للأديب أبى عبد الله بن السراج المالمقى، ونحن على جرية ماء: أجز:

شربنا على ماء كأن خريره

فقال مبادراً:

بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغولاً كئيباً يالفه فإنى مشغوف به وكئيبه

٨٣ - وبه أيضاً ما ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة قال: اجتمع ابن عبادة وعبد الله بن القابلة السبتى بالمرية، فنظر إلى غلام وسيم يسبح فى البحر، وقد تعلق بسكان بعض المراكب، فقال ابن عبادة: أجز:

انظر إلى البدر الذى لاح لك

فقال ابن القابلة:

فى وسط اللجة تحت الحلسك

قد جعل الماء سماءً له وصير الفلك مكان الفلك

قال على بن ظافر: وكل ما أسنده إلى ابن بسام فهذا الإسناد.

٨٤ - ومنها إجازة قسيم بقسيم وأكثر من بيت، أنبأني الشيخان تاج الدين أبو اليمن الكندى، وجمال الدين بن الخراسانى إجازة عن الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن عساكر سماعاً عليه، أخبرنا أبو بكر بن المرزوقى، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز العسكرى، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الصلت المحبر، حدثنا أبو الفرج الأصبهاني، أخبرني جعفر بن قدامة، حدثني أحمد بن أبى طاهر قال: دخلت يوماً على نبت جارية مخفراة - وكانت حسنة الوجه والغناء - فقلت لها: قد قلت مصراعاً فأجيزيه، فقالت لى: قل، فقلت:

يا نبت حسنك يعشى بهجة القمر

فقالت:

قد كاد حسنك أن يبتزنى بصرى

ثم وقفت أفكر فسبقتنى فقالت:

وطيب شرك مثل المسك قد نسمت ربا الرياض عليه فى دجى السحر

فزاد فكرى فبادرتنى فقالت:

فهل لنا منك حظ فى مواصلة أو لا فإننى راض منك بالنظر

فقممت عنها خجلاً، ثم عرضت بعد ذلك على المعتمد، فاشتراها بمشورة على بن يحيى بثلاثين ألفاً. وذكر أحمد بن الطيب عن بعض الكتاب أنها عرضت بعد ذلك على المعتمد، فامتحنها فى الغناء، فرضى بما ظهر منها، وكان أول ما غنته لحناً غريباً - والشعر فى المعتمد - فقالت:

سنة وشهراً قابلاً بسعود

فطرب المعتمد وتبرك بغنائها. ثم قال لأحمد بن حمدون: قارضها، فقال:

وهبت نفسى للهوى

فقالت:

فجار لما أن ملك

فقال:

فصرت عبداً خاضعاً

فقلت:

يسلك بى حيث سلك

فأمر المعتمد بابتياعها، فاشتريت بثلاثين ألفاً.

٨٥ - وبالإسناد المتقدم عن ابن بسام قال: روى أبو عامر بن شهيد قال: لما قدم زهير الصقلى حضرة قرطبة من المرية، وجه أبو جعفر بن عباس وزيره إلى لمة من أصحابنا، منهم ابن برد، وأبو بكر المروانى، وابن الحناط، والطبنى، فحضرُوا، فسألهم عنى وقال: وجهوا إليه، فوافانى رسوله مع دابة بسرج محلى، فسرت إليه، ودخلت المجلس - وأبو جعفر غائب - فتحرك المجلس لدخولى، وقاموا جميعاً إلىّ، حتى طلع أبو جعفر علينا ساحباً ذيلاً لم أر أحداً سحبه قبله، وهو يترنم، فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال، فرد رداً لطيفاً، فعلمت أن فى أنفه نعرة لا يخرج إلا بسعوط الكلام، ولا تراض إلا بمستحصد النظام، ورأيت أصحابى يصيخون إلى ترغى، فقال لى ابن الحناط - وكان كثير الإنحاء علىّ، جالباً فى المحافل ما يسوء الأولياء إلىّ -: الوزير حضره قسيم، وهو يسألنا إجازته، فعلمت أنى المراد، فاستنشدته فأنشد:

مرض الجفون ولشغة فى المنطق

فقلت لمن حضر: لا تجهدوا نفوسكم، فما المراد غيرى، ثم أخذت الدواة فكتبت:

سبيان جرا عشق من لم يعشق

من لى بالثغ لا يزال حديثه يذكى على الأكباد جهرة محرق

ثم قمت عنهم، فلم يلبثوا أن وردوا علىّ، وأخبرونى أن أبا جعفر لم يرض بما جئت به من البديهة، وسألونى أن أحمل مكافئ الهجاء على حقارة - وزعموا أن إدريس بن اليمانى هجاه فأحسن، فقلت:

أبو جعفر كاتب شاعر ملىح سنى الخط حلو الخطابه

تملاً شحماً ولحمًا وما يلىق تملؤه بالكتابه

له عرق ليس ماء الجباه ولكنه رشح ماء الجنابه

جرى الماء فى سفله جرى لىن فأحدث فى العلو منه صلابه

قال على بن ظافر: وأحسب أن الذى هجاه به إدريس وأفحش فيه قوله، وقد كان وفد عليه بالمربة وامتدحه بقصيدة، فلم يحفل به، فأنفذ إليه عند خروجه منها يقول:

إيه أبا جعفر المرجى ما بال طيرى خلاف طيرك
أهديت رقراقاة المعانى لم أهد أمثالها لغيرك
فلم تمررها ولم تمرنى ولم تمرها بفضل ميرك
فصار شعرى لديدك بكرأ قد يئست من فلاح أيرك

٨٦ - وذكر العميد أبو الحسين على بن الحسن بن أبى الطيب الباخري فى كتابه: دمية القصر وعصرة العصر قال: حدثنى الأديب يعقوب بن أحمد قال: أنشدت بحضرة أبى كامل مفرج بن دغفل الطائى:

سهل الكميت فقلت مالك تصهل
فغيره بعض الحاضرين فقال:

نعب الغراب فقلت مالك تنعب
فقال أبو كامل بديهاً:

أنأى أليفك أم لحال ترهب

أم بت تخبرنا بفرقة جيرة قد آن فى شعبان أن يتشعبوا
٨٧ - وأنبأنى الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على بن المفضل المقدسى وقال: أنبأنى الفقيه أبو القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن سعيد السرقسطى، عن عبد الحافظ أبى عبد الله محمد بن عمر الأشبونى، قال: قصد ابن جاج الشاعر فخر الدولة أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد، فلما وصل إليه قال: أجز:

إذا مررت بركب العيس حييها
فقال ابن جاج فى الحال:

يا ناقتى فعسى أحبابنا فيها

ثم زاد فقال:

يا ناق عوجى على الأطلال عل بها منهم غريباً يرانى كيف أبكيها
أم كيف أرفض طيب العيش بعدهم أم كيف أسكب دمعا فى مغانيها

إنى لأكتم أشواقى وأسترها جهدى ولكن دموع العين تبديها
٨٨ - وذكر الوزير أبو بكر بن اللبانة الدانى فى كتاب سقيط الدرر ولقيط الزهر:
صنع المعتمد على الله بن عباد - رحمه الله تعالى - قسيماً فى القبة المعروفة بسعد
السعود فوق المجلس بالزاهى، وهو:

سعد السعود يتيه فوق الزاهى

ثم استجاز الحاضرين فعجزوا، فصنع ولده عبد الله الرشيد:

وكلاهما فى حسنه متناه

ومن اغتدى سكتاً لمثل محمد قد جل فى العليا عن الأشباه

لا زال يخلد فيهما ما شاء ودهت عداه من الخطوب دواه

٨٩ - وكذلك ما روى أن القاضى الفقيه أبا الحسن على بن القاسم بن محمد بن
عشرة أحد رؤساء المغرب الأوسط، تنزه مع جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى
ابن سوار الأشبونى، ورجل يسمى بأبى موسى، خفيف الروح، ثقیل الجسم، فجعل
يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم، فصنع القاضى أبو الحسن معابثاً له:

وشاعر أثقل من جسمه

ثم استجاز ابن سوار فقال:

تأتى معانيه على حكمه

يهجو ولا يهجو فهل عندكم ظلامة تعدى على ظلمه

لسانه فى هجوه حية منية الحية فى سمه

أما أبو موسى ففى كفه عصا ابنه والسحر فى نظمه

يصيب سر المرء فى رميه كأنما العالم فى علمه

٩٠ - وأخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد المقدم ذكره - رحمه الله - قال: أخبرنى
الشيخ أبو الحسن على بن عمر المفسر الأندلسى، قال: كتب أبو بكر البنسى إلى
الأديب أبى بحر صفوان بن إدريس هذين البيتين يستجيزه القسم الأخير منهما، وهما:

خليلى أبا بحر - وما قرقف اللمى بأعذب من قولى خليلى أبا بحر

أجز غير مأمور قسيما نظمته تأمل على بحر المياه حلى الزهر

فأجازه بقوله:

كعهذك بالخضرء والأنجم الزهر

وقد ضحكت للياسمين مباسم سروراً بأداب الوزير أبى بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع لتسمع ما تتلوه من سور الشعر
قال: وهذان الرجلان من الفضلاء فى عصرنا هذا.

٩١ - ومنها إجازة بيت بيت، فمن ذلك ما روى يونس بن حبيب، قال: لما بنى يوسف بن زياد داره بالساحة صنع طعاماً، ودعا أصحابه فدخلوا الحمام المعروف بحمام فيل، ثم خرجوا فتغدوا عنده، وركبوا المهاليج والمقاريف والبغال، واجتازوا بحارثة بن بدر الغداني وأبى الأسود وهما جالسان، فقال أبو الأسود:

لعمر أبىك ما حمام كسرى على الثلثين من حمام فيل
فقال حارثة:

ولا إيجافنا خلف الموالى بسنتنا على عهد الرسول
٩٢ - وروى حبيب بن نصر المهلبى قال: سافر يزيد بن معاوية بالأخطل، فاشتاق يزيد أهله، فقال:

بكى كل ذى شجو من الشام شاقه تهام فأنى يلتقى الشجيان
وقال: أجز يا أخطل، فقال:

يغور الذى بالشام أو ينجد الذى بغور تهامات فيلتقىان
٩٣ - وروى عمر بن عبد الله العتقى، عن الرقاشى، عن أبى عبيدة، قال: كان حارثة بن بدر بدير كوار يتنزه، فقال:

ألم تر أن حارثة بن بدر أقام بدير أبلق من كوارا
ثم قال للجد الذين كانوا معه: من أجاز هذا البيت فله حكمه، فقال رجل منهم: على أن تجعل لى الأمان من غضبك، وتجعلنى رسولك إلى البصرة، وتطلب لى النفل من الأمير، قال: ذلك لك، ثم ردد عليه البيت، فقال:

مقيم يشرب الصهباء صرفاً إذا ما قلت تصرعه استدرارا
فقال له حارثة: لك شرطك، ولو كنت قلت لنا قولاً تسرنا لسررناك.

٩٤ - وروى أبو روح الراسبى قال: لما ولى خالد بن عبد الله القسرى مالك بن

المنذر شرطة البصرة، قال الفرزدق:

يبغض فينا شرطة المصر أننى رأيت عليها مالكا أثر الكلبى
قال: فقال مالك: علىّ به، فبلغه فقال:

أقول لنفسى إذ تغص بريقها ألا ليت شعرى ما لها عند مالك
قال: فسمع قوله حائك يطلع من طرازه، وقال:

لها عنده أن يرجع الله ريقها إليها وتنجو من عظيم المهالك
قال الفرزدق: هذا أشعر الناس، أو ليعودن مجنوناً يصيح به الصبيان، فكان كما قال.

٩٥ - وروى أن عبد العزيز بن عمر عبد العزيز - رحمه الله - خرج وهو أمير
المدينة ومعه عبد الله بن الحسن، فنزلوا تحت سرحة وتغدوا، وأخذ عبد الله حجراً،
وكتب به على ساق السرحة يقول:

خبرينا خصصت بالغيث يا سر ح بصدق فالصدق فيه شفاء
فأخذ عبد العزيز الحجر وكتب تحته:

هل يموت المحب من ألم الحب ويشفى من الحبيب اللقاء
ثم ركبوا دوابهم ومضوا غير بعيد، فإذا السماء قد أقبلت عليهم، فرجعوا مسرعين
إلى السرحة، فأضافوا تحت ما كتبوا:

إن جهلاً سؤالك السرح عما ليس يوماً به عليك خفاء
ليس للعاشق المحب من العشد ق سوى لذة الوصال دواء
فعجبوا وانصرفوا.

٩٦ - حدث المدائنى قال: وهب نصر بن سيار لأبى عطاء السندى جارية، فبات
معه، فلما أصبح غدا على نصر، فقال له: كيف كانت ليلتك معها؟ قال: كان بينى
وبينها ما شرد منامى، وقضى مرامى، قال: فهل قلت فى ذلك شعراً؟ قال: نعم،
وأنشد:

إن النكاح وإن هزلت لصالح خلفا لعينك من لذيذ المرقد
فقال نصر:

ذاك الشقاء فلا تظنن غيره ليس المجرب مثل من لم يشهد

فى بدائع بدائه الإجازة ٦١

٩٧ - وروى زحر بن حصن قال: خرجنا من مكة مع المنصور فى زمان صائف، فلما كان بزالة ركب نجيباً، والشمس تلعب بين عينيه، وعليه جبة وشى، فالتفت إلينا وقال: إنى قائل بيتاً، فمن أجازة فله جبتى هذه، قلنا: يقول أمير المؤمنين، فأنشد:

وهاجرة نصبت لها جبينى يقطع حرها ظهر العظايه
فبدر بشار فقال:

وقفت لها القلوص ففاض دمعى على خدى وأقصر واعظايه
فخرج له عن الجبة، ثم لقيته فذكر أنه باعها بخمسائة دينار. وقد ذكرها الصولى فى كتاب الأوراق على غير هذا السياق.

٩٨ - وروى أن رسول عليّة بنت المهدي - أو عائشة بنت الرشيد - خرج يوماً إلى الشعراء، فقال: تقرئكم سيدتى السلام وتقول: من أجاز هذا البيت منكم فله مائة دينار، فقالوا: وما هو؟ فأنشد:

أنلى نوالاً وجودى لنا فقد بلغت نفسى الترقوه
فبدرهم مسلم بن الوليد الصريع فقال:
وإنى لكالدلو فى حبكم هويت إذا انقطعت عرقوه
فخرجت له المائة دينار.

٩٩ - وروى محمد بن حسن الحاتمى، عن أبى العيناء، عن العتبى، قال: دخل يحيى ابن خالد بستان داره ومعه جاريتة دنانير، فرأى بهجة الورد على شعره، فقال: أجيزى:

الورد أحسن منظراً فتمتعوا باللحظ منه
فقال مسرعة:

فإذا انقضت أيامه ورد الخدود ينوب عنه
فاستحسن ذلك منها، وأمر لها بمال جزيل بعد أن قبل خدها.

١٠٠ - وروى الحسين بن الضحاك قال: كنت أمشى مع أبى العتاهية فمرنا بمقبرة، فإذا امرأة تبكى ولدأ لها، فقال أبو العتاهية:

فما تنفك باكيةً بعين غزير دمعها كمد حشاها
أجز يا حسين، فقلت:

٦٢ فى بدائع بدائه الإجازة

تنادى حفرة أعيت جواباً فقد ولدت وصم بها صداها
١٠١ - وروى أن أبا نواس دخل على عنان جارية الناطفى فى بعض أيام الربيع،
فقال: أجزى:

كل يوم عن أقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء
فقلت مسرعة:

فهو كالوشى من ثياب عروس جلبتها التجار من صنعاء
قال على بن ظافر: والبيت الأول أظنه لابن مطير من قصيدة، إلا أنه منسوب فى
الموضع الذى نقلت منه إلى أبى نواس، فأوردته كما وجدته.

١٠٢ - وروى أنه دخل عليها يوماً وهى تبكى، وقد كان مولاها ضربها، فقال:
بكت عنان فجرى دمعها كلؤلؤ ينسل من خيطه
فقلت:

فليت من يضربها ظالماً تجف يمناه على سوطه
وقد روى أبو الفرج الأصبهاني هذه الحكاية عن مروان بن أبى حفصة، وأنه الذى
استجازها البيت الأول.

١٠٣ - وروى محمد بن الأشعث قال: قال دعبل بن على الخزاعى: مررت أنا
ورزين العروضى بقوم من بنى مخزوم، فلم يقرونا، فقلت فيهم:

عصابة من بنى مخزوم بت بهم بحيث لا تطمع المسحاة فى الطين
ثم قلت لرزين: أجز: فقال:

فى مضغ أعراضهم من خبزهم بنو النفاق وآباء الملاحين
قال ابن الأشعث: وكان هذا أقوى الأسباب فى مهاجاته لأبى سعيد المخزومى.

١٠٤ - وروى لنا أن العباس بن الأحنف دخل على الذلفاء جارية ابن طرخان،
فقال لها: أجزى:

أهدى له أصحابه أترجة فبكى وأشفق من عيافة زاجر
فقلت ارتجالاً:

خاف التلون فى الوداد لأنها لونان باطنها خلاف الظاهر
فجن استحسنًا، وحلف لها - وكانت تعزه - إن ادعته ما دخل دارها. فتركته له
فاستلحقه.

١٠٥ - وذكر ابن القمى فى كتاب النباهة قال: دخل أبو السمراء على نخاس،
فسمع بكاء من داخل البيت وقائلة تقول:

أصابهما ريب الزمان فأفردا لدى خفض عيش مونق معجب
وكنا كزوج من قطا فى مفازة ولم نر شيئاً قط أوحش من فرد
فقال للنخاس: أخرجها، فقال: إن صاحبها مات، وهى شعثة مغبرة. قال: فخرجت
فقال لها: قولى فى معنى هذا، قالت: أى معنى؟ قال: فى معنى هذين البيتين اللذين
تمثلت بهما، فقالت:

وكنا كغضى بانه وسط روضة نشم جنى الجنات فى عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع فيا فردةً باتت تحن إلى فرد
فكتب الأمير أبو السمراء عبد الله بن طاهر بخبرها، فكتب: إن أجازت هذا البيت
فاشترها، وهو:

بعيد وصل بديع صد جعلته فى الهوى ملاذا
فقال مسرعةً:

فعاتبه فزاد شوقا فمات عشقا فكان ماذا
فاشترها أبو السمراء، فمات من الغد.

١٠٦ - وروى إبراهيم بن محمد اليزيدى، قال: كنت عند المأمون يوماً وبجضرته
عريب، فقالت لى - على سبيل الولع والعبث -: يا سعلوس - وكانت جوارى المأمون
يلقبني بها عبثًا - فقلت:

فقل لعريب لا تكونى مسعلسه وكونى كتتريف وكونى كمؤنسه
قال: فبدرنى المأمون فارتجل:

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شك أن ذا منك وسوسه
فقالت له: كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول وعجبت من ذهن المأمون وجودة

١٠٧ - أنبأنا الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى، عن السلفى، قال: أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوى، وابن بغلان الكبير، قالوا: أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستانى الحافظ، قال: أخبرنا أبو يعقوب النجيرمى، حدثنا ابن سيف قال: حدثنا محمد بن العباس اليزيدى قال: حدثنى عم أبى أحمد بن محمد اليزيدى قال - واللفظ من رواية أخرى قريب من لفظ هذا الإسناد - قال: دعا المعتصم أخاه المأمون ذات يوم إلى داره، فأتاه فأجلسه فى بيت على سقفه جامات، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجوامات على وجه سيما التركى غلام المعتصم، وكان أحسن تركى على وجه الأرض، وكان المعتصم أوجد خلق الله به، فصاح المأمون لأحمد بن محمد اليزيدى، فقال انظر ويلك إلى ضوء الشمس على وجه سيما، رأيت أحسن من هذا قط! وقد قلت:

قد طلعت شمس على شمس فزالت الوحشة بالأنس
فأجز يا أحمد، فقال أحمد:

قد كنت أشنا الشمس من قبل ذا فصرت أرتاح إلى الشمس
قال: ففطن المعتصم فعرض شفته لأحمد، فقال أحمد للمأمون: والله يا أمير المؤمنين، إن لم يعلم الأمير حقيقة الأمر منك لأقنع معه فيما أكره. فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم، فقال له المأمون: أكثر يا أخى فى غلمانك مثله، إنما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غير. وقد وقعت لنا هذه الحكاية بإسناد أخصر من هذا عن ابن سيف هو مذكور فى إجازة قسيم بقسيم.

١٠٨ - وحكى صاحب كتاب المقتبس أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام صاحب الأندلس خرج فى بعض أسفاره، فطرقه خيال جاريته طروب أم ولده عبد الله، وكانت أعظم حظاياه عنده وأرفعهن لديه، لا يزال كلفاً بها هائماً مجبها، فاتبه وهو يقول:

شاقك من قرطبة السارى فى الليل لم يدرب به الدارى
ثم انتبه عبد الله بن الشمر نديمه، فاستجازه كمال البيت، فقال:

زار فحيا فى ظلام الدجى أحبب به من زائر سار

١٠٩ - وذكر الصولى فى كتاب الأوراق برواية تنتهى إلى جعفر بن محمد بن عبد الواحد الهاشمى قال: دخلت على المتوكل على الله لما توفيت أمه معزياً، فقال: يا جعفر، إنى ربما قلت البيت الواحد، فإذا جاوزته توقفت وقد قلت:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا فعزيت نفسى بالنبى محمد
قال: فأجازه بعض من حضر المجلس فقال:

وقلنا لها إن المنايا سبيلنا فمن لم يمّت فى يومه مات فى غد
قال الصولى: فظننا أن جعفر بن محمد بن عبد الواحد قائل البيت.

١١٠ - قال مروان بن الجنوب: دخلت على المتوكل، فرمى إلى برقة فيها بيت شعر، وهو:

أدرت الهوى حتى إذا صار كالرحى جعلت محل القلب فى موضع
وتحت البيت: أجز يا مروان، فكبت تحت:

فلما جعلت القلب تحت رضى الهوى ندمت وصار القلب فى موضع
١١١ - وذكر يزيد بن محمد المهلبى، قال: كان ابن المعتز يشرب يوماً فى بستان مملوء بالنمام وشقائق النعمان، فدخل عليه يونس بن بغا، وعليه قباء أخضر، فقال ابن المعتز لما رآه ارتجلاً:

شبهت حمرة خده فى ثوبه بشقائق النعمان فى النمام
ثم قال: أجزوا، فبدر بنان المغنى - وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت - فقال:

والقد منه وقد بدا فى قرطق بالغصن فى لين وحسن قوام
فطرب ابن المعتز وقال له: غن فيه الآن، فصنع فيه لحناً.

١١٢ - وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر فى تاريخه قال: حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم، قال: صرت إلى أبى زيد عمر بن شبة، فقال لى: قد قلت بيتاً تعذر علىّ ثان له، فأحب أن تحيزه فقلت: وما هو؟ قال:

كبرت وغالتنى خطوب تتابعت ومن يصحب الأيام لا بد يهرم
فقلت:

ومن يصحب الأيام تنقص خطوبها قواه ويجهل بعض ما كان يعلم

فأعجب به، وحدث الناس بما بيننا، فكتبوه عنه.

١١٣ - أنبأنى الفقيه النبیه أبو الحسن بن المقدسى، عن أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى، عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن أبى نصر بن عبد الله الحميدى قال: حدثنى أبو محمد على بن أحمد قال: حدثنى أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى بن هاشم القاضى المعروف بابن الغليظ، أن صهيب بن منيع - قال على بن ظافر: وكان قاضياً ببعض بلاد الأندلس، ومات بها فى أيام الناصر عبد الرحمن سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة - كان نقش خاتمه:

يا عليما كل غيب كن رءوفا بصهيب

وأنه كان يشرب النبيذ - لعله كان يذهب مذهب أهل العراق - فشرب مرة عند الحاجب موسى بن حدير - وكان من عظماء الدولة الأموية - فسكر ونام، فأمر موسى باختلاس خاتمه، وأحضر نقاشاً، فنقش تحت البيت المذكور:

واستر العيب عليه إن فيه كل عيب

ورد الخاتم عليه وختم به زماناً حتى فطن له.

١١٤ - وأنبأنى الشيخان الأجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندى، والفقيه جمال الدين بن الحرستانى، عن الشيخ الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن عساكر سماعاً، أخبرنا أبو النجم بدر الدين عبد الله السنجى، أخبرنا أبو بكر الخبيب، أنبأنا على بن أبى على المعدل، حدثنى أبى، حدثنى عبد العزيز بن أبى بكر المحرف العلاف الشاعر - وكان أحد ندماء المعتضد - قال: كنت ليلة فى دار المعتضد، وقد أطلنا الجلوس بحضرته، ثم نهضنا إلى مجلسنا فى حجرة كانت مرسومة بالندماء. فلما أخذنا مضاجعنا وهدأت العيون، أحسنا بفتح الأبواب وتفتيح الأقفال بسرعة، فارتاعت الجماعة لذلك، وجلسنا فى فرشنا، فدخل إلينا خادم من خدم المعتضد، فقال لنا: إن أمير المؤمنين يقول لكم: أرقت الليلة بعد انصرافكم فعلمت هذا البيت:

ولما انتبهنا للخيال الذى سرى إذ الدار قفر والمزار بعيد

وقد أرتج على إتمامه فأجيزوه، ومن أجازه بما يوافق غرضى أجزلت عطيته - وفى الجماعة كل شاعر مجيد مذكور، وأديب فاضل مشهور - فأفحمت الجماعة، وأطالوا التفكير، فقلت مبتدراً:

فقلت لعينى عاودى النوم واهجعى لعل خيالاً طارقاً سيعود
فرجع الخادم إليه بهذا الجواب، ثم عاد فقال: أمير المؤمنين يقول لك: أحسنت وما
قصرت، وقد وقع بيتك الموقع الذى أريده، وقد أمرت لك بجائزة وها هى، فأخذتها
فازداد غيظ الجماعة منى.

١١٥ - وقال يزيد بن أبى اليسر الرياضى فى كتابه الأمثال: دخل رحمون الفارسى
على أبى وهو مريض، فقال له: كيف أصبحت؟ فقال:

يكاد جسمى من تحول الضنى تحمله أنفاس عوادى
فقال رحمون: هل ترى أن أزيد عليه يا أبا اليسر؟ فقال: نعم، فقال رحمون:

لم يبق إلا الروح فى مهجة يروح أو يغدو بها الغادى
١١٦ - أنبأنى القاضى الفقيه الإمام نبيه الدين أبو الحسن بن على بن المفضل
المقدسى - رحمه الله - قال: أخبرنى الشيخ الفقيه أبو القاسم على بن مهدى بن قلبا
الإسكندرى، قال: أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الجبار بن سلامة الهذلى قال: أخبرنا
أبو القاسم على بن جعفر بن على الصقلى، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن على بن
الحسن التميمى قال: أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن محمد النيسابورى قال: أخبرنا أبو
منصور الثعالبى فى كتاب اليتيمة، أن الصاحب بن عباد اتهم بعض المرد فى مجلسه
بسرقة بعض كتبه، فقال:

سُرقت يا ظبى كتبى ألحقت كتبى بقلبى
وأمر أبا محمد الحسن بن أحمد البروجردى بإجازته، فقال:

فلو فعلت جهيلاً رددت قلبى وكتبى
وكل ما أسنده إلى اليتيمة فهذا الإسناد.

١١٧ - وذكر الرئيس هلال بن الصابى أن الصاحب بن عباد قال: أرسل إلى
الأستاذ الرئيس أبو الفضل بن العميد يستدعيني فى وقت لم تجر عادته باستدعائى فى
مثله، فتهيأت للمضى، فجاءنى رسول ثان، فركبت فلقينى ثالث يستحثنى، فارتبت
وارتعت، فلما دخلت عليه قال: قلت بيتاً ثم أعيتت عن إتمامه، وهو:

وجاءوا بظبى كمثّل الغزال يـنـاك على الرسم فى مثله
فقلت فى الحال:

فأدخلت بعضى فى بعضه فيالسيت كللى فى كله
فجعل يكثر التعجب منى، ثم انصرفت.

١١٨ - وأنبأنا العماد أبو حامد الأصفهاني قال: ذكر السمعاني فى تاريخه قال:
سمعت أبا المظفر منصور بن محمد بن سعيد بن مسعود المسعودى المروزى فى مذاكرتى
إياه يقول: دخلت على العزيز الخشاب - وشبل الدولة عنده حاضر - فقال العزيز:
قلت اليوم بيتاً - وأنشده:

صفو دن العمر فى عصر الصبا وزمان الشيب دردى محيل
وقال لشبل الدولة: أجز، فقال مبادراً:

والذى يطلب صفواً بعده إنما يطلب شيئاً مستحيل
١١٩ - أخبرنى الشيخ أبو عبد الله بن على اليحصبى القرمونى قال: سمعت أبا
بكر اليكى الشاعر - وهو بجامع عدوة القرويين بفاس - يحكى لأبى ولجماعة معه،
قال: خرجت من فاس قاصداً تلمسان، فدخلت فى بعض الخانات، وكانت ليلة مطيرة
جداً، فأنزلنى صاحب الخان فى بيت مفرد، وأوقد لى قنديلاً، فبينما أنا جالس، وإذا
برجل قد فتح الباب، ودخل على وعلى وجهه سلهامة قد سترته، فجلس وقد عرفنى
ولم أعرفه، فسألته عن صناعته، فقال: أنا شاعر، فقلت له كالمستهزئ به: أجز -
وضربت بعينى إلى شىء أصفه، فلم أجد غير القنديل، فقلت:

وقنديل كأن الضوء فيه محيا من أحب إذا تجلى
فقال فى الحال:

أشار إلى الدجى بلسان أفعى فشمز ذيله هرباً وولى
فجنت استحساناً لما أتى، فكشف السلهامة عن وجهه، فإذا هو أبو العباس البنى
الشاعر، فقال: كيف ترى هذا الكهن وما فجأك منه، وبتنا بأطيب ليلة، فلما قام الركب
للسفر سار هو إلى فاس، وسرت أنا إلى تلمسان.

١٢٠ - وأخبرنى القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك - رحمه الله -
قال: أخبرنى الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال: اجتمعت فى
بعض الأيام بأمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد - قال على بن ظافر: هو
المعروف بابن التلميذ، وإنما أمه من بنات التلميذ فعرف بذلك - قال: فأخذنا فى ذم

فى بدائع بدائه الإجازة ٦٩

الدهر وإخناؤه على أهل الفضل، وإذا بكلاب الصيد التى برسم الخليفة قد أبرزت فى جلال الوشى والديباج، فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدا به فى ذم الدهر، فقلت:

من كان يكسو الكلب وش ——— ياً ثم يقنع لى بجلدى
واستجزته فقال:

الكلب خير عنده ——— منى وخير منه عندى
١٢١ - وأخبرنى الأجل بهاء الدين بن الساعاتى المقدم ذكره، قال: حضرت مجلس سماع عند بعض الرؤساء، فغنى مغن قبيح النغمة، سيئ الضرب، فقال لبعض الحاضرين:

من منصفى ممن إذا ——— ماناح فحت لقبح نغمه
واستجازنى فقلت:

هو خارج وقت الغنا ——— وداخل فى رحم أمه
١٢٢ - وأخبرنى الفقيه أبو ثابت بن حسن الكربونى بالإسكندرية، قال: حضرت أنا والأديب عبد المنعم بن صالح الحريرى صاحبنا ببعض الأماكن، ورجل يقرأ المقامات التى صنفها الحريرى على رجل آخر، وهما يصحفان فيها، فقال عبد المنعم:

يا أيها الثور البهيم الذى ——— يقرأ المقامات على الثور
ثم استجازنى فقلت:

دع المقامات لأربابها ——— وعد إلى النافات والدور
١٢٣ - قال على بن ظافر: حضر عندى وأنا برأس العين فى خدمة الملك الأشرف - أدام الله أيامه - الأديب الموفق على بن محمد البغدادى الساكن بها، والفقيه بهاء الدين بن كساء الشاعران، وعندنا رجل يعرف بالضياء بن الزراد - مصرى معروف - وكانوا يمجنون، فعمل ابن كساء بديهة وقال:

رأيت الضياء وفى دبره ——— قمد كزند البعير الشديد
ثم استجاز الموفق، فقال فى الحال:

كأن جهنم فى دبره ——— تقول لآتيه هل من مزيد
ثم صنع الموفق فيه بديهة:

زمان الضياء رعاه الإله عيد ولكن به يرتزق
 فطوراً بأعلاه رمى القبق وطوراً بأدناه طعن الحلق
 بنا وبه أعظم الحاليتين فمنه البغاء ومنا الشبق
 فلو جمعنا به خلوة لقد قيل وافق شن طبق
 وهذا المعنى الذى فيه ذكر الحلق والقبق معنى مطبوع، إلا أنه لم يحسن نظمه، وقد
 نظمته أنا على سبيل التجريب للخاطر، فقلت:

لقد عيد الترك فى ذا الرقيق وعاطوه باللعب أكواسه
 بنيك يقطع أعفاجه وصفع يززع أضراسه
 فكم جعلوا حلقة دبره وكم جعلوا قلباً راسه
 وقلت أيضاً فى المعنى:

أصبح عيداً للترك من هو كالم أتم فى عين من رأى خلقه
 وفوه بالنيك تارة وبمر الصفع أخرى من لعبهم حقه
 إن قر فالطعن بالأيور وإن فر أجادت نعالهم رشقه
 فللسراميز رأسه قبق وللفياشى خناره حلقه

١٢٤ - قال على بن ظافر: كان يصحبني وأنا فى خدمة الأشرف - أبقاه الله -
 رجل كاتب حسن الخط من أهل العلم والخبرة، هاجر إلى دمشق يقال له: جمال الدين
 على بن أبى طالب، فلما رأيت ما عليه الأحوال من الاختلال، وقويت فى نفسى
 شهوة الانفصال، كنت ليلى ونهارى مكباً على الدعاء بتسهيل ذلك وتعجيله، وتيسير
 ما أرجوه منه، وأقمت على هذا مدة طويلة، بحيث كان الأمر مشهوراً عند كل أحد من
 الحاشية، فأخبرنى أنه بات مشغول القلب بما يسمعه منى فى ذلك، فرأى كأنه فى جامع
 دمشق تحت النسر، وإلى جانبه شيخ، وكأنهم ينتظرون الصلاة، وإذا برجل شاب قد
 أقبل من الباب الغربى، فقال له الشيخ: يا أبا العباس أجز:

إن ابن ظافر سوف يظ — فر بالذى يرجوه عاجل
 فقال:

ظفرت عدها بخيبة وغدا لما قد شاء نائل
 فسررت بذلك، فلم يكن شىء أسرع من عود الملك الأشرف - أبقاه الله - من

دمشق، وانفصالي من خدمته على الوجه الجميل، وكان ذلك - والله - أعظم ظفري وأرفق قدر، ولو لم يكن فيه إلا الرجوع إلى الباب الذي منه درجت، وفي خدمته تخرجت، والوطن الذي هو أول أرض مس ثراها جلدي، وعلقت فيه تائمي، فالله تعالى يحقق الرجاء، ويكمل الأمل بمنه وطوله.

١٢٥ - وكنت أنا وابن المؤيد يوماً عائدین إلى مصر، فثار قتال شديد ترب وجه الأرض، وأقذى عين الشمس، فقال:

وقد استأثرت إذا رأيته عاد مما يقضيه مثل الضرير
ثم استجازني فقلت:

رد ثوبی مصندلاً بعدما کان شدید النقاء کالکافور
 ۱۲۶ - واجتمعت يوماً بالأجل شهاب الدین ابن أخت الوزير نجم الدین العزیزی
 رحمه الله، فأنشدنی لنفسه فی غلام رآه فی الحمام مؤتزرًا بإزار أخضر:

ومرتج ردف ازروه بأخضر کما ماج ماء قد تردی بطحلب
واستجازنی فقلت:

يُخِيلُ لِي مَرَّاهُ نَعْمَانُ أَطْلَعْتَ قَضِييَا عَلَى حَقْفِ لَيْبَرِينَ مَعْشَبِ
 قَالَ الْقَاضِي الْفَقِيهْ جَمَالُ الدِّينِ: وَهَاتَانِ حِكَايَتَانِ قَرَأْتُهُمَا فِي بَعْضِ الْجَمَاعِيْعِ، وَلَمْ
 أَعْرِفْ رَوَاتَهُمَا، فَاسْتَدَلُّ بِهِمْ عَلَى عَصْرِهِمْ، فَلِذَلِكَ أَفْرَدْتُهَا هَاهُنَا وَلَمْ أَضْعُفْهُمَا فِي نِظَامِ
 الْحِكَايَاتِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى تَرْتِيبِ الْأَعْصَارِ، خَوْفًا مِنْ نَقْدِ مُنْتَقِدِ:

١٢٧ - إحداهما: قال أبو سليمان الواسطي: مر بنا موسوس كان يؤثر عنه أدب،
والسماء مغيمة، فتعرضت له وقلت:

أرى يومنا يوما تكامل حسنه ويوشك أن اليوم لا شك ماطر
وقلت له: أجز، فوقف وقال:

وقد سترت فيه السحائب شمسه كما سترت ورد الخدود المعاجر
١٢٨ - والأخرى قال أبو على: اجتمعنا في بعض الأيام جماعة من أهل الأدب،
وخرجنا إلى منتزه، فوقفنا في ظل قصر لنستريح، ف وقعت علينا منه رقعة فيها: أجزوا
هذا البيت:

ولى مقلّة عهدا بالكرى بعيد وبالدمع عهد قريب
فكتبت تحته:

يحار إذا مرفيها المنام كما حار فى الحى ضيف غريب
ثم صرفنا الرقعة مع بواب القصر، فأخرج إلينا سفرة فيها طعام كثير وأشياء فيها
عون لنا على نزهتنا. قال على بن ظافر: وأحسب أن أبا على هذا الحاتمى، فإن صح
الحديث فينبغى أن يكون بعد حكاية الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى.

١٢٩ - ومن إجازة بيت بيت ما يكون الشاعر قد عمل بيتاً واستجاز له أولاً، أو
عمل بيتين وأراد إبدال أحدهما أو الاختبار فيه، مثل ما أنبأنا به العماد أبو جعفر
الأصبهاني قال: أخبرنى الأمير الأجل نجم الدين بن مصال، أن شاباً يعرف بأحمد الآبى
من أهل الإسكندرية سافر إلى الشيخ الأجل أبى بكر أحمد بن محمد العيذى التميمى
الكاظم فاضل اليمن ورئيسه، وانتفع من جانبه، وأن أحمد ذكر عنه أنه عمل أبياتاً يهنئ
فيها الداعى بطهور أولاده، من جملتها قوله:

كذبالة المصباح يقضى قطعها عند الخمود لها بقوة ناره
قال: فقال الأديب العيذى: يصلح أن يكون لهذا البيت توطئة من قبله، فقال:

أخذ من العضو الشريف قضى له ثير فيه بمقتضى آثاره
١٣٠ - قال العماد: ونقلت من مجموع أبى المعالى الكتبى لأبى القاسم الهمدانى:

حنى الشيب ظهري واستمرت ولولا الحبول البيض لم تحسن
تعيرنى وخط الشيب بعارضى ولولا انحناء القوس لم ينفذ السهم
قال: فنظمت المعنى وقلت:

يفيد العقل اليقظ التغابى ليدرك فى الغنى حظ الغبى
فلم تصب السهام على اعتدال بها لولا اعوجاج فى القسى
قال: وأنشدتها للأمير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ، فصنع فى الحال بدل الأول من
البيتين، وهو:

أرى أن الحلیم به افتقار إلى جهل الفتى الغر الغبى
١٣١ - قال على بن ظافر: وبالإسناد المتقدم عن أبى الحسن على بن بسام

فى بدائع بدائه الإجازة ٧٣

الشنترينى مما أورده فى كتاب الذخيرة ما هذا معناه، واللفظ لى: أن المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن عباد صاحب إشبيلية وغرب الأندلس جلس يوماً للشرب، وذلك فى وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا، وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرًا، وبين يديه ساقية تحجل الزهر بطيب العرف والريا، وتقابل بدر وجهها بشهاب الكاس فى راحة الثريا، فاتفق أن لعب البرق بحسامه، وأجال سوطه المذهب ليسوق به ركاب ركاه، فارتاعت لخطفته، وذعرت من خيفته، فقال بديها:

روعهـا البرق وفى كفها برق من القهـوة لماع
عجبت منها وهى شمس الضحى كيف من الأنوار ترتاع
وحين صنعهما أطربه معنهما وهزه، وحركة استحسانهما واستفزه، فاستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى، وأنشده البيت الأول، فقال عبد الجليل:

ولن ترى أعجب من آنس من مثل ما يمـسك يرتاع
فاستحسنه وأمر له بجائزة. وبيته أحسن من بيت المعتمد عندى.

١٣٢ - وأخبرنا القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك - رحمه الله - بما هذا معناه، قال: تذاكرنا فى بعض الأيام بديوان الإنشاء، فأفضى بنا الحديث إلى ذكر الناشئ الأصغر وقوله ووردة:

وردة فى بنان معطار حيا بها فى خفى إسرار
كأنها وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بديـنار
فقلت: تشبيه الصفرة بالدينار فيه بعض تقصير، وعليه نقد خفى لا يدركه إلا الناقد البصير، وهو كون الصفرة فى رأى العين أصغر من الدينار، ولو قال:

كمثل وجنة خـود قد نقطت برـباع
لكان أحصر وأحسن، فاستحسنته الجماعة، فقال السيد هبة الله بن سراج منشئ الديوان: يا قوم، أنا أجيزه ببيت أول، ثم صنع جاريًا على عادته فى التجنيس:

وردة نالت الحـس من إذ زهت فى الرـباع
١٣٣ - وأخبرنى صاحبنا الفقيه أبو الفضل جعفر الحموى قال: مر بى فى بعض الأيام يهودى يعرف بأبى الخير، أقبح الناس صورة، وأشدهم تنافر خلقه، قصير القامة، طويل اللحية، بارز الأنف، فحين رأيته وقع لى بيت على شبه الارتجال، وهو:

لحىة طولها ذراع وأنف طول شبر وقامة طول إصبع
ثم أرتج على، فمر بى الأديب فاضل بن راجى الله المنبوز بمداد، فأنشدته إياه فقال:
أعمل له أو لا؟ فقلت: إن شئت، فقال:

ما رأينا ولا سمعنا بشخص كأبى الخير فى الخلائق أجمع
١٣٤ - ومن ذلك ما أخبرنى الفقيه أبو محمد عبد الخالق بن زيدان المسكى -
المقدم ذكره - قال: أخبرنى صاحبنا الأديب أبو الحسن على بن خروف القرطبى -
المقدم ذكره فى هذا الكتاب - قال: رأيت فى المنام منشداً ينشدنى:

إذا كنت فى الدنيا حليف تكبر فإنك فى الأخرى أقل من الذر
قال: فانتبهت وقد حفظته، فأجزته بقولى:

تنزه عن الدنيا وكن متواضعاً عفيفاً ولا تسحب ذيولاً من الكبر
١٣٥ - ومنها إجازة بيت بأكثر من بيت، فمن ذلك ما رواه أبو الفرج الأصبهاني
فى أخبار بشار بن برد، وهو أن المهدي أشرف يوماً من أعلى القصر، فرأى جارية من
جواريه تغتسل، فحين رآته استترت منه، فقال:

نظرت من القصر عني نظراً وافق حينى
ثم أرتج عليه، فأمر بإحضار من يجيزه، فأحضر بشار، فأنشده البيت فقال:

سترت لما رأتنى دونه بالراحتين
فضلت منه فضول تحت طوى العكنتين
فقال المهدي: قبحك الله! أكنت ثالثنا؟ ثم قال: ثم ماذا؟ فقال:

فتمنيت وقلبي للهوى للهوى فى زفرتين
أننى كنت عليه ساعة أو ساعتين
فضحك المهدي وأمر له بجائزة، فقال له: يا أمير المؤمنين، أقنعت فى مثل هذه الصفة
بساعة أو ساعتين؟ قال: فبم ويحك، قال: سنة أو سنتين، فضحك وقال: اخرج عني
قبحك الله.

١٣٦ - ومثله ما روى من أن الرشيد أنشد الأصمعى بيتاً وهو:

ليتنى عقدك أو ياليتنى تكة موشية من تككك

فى بدائع بدائه الإجازة ٧٥
واستجازه فقال:

امنحنى الوصل يا سيدتى واطعمينى عسلاً من عككك
ما على قومك أو ما ضرهم لو وقفنا ساعة فى سككك
وقد تقدم قريب منهما فى باب المجاورة.

١٣٧ - قال يزيد بن أبى يسر الرياضى فى كتابه الأمثال: سمعت سيويه يقول:
دخل عبد الله بن طاهر الرى سحرًا، فسمع قمرية تنوح فقال: لله در الهلالى حيث
يقول:

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر وغصنك مَياد ففيم تنوح
وكان معه عوف بن محلم الشاعر، فقال له: أجز هذا البيت، فقال:

وأرقنى بالليل صوت حمامة فنحت وذو الشوق القديم ينوح
على أنها ناحت ولم تذر دمعاً ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ومن دون أفرأخى مهامه فيح

١٣٨ - أنبأنى الشيخان الأجل العلامة تاج الدين الكندى، وابن الحرستانى إجازة
عن أبى القاسم بن عساكر سماعاً منه، أخبرنا أبو بكر المرزوقى، أنبأنا أبو منصور
العكرى، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد الصلت المحبر، حدثنا أبو الفرج على بن
الحسين الأصبهانى، حدثنى على بن صالح، عن أحمد بن أبى طاهر، حدثه أنه ألقى
على فضل الشاعرة:

علم الجمال تركتنى فى الحب أشهر من علم
فقلت:

وأجتنى يا سيدي سقمًا يزيد على السقم
وتركتنى غرضاً - فدي - لك - للعواذل والتهم

١٣٩ - وذكر أبو العباس المروزى قال: صنع المتوكل بيتاً وطالب فضل الشاعرة أن
تجزه، وهو:

لازبها يشتكى إليها فلم يجد عندها ملاذا

فصنعت بديهة:

ولم يزل ضارِعاً إليها تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد شوقا فمات عشقا فكان ماذا
فطرب المتوكل وقال: أحسنت - وحياتى - يا فضل، وأمر لها بمائتى دينار، وأمر
عريب فغنت به. قال على بن ظافر: وقد ذكرنا البيت الأخير من بيتى فضل فى حكاية
أبى السمرء فى إجازة بيت بيت، إلا أن هذه الحكاية أثبت رواية من تلك، وهى من
رواية أبى الفرج فى الأغانى.

١٤٠ - وبالإسناد المتقدم ذكر الثعالبي فى كتاب اليتيمة قال: جلس سيف الدولة
أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان يوماً مع جماعة من خواص كتابه وأصحابه، فقال:
أيكم يميز قولى:

لك جسمى تعلوه فدمى لم تحلوه
وليس لها إلا سيدى - يعنى ابن عمه أبا فراس بن أبى العلاء بن حمدان - فارتجل
أبو فراس:

لك من قلبى المكا ن فلم لا تحلوه
ولئن كنت مالكا فلك الأمر كله
فاستحسنهما ووهب له ضيعة منبج تغل ألفى دينار فى كل سنة.

١٤١ - وذكر القاضى أبو على التنوخى فى كتاب النشوار قال: أنشدنى أبو
القاسم عبد الله بن محمد الضرورى لنفسه بالأهواز يقول:

إذا حمد الناس الزمان ذمته ومن كان فوق الدهر لا يحمد الدهرا
وزعم أنه حاول أن يضيف إليه شيئاً، فتعذر عليه مدة طويلة، وضجر منه وتركه
مفرداً، وكان عنده أبو القاسم المصيصى المؤدب، فسمع القول، فعمل فى الحال إجازة
له، وأنشدها لنفسه:

وإن أوسعتنى النائبات مكارهاً ثبت ولم أجزع وأوسعتها صبرا
إذا ليل خطب سد طرق مذهبى لجأت إلى عزمى فأطلع لى فجرا
١٤٢ - وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة: أن المعتمد بن عباد
جلس يوماً فى بعض دور الحرم، فمر عليه بعض حظايه فى غلالة لا يكاد يفرق بينها
وبين جسمها، وذوائب تبدى إياة الشمس فى مدلهما، فسكب عليها إناء ماء ورد كان

بين يديه، فامتزج الكل ليناً واسترسالاً، وطيباً وجمالاً، وأدركت المعتمد أريجية الطرب، ومادت بعطفه راح الأدب، فقال:

وهويت سالة النفوس عزيزةً تختال بيت أسنة وبواتر
وتعذر عليه المقال، فقال لبعض الخدم القائمين على رأسه: سر إلى الوليد
النحلى وخذه بإجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ، فأضاف إليه لأول وقوع
الرقعة بين يديه:

راقت محاسنها ورق أديمها	فتكاد تبصر باطناً من ظاهر
وتمايلت كالغصن بلله الندى	يختال فى ورق الشباب الناضر
تبدى بماء الورد مسبل شعرها	كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وحسن جالها	زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره	وعنا له صرف الزمان الجائر
وإذا لمحت جبينه ويمينه	أبصرت بدرأ فوق بحر

زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له: أحسنت أو كنت معنا؟ فأجابه النحلى بكلام
معناه: ياقاتل المحل أو ما تلوت: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

١٤٣ - ومن ذلك بالإسناد المتقدم أيضاً لكتاب الذخيرة ما روى ابن بسام أن
المعتمد أيضاً أمر بصنع غزال وهلال من ذهب فصيغا، فجاء وزنهما سبعمائة مثقال،
فأهدى الغزال للسيدة ابنة مجاهد والهلال لابنه الرشيد، فوقع له أن قال:

بعثنا بالغزال إلى الغزال وللشمس المنيرة بالهلال
واصطبح وحضر الرشيد فدخل عليه، وجاء الندمان والجلساء وفيهم أبو القاسم بن
مرزقان، فحكى لهم المعتمد البيت، وأمر بإجازته، فبدر ابن مرزقان فقال:

فذا سكنى أسكنه فؤادى	وذا نجلى أقلده المعالى
شغلت بذنا وذا خلدى ونفسى	ولكنى بذاك رخصى بال
زفقت إلى يديه زمام ملكى	محللى بالصوارم والعوالى

فقام يقر عينى فى مضاء ويسلك مسلكى فى كل حال
فدمنا للعلاء ودام فينا فإننا للسماح وللنزال

١٤٤ - وذكر أبو الفتح بن خاقان فى كتاب القلائد قال: خرجت من إشبيلية لوداع كبير من المرابطين، فوجدت معه الوزير أبا محمد بن مالك، فلما انصرفنا عدنا متسايرين، فمررنا بمرج حسن النبات، بديع النوار، فبادر مملوك من ممالكه، وضىء الوجود إلى زهرة بديعة، فقطفها، وأتاه بها لتعجبه من حسننها، فاقترح على أن أصفه، فقلت:

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه وفى كفه من رائق النور كوكب
فقال مجيزاً له:

يروح لتعذيب النفوس ويغتدى ويطلع فى أفق الجمال ويغرب
ويحسد منه الغصن أى مهفهف يحى على مثل الكثيب ويذهب

١٤٥ - قال على بن ظافر: ومن هذا القسم ما تكون الإجازة لبيت بأبيات تجعل قبله أو بعده وقبله، كما أنبأنى العماد أبو حامد قال: قال عمارة اليمنى الشاعر فى كتابه فى شعراء اليمن: إن الفقيه أبا العباس أحمد بن محمد الآبى حدثه قال: أذكر ليلة وأنا أمشى مع الأديب أبى بكر العدنى على ساحل عدن وقد تشاغل عن الحديث معه، فقال لى: فى أى شىء أنت تفكر؟ فقلت: فى بيت عملته وهو:

وأنظر البدر مرتاحاً لرؤيته لعل طرف الذى أهواه ينظره
فقال: لمن هذا البيت؟ فقلت: لى، فأنشد مرتجلاً:

يا راقد الليل بالإسكندرية لى من يسهر الليل وجداً حين أسهره
ألاحظ النوم تذكراً لطلعته وإن جرى دمع أجفانى تذكره

١٤٦ - قال على بن ظافر: اتفق أن خرجنا للقاء القاضى الفاضل، فرأيت فى الموكب رجلاً أسود اللون، وعليه جبة حمراء، فأكرته ولم أعرفه، ولقيت القاضى الأسعد أبا المكارم أسعد بن الخطير أطل الله بقاءه، فقلت له: من هذا الأسود الذى كأنه فحمة من دم حجامه؟ فقال لى:

كأنه ناظر طرف أرمـد

فقلت: يصلح أن يكون قبله:

وأسود فى ثوبه المورد

وبعده:

أو مثل خال فوق خد أمرد

ثم لقيت بعد ذلك القاضى السعيد بن سناء الملك - رحمه الله تعالى - فأنشدته إياهما وكتمته الأول، وقلت: قد صنعت لهما أولاً، فاصنع أنت أيضاً، وقصدت بذلك اختبار القافية وتمكنها، إذ كل خاطر إنما يبادر إليها، فقال:

وأسود فى ملبس مورد

فعجبت من توارد الخاطرين لما كانت القافية متمكنة غير مستدعاة ولا مجتلبة، إلا أن قوله: «فى ملبس» أحسن من قولى: «فى ثوبه».

١٤٧ - قال على بن ظافر: وخرجت أنا وشهاب الدين يعقوب ابن أخت ابن المجاور ونحن بالإسكندرية أيام حلول الملك العزيز - رحمه الله - بها إلى جزيرتها المباركة لزيارة قبر صاحبنا القاضى الأعز أبو الحسن على بن المؤيد المردد ذكره فى هذا الكتاب، وقد كان توفى أغبط ما كان بالحياة، وأبعد ما كان من تخوف الوفاة، وغصن شبابه رطيب، والزمان على منبر فضله خطيب، فلما نزلنا بفناء قبره، وأسبلنا سيل المدامع لذكره، أنشدنى شهاب الدين بيتين صنعهما فى الطريق وهما:

أيا قبر الأعز سقيت غيثاً كجود يديه أو دمعى عليه
فلا وإخائه الصافى وداداً وددت الموت من شوقى إليه
فقال: إن بين الأول والثانى فرجة، تريد بيتاً ليسدها، فلعلك أن تسعدنى، فقلت:

وحلت جانبك مروج زهر تحاكى طيب أوقاتى لديه
١٤٨ - ومنه إجازة بيت وقسيم بقسيم، كما روى إسحاق الجصاص، قال: صنع زهير بن أبى سلمى بيتاً وقسيمًا، وهما:

تراك الأرض إمامت خفا وتحيا إن حيت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العز منها

ثم أكدى فمر به النابغة الذبياني، فقال له: أجز يا أبا أمامة وأنشده، فأكدى النابغة، وأقبل كعب بن زهير، وإنه لغلام، فقال له أبوه: أجز يا بنى، فقال: وما أجز؟ فأنشده فقال:

وتمنع جانبـيها أن يزولا

فضمه زهير إليه وقال له: أنت ابنى حقاً.

١٤٩ - ومن ذلك ما رواه إسحاق الموصلى قال: ولد للفضل بن يحيى بن خالد مولود، فدخل عليه أبو النضير عمر بن عبد الملك، ولم يكن علم الخبر، فلما مثل بين يديه ورأى الناس يهتونه نثراً ونظماً، وقف وأنشد ارتجالاً:

ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والسيف والرمح والنصل

وتبسط الآمال فيه لفضله

ثم أرتج عليه فلم يدر ما يقول، فقال الفضل يلقنه:

ولا سيما إن كان من ولد الفضل

فاستحسن الناس بديهته، وأمر لأبى النضير بصلة.

١٥٠ - أنبأنى الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال: أنبأنى الفقيه أبو القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى، قال: أخبرنى أبو زكريا يحيى بن على الأنصارى فيما أظن، وقد كتبت منه، قال: أخبرنى عمر بن الصيرفى المقرى قال: أخبرنا محمد بن عبد الله، عن أبيه، أنه سمع أبا عمرو الكلبى قال: كنت جالساً عند أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، فأتاه من بعض إخوانه طبق فيه أنابيب من قصب السكر، وكتاب معه، فحول ابن عبد ربه الكتاب، وجاوبه بديهة وكتب فى الجواب:

بعثت يا سيدى حلو الأنابيب عذب المذاقة مخضر الجلابيب

كأنما العسل الماذى شيب به

قال الكلبى: ثم توقف فقال: يا كلبى أجز هذا البيت، فإنى لا أجد له تماماً، فقلت:

لا بل يزيد على الماذى فى الطيب

فقال: أحسنت يا كلبى، ثم أخذ القلم وأراد أن يكتبه على ما قلت، ثم كره الاستعارة، فأطرق قليلاً ثم قال:

أوريق محسوبة جادات محبوب

قال الكلبي: فقمنا وقبلنا رأسه سروراً منا بقوله.

١٥١ - وأخبرنى القاضى السعيد ابن سناء الملك قال: صنعت:

قد كان لى منديل كم ساذج ما جاز مسح يدى به فى مذهبي

فاعتضت عنه بخد من أحبيته

وأرتج علىّ، فلم أستطع أكمل البيت، فاستجزت القاضى تاج الدين بن الجراح،

فقال:

فمسحت فى منديل كم مذهب

١٥٢ - ومنه إجازة بيتين بيت، فمن ذلك ما روى لنا أن أبا دلامة زيد بن الجون

مولى بنى أسد دعا السيد الحميرى إلى منزله، فبكت ابنة له، فحملها على عاتقه، فبالت

عليه، فوضعها مغضباً وقال:

بللت علىّ - لا حيّيت - ثوبى فبال عليك شيطان رجيم

فما ولدتك مريم أم عيسى ولا رباك لقمان الحكيم

ثم استجاز السيد الحميرى فقال:

ولكن قد تضمك أم سوء إلى لـبـاتـها وأب لـثـيم

فضحك أبو دلامة وقال: عليك لعنة الله، ما دعاك إلى هذا كله، ثم حلف لا ينازعه

بيتاً بعدها، فقال له السيد: يكون الهرب من جهتك لا من جهتى.

وقد روى أبو الفرج هذه الحكاية بإسناد ينتهى إلى على بن إسماعيل، قال: كنت

أسقى أبا دلامة والسيد... ولم يذكر سوى البيت الثانى من بيتى أبى دلامة. ورواها أبو

الفرج أيضاً بإسناد ينتهى إلى الهيثم بن عدى، وأنها كانت بين أبى دلامة وأبى عطاء

السندى، وأن أبا عطاء أجاز بيته بأن قال:

صدقت أبا دلامة لم تلدها مطهرة ولا فحل كريم

ولكن قد حوتها أم سوء إلى لـبـاتـها وأب لـثـيم

وعلى هذه الرواية تدخل فى باب المجاوبة.

١٥٣ - وذكر ابن رشيق فى كتاب الأنموذج قال: اجتمعت بأبى حديدة الشاعر يوماً

وأنا سكران، فسألنى عن حال المكان الذى كنت فيه، فوصفته له، وأفضت بى صفته إلى

ذكر غلام كان ساقياً، فقلت فى عرض الكلام ولم أرد الوزن:

فـشربتها مـن راحتيه — هـ كأنها مـن وجتـيه
وكأنها فى فعلها — تحكى الذى فى ناظره
وقلت له: أجز، فقال:

وشممت وردة خـده — نظراً ونرجس مقلتيه
فقلت له: أحسنت فى شـمك بالنظر، كما سمع أبو الطيب بالبصر حيث يقول:

كالخط يملأ مسمعى من أبصرا

١٥٤ - واجتمع أبو عبد الله بن شرف الجذامى يوماً بأبى على بن رشيق، فوصف له منزلاً ضيقاً كان فيه، ثم صنع فى صفته، فقال:

ومنزل قبح من منزل — النتن والظلمة والضيق
كأننى فى وسطه فيشة — ألوطه والعرق الـريق
وكان ابن شرف أعور أصلع، فقال: ابن رشيق يداعبه على طريق الإجازة:

وأنت أيضاً أعور أصلع — فوافق التشبيه تحقيق
ولو قال ابن شرف: كأننى فى وسطه فيشة فى فقحة... لكان أوضح فى تشبيه المنزل.

١٥٥ - قال على بن ظافر: وأخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد رحمه الله بما هذا معناه: أنه كان عند أبى المعالى بن الشماس كاتب القاضى الأسعد ابن ممتى فى ليلة اصطلى فيها بالجمـر من كئوس الخمر، واجتلى بها النجوم الزهر، من مجتنى نجوم الزهر، قال: فأفضت فى ذمها، وذكر عظيم إثمها، ثم ندمت على ما فرط، واعتذرت اعتذار من فرط، فقلت:

شربتم قهوة وشربت ماءً — فأغنانى اللجين عن النضار
ومن بانـت أحبته وساروا — تعلل بالتشاغل بالـديار
ثم استجزته فقال:

وكنـت نظيركم بالشـم منها — ولكنى سلمت من الخمار
١٥٦ - قال على بن ظافر: بتنا ليلةً على المقياس عند مبالغة النيل فى نقصه

فى بدائع بدائه الإجازة ٨٣

واحتراقه وانفراجه عما لم يزل مستوراً من أرففه وانفراقه، والمراكب قد انتظمت فى لبته وركدت بالإرساء فوق لجته، وأحاطت به إحاطة المحيط بنقطته، وسفهاء الرياح تعبت بها حتى كادت تذهب بوقارها، وأجسادها قد لبست لفقد الماء حداد قارها وهى فى أوكارها، من المراسى مزمومة، وأجنحة قلوها لعارض الليل مضمومة، فقلت بديهاً:

أو ما ترى المقياس قد حفت به سود المراكب فوق ظهر اللجه
يسمو وقد حفت به كقلادة سبحية فى لبة فضيه
واستجزت القاضى الأعز بن المؤيد - رحمه الله - فقال:

وكانه حصن عليه عسكر للزنج لف بنوده للحمله
١٥٧ - ومنه إجازة بيتين بأكثر من بيت كما روى العباس بن الفضل بن الربيع،
قال: غضب الرشيد على جارية له، فحلف لا يدخل إليها، ثم ندم فقال:

صد عنى إذ رآنى مفتتن وأطال الصدم لما أن فطن
كان مملوكى فأضحى مالكى إن هذا من أعاجيب الزمن
ثم قال لجعفر بن يحيى: اطلب لى من يزيد فى هذين البيتين، فقال: ليس لهما إلا أبو
العنايه - وكان محبوساً - فبعثوا إليه، فكتب إلى الرشيد:

يا ابن عم النبى سمعاً وطاعةً قد خلعنا الكساء والدراعه
ورجعنا إلى الصنعة لما كان سخط الإمام ترك الصنعه
فأمر بإطلاقه وصلته، فقال: الآن طاب القول، ثم قال يميزهما:

عزة الحب أرتته ذلتى فى هواه وله وجه حسن
فلهذا صرت مملوكاً له ولهذا شاع ما بى وعلن
فقال الرشيد: أحسنت والله وأصبت ما فى نفسى، وأضعف صلته. وذكرها الصولى
فى الأوراق بقريب من هذا، وأنه كتب إليه لما أمر بالإجازة يقول:

ضعف المسكين عن تلك المحن لهلاك الروح منه والبدن
ولقد كلفت شيئاً عجباً زاد فى النكبة واستوفى المحن
قليل فرحنا ويأبى فرح أن يوافينى فى بيت الحزن
ولم يذكر العينية. وأما يزيد بن محمد المهلبى فإنه روى البيتين اللذين هما على قافية

العين لموصولين بالهاء لإسحاق الموصلى، وذلك أنه كتب بهما إلى المأمون، وكان قد ترك الغناء والمنادمة فسجنه.

١٥٨ - وذكر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه الكبير قال: خرج كوثر خادم الأمين لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهزيمة ابن أعين لبغداد، فأصابه سهم غرب فجرحه، فدخل على الأمين وهو يبكى لألم الجراحة، فلم يتمالك الأمين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول:

ضربوا قرة عيني ومن أجلى ضربوه
أخذ الله لقلبي من أناس أوجعوه

ثم أرتج عليه، فاستدعى الفضل بن الربيع، وأمره بإحضار شاعر يجيز البيتين، فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيمى، وأنشدهما له فقال:

ما لمن أهوى شيبه فبه الدنيا تتفيه
وصله حلوا ولكن هجره مر كـريه
من رأى الناس له الف ضل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا ثم بالملك أخوه

فأمر الأمين له بوقر ثلاثة أبغل دراهم، فلما ولى المأمون الخلافة واستقر الأمر له توسل إليه عبد الله بالحسن بن سهل، فلما دخل عليه قال: ألسـت القائل:

ما لمن أهوى شيبه

فقال: بل أنا القائل:

نصر المأمون عبد الله نه لما ظلموه
نقضوا العهد الذى كا نوا قديماً أكـدوه
لم يعامله أخوه بالذى أوصى أبوه
وأنشده فى مدحه قصيدة أولها:

جزعت ابن تيم أن علاك مشيب وبان شباب والشباب حبيب
فأمره له بعشرة آلاف درهم.

لمتيم الهاشمية جارية على بن هشام: أجزى:

تعالى تكون الكتب بينى وبينكم ملاحظة نومى بها ونشير
فعندى من الكتب المشومة حيرة وعندى من شؤم الرسول أمور
فقلت:

جعلت كتابى عبرةً مستهلةً ففى الخد من ماء الجفون سطور
ورسلى لحاجاتى وهن كثيرة إليك إشارات بها وزفير
١٦٠ - أنبأنى الشيخان الشيخ الأجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندى،
والشيخ الأجل الفقيه جمال الدين بن الحرستانى إجازة قالاً: أخبرنا الإمام الحافظ أبو
القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين،
أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين، أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت،
حدثنا أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني، أخبرنى جعفر بن قدامة، قال: اشتري أبو
عبادة جاريته سلمى اليمانية من نخاس مكى قدم بها عليه، فلما جاءه بها أراد أن
يتمتعها، فأنشد:

من لمح حب أحب فى صغره فصار أحدىثةً على كبره
من نظر شفه فأرقه وكان مبدا هواه من نظره
ثم قال لها: أجزى، فقلت محبة غير متوقفة:

لولا التمنى لمات من كمد مر الليلالى يزيد فى فكره
ما إن له مسعد فيسعه بالليل فى طوله وفى قصره
الجسم يلى فلا حراك به والروح فيما أرى على أثره
١٦١ - أنبأنى الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى، عن الحافظ السلفى إجازة قال:
أنبأنا أبو محمد جعفر بن السراج اللغوى، وابن بعلان الكبير، قالاً: حدثنا أبو نصر عبد
الله بن سعيد السجستانى الحافظ قال: أخبرنا أبو يعقوب النجيرمى، حدثنا أبو الحسين
المهلبى، عن أبى الفوارس، عن يعقوب بن السكيت قال: عزم محمد بن عبد الله بن
طاهر على الحج، فخرجت جارية إليه شاعرة، فبكت لما رأت آلة السفر، فقال محمد بن
عبد الله:

دمعة كاللؤلؤ السرط ب من الطرف الكحيل

هطلت فى ساعة البى من على الخلد الأسيل
فقلت الجارية:

حين هم القمر الزا هرر عنا بالأفول
إنما يفتضح العش اق فى وقت الرحيل

١٦٢ - قال على بن ظافر: ذكر ابن رشيق فى كتاب الأنموذج ما معناه قال: خرج أبو العباس بن حديدة القيروانى فى جماعة من رفقاءه طالباً للتزهد، فحلوا بروضة قد سمرت عن وجنات الشقيق، وأطلعت فى زبرجد الأرض الخضراء نجومًا من عقيق، والجو قد أفرط فى تعبيسه، ونثر لغظه جميع ما كان من لؤلؤ القطر فى كيسه، فقال ابن حديدة:

أو ما ترى الغيث المعرس باكيًا يذرى الدموع على رياض شقيق
فكان قطر دموعه من فوقها در تبدد فى بساط عقيق
قال: وأنشدنيهما فأجزتهما بأن قلت:

فاجمع إلى شكايهما بزجاجة شكلين من حبيب وصفو رحيق
فكأنما انتصرا لعبرة عاشق مهراقة فى وجنتى معشوق

١٦٣ - وبالإسناد المتقدم عن ابن بسام قال فى كتاب الذخيرة - ورواه الفتح بن خاقان فى كتاب قلائد العقيان - قال: ذكر أبو إسحاق بن خفاجة الحريرى الأندلسى قال: اجتمعت مع عبد الجليل بن وهبون المرسى، ونحن نريد المرية أيام مقام العدو بحصن بلبيط، فبتنا بلزقه نتجاذب أذيال المذاكرة إلى أن قام السفر فى السحر، للسرى والسفر، وقد شهروا سلاحهم، وأظهروا عددهم لقربهم من العدو، فظهر من عبد الجليل الجزع، والارتياح والهلع، مما ألجأنى إلى تسكينه بإنشاد عجائب الأشعار، وإيراد غرائب الأخبار، وهو لا يفهم ما أورده، ولا يعقل معانى ما أسرده، فمررنا فى الطريق بمشاهدين متقابلين، وعليهما رأسان منصوبان، فقلت:

ألا رب رأس لا تزاور بيئته وبين أخيه والمزار قريب
أناف به صلد الصفا فهو منبر وقام أعلاه فهو خطيب
ثم استجزته باستطالة فقال:

يقول حذار الاغترار فطالما أناخ قتيل بى وفر سليل

وينشدنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب
فإن لم يزره صاحب أو خليله فقد زاره نسر هناك وذيب
وها هو أما منظرًا فهو ضاحك إليك وأما نصبه فكئيب
قال أبو إسحاق: فما أتم إنشاده حتى طلعت سرية العدو، فأوقعت بالركب، فأناخ
قتيلًا، وبحوت مسلوبًا، فعجبت من هذا الاتفاق.

١٦٤ - قال وصنع يومًا الأعز أبو الحسن بن المؤيد - رحمه الله تعالى - بديهاً فى

مغن:

مغن صوته يحكى ه فى حسن وفى لين
يغنينى فيغنينى ويحيا إذ يحينى
واستجاز شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير نجم الدين بن المجاور فقال:

ويسقينى سلاف الرا ح من فيه فيشفينى
تعجلت به أجرى ولم أعطف على دينى

١٦٥ - ومنه إجازة أبيات بيت، كما أنبأنى الشيخان تاج الدين أبو اليمن زيد بن
حسن الكندى وجمال الدين الحرستانى إجازة عن الإمام الحافظ أبى القاسم على بن
الحسن بن عساكر قال: أخبرنا أبو القاسم الحسين بن محمد، أخبرنا أبو الفرج سهل بن
بشر، أخبرنا أبو الحسين على بن عبد الله الهمدانى إجازة، أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن
ابن خيران، أخبرنا ابن الأنبارى قال: دخل الزبير بن بكار على أمير المؤمنين المعتز بالله
وهو محموم، فقال له: يا أبا عبد الله، إنى قد قلت فى ليلتى هذه أبياتًا، وقد أعيا علىّ
إجازة بعضها، وأنشدنى:

إنى عرفت علاج الجسم من وجعى وما عرفت علاج الحب والجزع
جزعت للحب والحمى صبرت لها إنى لأعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن حبه وجع فليس يشغلنى عن حبكم وجعى
فقال أبو عبد الله:

وما أمل حبيى ليتنى أبدًا مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى
فأمر له على هذا البيت بألف دينار.

١٦٦ - وبهذا الإسناد عن الإمام الحافظ ابن عساكر قال: حدثنا أبو عبد الله محمد

٨٨ فى بدائع بدائه الإجازة
ابن المحسن بن أحمد الملحى لفظاً - وكتبه لى بخطه - قال: حدثنى السابق أبو اليمى محمد
ابن الخضر المعرى قال: اجتمعت بأبى عبد الله بن الخياط - يعنى الشاعر الدمشقى
بطرابلس - وكنت أنا وهو نجلس فى دكان عطار نصرانى، يعرف بأبى المفضل، فيه
ذكاء ومحبة للأدب، فخرجنا يوماً إلى ظاهر البلد، فاخترنا موضعاً نجلس فيه على غدير
هناك، فقال ابن الخياط بديهياً:

أو ما ترى قلق الغدير كأنه يبدو لعينك منه حلى مناطق
مترقرق لعب الشعاع بمائه فتراه يخفق مثل قلب العاشق
فإذا نظرت إليه راقك لمعه وعللت طرفك من سراب صادق
ولم يفتح الله على السابق ولا بلفظة، فقال العطار:

قد كنت أرجو أن تكون مصلياً حتى رأيتك سابقاً للسابق
فاستحسننا ما أتى به العطار، وجعلناه من مآثور الأخبار. قال أبو عبد الله: وكان
السابق لا يحفظ من شعره بيتاً واحداً، وأبو عبد الله بن الخياط بخلافه، يحفظ شعره منذ
عمله إلى أن مات.

١٦٧ - ومنه إجازة أكثر من بيت بأكثر من بيت، فمن ذلك ما ذكره الثعالبى فى
كتاب اليتيمة من حكاية أبى الفرج البغاء فى دير مران، ووصفها بأن قال: وهى وإن
كان فيها بعض طول، فالبديع غير مملول، وكل ما أرويه وأسنده إلى اليتيمة فى هذا
الكتاب فهو مما أجازته لى القاضى الفقيه نبيه الدين أبو الحسن على بن المفضل المقدسى
- رحمه الله تعالى - قال: أخبرنا الشيخ الفقيه أبو القاسم على بن مهدي الإسكندرى،
قال: أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن سلامة الهذلى قال: أخبرنا أبو
بكر محمد بن على بن الحسن التميمى قال: أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن محمد
النيسابورى قال: أخبرنا أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى - وقد
تقدم ذكر هذا الإسناد - قال الثعالبى: قال أبو الفرج واللفظ له:

تأخرت عند سيف الدولة بدمشق مكرهاً، وقد سار عنها فى بعض وقائعها، وكان
الخطر شديداً على من أراد اللحق به من أصحابه، حتى إن ذلك كان يؤدى إلى الهب
وطول الاعتقال، فاضطرت إلى أعمال الحيلة والسلامة بخدمة من بها من رؤساء الدولة
الإخشيدية، وكانت سننى فى ذلك الوقت عشرين سنة، وكان انقطاعى منهم إلى أبى

بكر على بن صالح الروذبارى لتقدمه فى الرئاسة، ومكانه من الفضل والصناعة، فأحسن تقبلنى وبالع فى الإحسان إلىّ وحصلت تحت الضرورة والمقام، فتوفرت على قصد البقاع المستحسنة، والمتنزعات المطروقة، تسلياً وتعللاً، فلما كان فى بعض الأيام، عملت على قصد دير مران - وهذا الدير مشهور الموقع فى الجلالة وحسن المنظر - فاستصحبت بعض من كنت آنس به، وتهدمت بحمل ما يصلحنا، وتوجهت نحوه، فلما حصلنا تحته أخذنا فى شأننا.

وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع، وسجاجة النفس، حسبما جرى به الرسم والعادة فى غشيان الأغمار، وطروق الديرة من التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكانها، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء، ومزاهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه، ولوح السكر لصحبى أعلامه، فحانت منى التفاتة إلى بعض الرهبان، فوجدته إلى خطابى متوثباً، ولنظرى إليه مترقباً، فلما أخذته عينى أكب يزعجنى بخفى الرمز ووحى الإيماء، فاستوحشت لذلك وأنكرته، ونهضت عجباً واستحضرتة، فأدرج لى رقعة مختومة، وقال لى: قد لزمك فرض الأمانة فيما تتضمنه هذه الرقعة وسقط ذمام كاتبها فى سترها بك عنى، ففضضتها، فإذا فيها مكتوب بأحسن خط وأملحه وأقواه وأوضحه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لم أزل فيما تؤديه هذه الرقعة - يا مولاي - بين حزم يحث على الانقباض عنك، وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك، إلى أن استنزلتنى الرغبة فىك على حكم الثقة بك من غير خبرة، فرفعت سجع الحشمة، وأطعت فى الانبساط أوامر الأنسة، وانتهزت فى التوصل إلى مودتك فائت الفرصة، والمستماح منك - جعلنى الله فداك - زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الأيام من المسرة، مهنأة بالانفراد إلا من غلامك الذى هو مادة مسرتك:

وما ذاك عن خلق بضيق بطارق ولكن لأخذى باحتياط على حالى
فإن صادف ما خطبته منك - أيدك الله - قبولاً، ولديك نفاقاً، فمنية غفل الدهر عنها، إذ فارق مذهبه فيما أهدها إلىّ منها، وإن جرى على رسمه فى المضايقة فيما أوتره وأهواه، وأترقبه من قربك وأتمناه، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها، وأطراح ذكرها إن شاء الله تعالى. وإذا بأبيات تتلو الخطاب وهى:

يا عامر العمر بالفتوة وال
هل لك فى صاحب تناسب فى ال
أوحشه الدهر فاستراح إلى
فإن تقبلت ما أتاك به
وإن أبى الدهر دون رغبته
قصف وحث الكئوس والطرب
غربة أخلاقه وفى الأدب
قربك مستنصراً على النوب
لم تشب الظن فيك بالكذب
فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج: فورد على ما حيرنى، واسترد ما أخذه الشراب من تمييزى، وحصل لى فى الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها فى الكتابة خطأ وترسلاً ونظماً، وشاهدته بالفراصة من ألفاظه، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته، فقلت للراهب: ويحك، من هذا؟ وكيف السبيل إلى لقائه؟ فقال: أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا، وأما السبيل إلى لقائه فسهل إن شئت، قلت: دلنى، قال: تظهر فتوراً، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفاً، فإذا صرت بباب الدير عدلت بك إلى باب صغير تدخل منه. فرددت الرقعة عليه وقلت: أدفعها إليه ليتمكن أنسه بى وسكونه إلى، ثم عرفته أن التوفر على أعمال الحيلة المبادرة إلى حضرته على ما أثره من التفرد أولى من التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت بكتابته.

ومضى الراهب وعدت إلى أصحابى بغير النشاط الذى ذهبت به، فأنكروا ذلك منى، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لى، واستدعيت ما أركبه، وتقدمت إلى من كان معى من الخدم بالتوفر على خدمتهم، وقد كنا عولنا على المبيت، فأجمعوا على تعجيل السكر والانصراف، وخرجت من باب الدير ومعى صبى صغير كنت آنس به ومجذمته، وتقدمت إلى الشاكرى برد الدابة وستر خبرى ومباكرتى. وتلقانى الراهب، فعدل بى إلى طريق فى مضيق، وأدخلنى الدير من طريق غامض، وصار بى إلى باب قلابة يتميز عما يجاوره من الأبواب نظافةً وحسنًا، فقرعه بمركات مختلفة كالعلامة بينهما، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره: مهفهب الكشح مخطفه، معتدل القوام أهيفه، نخال الشمس برقعت غرته، والليل ناسب أصداعه وطرته.

فى غلالة تم على ما تستر، وتحفو مع رقتها عما يظهر، وعلى رأسه مجلسية فصمته، فبهر عقلى، واستوقف نظرى، ثم أجفل كالظبي المذعور، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية، فإذا أنا ببیت فضى الحيطان، رخامى الأركان، يضم طارمة خيش مفروشة بحصير مستعمل، فوثب إلينا منه فتى مقتبل الشيبية، حسن الصورة، ظاهر النبل والهئية،

متزى من اللباس بزي غلامه، فلقينى حافياً يعثر فى سراويله، واعتنقنى ثم قال: إنما استخدمت هذا الغلام فى تلقيك يا سيدى لأجعل ما لعلك استحسنته من صورته، مصانعاً لما يرد عليك من مشاهدتى.

فاستحسنتم اختصاره الطريق إلى بسطى، وارتجاله إلى النادرة على نفسه حرصاً على تأنيسى. وأفاض فى شكرى على المسارعة إلى امثال أمره، وأنا فى خلال ذلك أوأصل المبالغة فى الاعتداد به، ثم قال: يا سيدى أنت مكدود بمن كان معك، والتمكن من الأنس بك لا يتم إلا براحتك.

وقد كان الأمر على ما ذكر، فاستلقت يسيراً ثم نهضت، فخدمت فى حالتى النوم واليقظة الخدمة التى عهدتها فى دار الملوك وجلة الرؤساء. ثم جاءنا خادم لم أر أحسن وجهاً، ولا أتم سواداً منه، يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف، فقال: يا سيدى العشاء منى للحاجة ومنك للموانسة، فنلنا شيئاً.

وأقبل الليل وطلع القمر، ففتحت مناظر ذلك البيت إلى فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة، وحبانا بذخائر رياضها من المنظر الجنانى، والنسيم العطرى، وجاءنا الراهب من الأشربة بما وقع اتفاقنا عليه، واقتعدنا غارب اللذة، وجرينا فى ميدان المفاوضة، وأخذ يناهبنى نواذر الأخبار، وملح الأشعار، ويخلط ذلك من المرح بأظرفه، ومن التودد بالطفه، فلما توسطنا الشرب التفت إلى غلامه وقال: يا مترف، إن مولاك لم يدخر عنا ممكناً من السرور بحضرته، فينبغى لنا ألا ندخر ممكناً من تمام مسرته. فامتقع وجه الغلام حياء وخفراً، فأقسم عليه بحياته، وأنا لا أعلم ما يريد، فمضى ثم عاد يحمل طنبوراً، وجلس فقال لى: تأذن لى يا سيدى فى خدمتك؟ فهممت بتقيل يديه لما داخلنى من عظم المسرة بذلك، فأصلح الغلام الطنبور، وضرب وغنى يقول:

يا مالكى وهو ملكى وسالى ثوب نسكى
نزه يقين الهوى فى لك عن تعرض شك
لولاك ما بت أبكى إلى الصباح وأبكى

فنظر إلى الغلام وتبسم، فعلمت أن الشعر له، وكدت - والله - أن أطير طرباً وفرحاً لملاحه خلقه، وجودة ضربه، وعذوبة منطقه، وتكامل حسنه، فاستدعيت كيزاناً، فأحضر الغلام عدة قطع من البلور، وجيد الجام المحكم، فشربت سروراً بوجهه، وشرب بمثل ما شربت به. ثم قال: أنا - والله - يا سيدى أحب ترفيئك، ألا

أقطعك عما أنت متوفر عليه، ولكن حيث عرف الاسم والنسب والصناعة واللقب، فلا بد أن تسم ليلتنا هذه بشيء يكون لها طرازاً، ولذكرها علماً، فجذبت الدواة وكتبت ارتجالاً، وقد أخذ الشراب منى:

وليلة أوســــــــــــــــعتنى لهــــــــــــــــواً وحسناً وأنسا
ما زلت ألثم بدرأ بها وأشرب شمساً
إذ أطلع الدير سعداً لم يبق مذبذب نحساً
فصار للروح منى روحاً وللنفس نفساً

فطرب لقولى: «ألثم بدرأ وأشرب شمساً» وجذب غلامه فقبله، وقال: لم أجهل يا سيدى ما يجب لك من التوقير، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته، فحياتى إلا فعلت مثل ذلك بغلامك، فاتبعت آثاره خوفاً من احتشامه، ثم أخذ الأبيات وجعل يرددها، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها:

ولم أكــــــــــــــــن لغريمــــــــــــــــى والله أبــــــــــــــــذل فلــــــــــــــــساً
لو ارتضى لى غريمــــــــــــــــى بدير مــــــــــــــــران حبــــــــــــــــساً
فقلت له: إذا - والله - ما كان أحد يؤدى حقاً ولا باطلاً.

وداعبته فى هذا المعنى بما حضرنى، وعرفت فى الجملة أنه مستتر من دين قد ركه، فقال لى: يا سيدى، قد خرج لك أكثر الحديث، فإن عذرت وإلا ذكرت لك القصة، فأثرت مراده فى كتمان أمره، فقلت: يا سيدى، كل ما لا يتعرف بك نكرة، وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار، ونابت الخبرة عن الاستخبار، وجعل يشرب وينتخب من غير إكراه ولا إبطاء، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه، وأكب على محادثة غلامه والفتنة تشنيه فى الوقت بعد الوقت، فأظهرت السكر وحاولت النوم، وجاء الغلام برذعة ففرشها بإزاء برذعته، فنهضت إليها، فقام وتفقد أمرى بنفسه، فقلت له: إن لى مذهباً فى تقريب غلامى منى، واعتمدت فى ذلك تسهيل ما يختاره من غلامه فى هذه الحال، فتبسم وقال لى بسكره: وجع الله لك المسرة كما جمعه لى بك، وأظهرت النوم، وعاد يحادث غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة حال وانبساط يد، وغلامه تارة يقبل يده وتارة يقبل فمه.

وغلبتنى عينائى إلى أن أيقظنى هواء السحر، فانتبهت وهما متعانقان مما عليهما من

اللباس، فأوردت توديعه وكرهت إنباهه وإزعاجه، فخرجت، فلقيني الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافى، فأقسمت عليه ألا يفعل، ووجدت غلامى قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته، فركبت منصرفاً وعازماً على العودة إليه، والتوفر على مواصلته، وأخذ الحظ من معاشرته، ومتوهماً أن ما كنت فيه منام لطيبه، وقرب آخره من أوله.

واعترضتنى أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة، فسرت على أم حسرة لما فاتنى من معاودة لقائه، وقلت فى ذلك:

ويوم كأن الدهر ساعنا به
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا
بحيث هواء الغوطتين معطر ال
فمن روضة بالحسن ترفد روضةً
وفى الهيكل المعمور منه افترعته
ونزهت عن غير الدنانير قدرها
وحل لنا ما كان منها محرماً
فأهدت لى الأيام منها مودةً
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة
فلاقيت ملء العين نبلاً وهمةً
وكان جوابى طاعةً لا مقالةً
وأحشمنى بالود حتى ظننته
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا
وشاء سرور أن يلينا بثالث
بمعط عيوناً ما اشتهدت من جماله
جنينا جنى الورد فى غير وقته
قابلنا من وجهه وشرابه
وغنى فصار السمع كالطرف آخذاً
وأمتعنا من وجنتيه بمثل ما
سرور شكرنا منة الصحو إذ دعا
كأن الليالى نمن عنه فعندما

فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
إلى دير مران المعظم والعمر
نسيم بأنفاس الرياحين والزهر
ومن نهر بالفيض يجرى إلى نهر
وصحى حلالاً بعد توفية المهر
فما زلت منها أشرب التبر بالتبر
وهل يحظر المحظور فى بلد الكفر
دعتنى إلى ستر فلبيت فى ستر
يخاطبنى عن معدن النظم والنثر
معلى السجايا بالطلاقة والبشر
ومن ذا الذى لا يستجيب إلى اليسر
يريد اختداعى عن حياتى ولا أدرى
فكنت وإياه كقلبين فى صدر
فلاطفنا بالبدر أو بأخى البدر
ومضن قلوباً بالتجنب والهجر
وزهر الربا من ورد خديه والثغر
بشمسين فى جنحى دجا الليل والشعر
بأوفر حظ من محاسنه الزهر
تمزج كفاه من الماء والخمر
إليه ولم نشكر به منة السكر
تنبهن نكين الوفاء إلى الغدر

مضى فكأننى كنت منه مهوماً يحدث عن طيف الخيال الذى يسرى
وهل يحصل الإنسان من كل ما به تسامحه الأيام إلا عن الذكر
ولم أزل على أتم قلق، وأعظم حسرة، وأشد أسف، على ما سلبته من عظيم النعمة
بفراق الفتى، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم، ولا نص خبر، يؤدى إلى
الطمع فى لقائه إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق، وأنا فى جملته، فما بدأت بشيء قبل
مصرى إلى الراهب، وقد كنت حفظت اسمه، فخرج إلى مرعوباً، وهو لا يعلم ما
السبب.

فلما رآنى استطار فرحاً، وأقسم لا يكلمنى إلا بعد النزول والمقام عنده يومى ذلك،
فلما جلسنا للمحادثة قال لى: ما لى أراك لا تسألنى عن صاحبك، قلت: والله ما لى فكر
ينصرف عنه، ولا أسف يتجاوز ما حزنه منه، ولا سررت بعودى إلى هذا البلد إلا من
أجله، ولذلك بدأت بقصده، فاذكر لى خبره.

فقال: أما الآن فنعم، هذا فتى من الماردانيين، جليل القدر، عظيم النعمة، كان قد
ضمن من سلطانه بمصر ضياعاً بمال عظيم، فخاس به ضمانه لعود السعر عنه،
وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر. ولما اشتد البحث عنه خرج مستخفياً إلى أن
ورد دمشق بزي تاجر، وكان استتاره عند بعض إخوانه ممن لى به ارتباط، فإنى كنت
عنده يوماً إذ ظهر لى، وقال لصديقه: إنى أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان مأموناً
على، فذكر له صديقه مذهبه، وأظهرت له السرور بما رغب فيه من الأنس بى، وأنا لا
أعرفه، غير أن صديقى قد أمرنى بخدمته.

فلما حصل فى قلايتى واصل الصوم، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند
صديقنا، ومعه الغلام والخادم، وقد لحقا به، ومعهما سفاتج، وعليهما ثياب رثة، فلما نظر
إلى الغلام والخادم قال: يا راهب قد حل الفطر، وجاء العيد، ووثب إلى الغلام فاعتقه،
وجعل يقبل عينيه ويكى، ثم وقف على السفاتج، فأنفذها مع رقعة إلى صديقه.

فلما كان بعد يومين حمل إليه ألفى دينار وما يحتاج إليه من فرش وملبوس، ولم يزل
مكباً على ما رأيت إلى أن ورد عليه البغال والآلات السنينة الحسنة من مصر، وكتب إليه
أهله باجتماعهم بصاحب مصر وتعريفهم إياه الحال فى بعده عن وطنه لضيق ذات

يده عما يطالب به، والتوقيع بمحيطه المال، فلما أعمل المسير قال لغلامه: سلم جميع ما بقى معك من النفقة إلى الراهب ليصرفه فى مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده فى مستقرنا، وسار وماله حسرة غيرك، ولا أسف إلا عليك، يقطع الأوقات بذكرك، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك، وهو الآن بمصر على أحسن الأحوال وأجلها ما يخل بتفقدى، ولا يغب برى.

قال أبو الفرج: فتعجلت بعد السلوة بما عرفت من حقيقة خبره، وأتممت يومى عند الراهب، وكان آخر العهد به.

قال على بن ظافر: أقسم بالله إن هذه الحكاية - وإن طالت - لحقيقة أن تكتب بالقل السود، على صفحات الحدود، ولقد أشرت برأى العقود بين الترائب والنهود، فرحم الله أبا الفرج وصاحبه، فلقد استحقا منا بهذه الحكاية حمدًا وشكرًا، وأبقيا لهما فى الظرفاء ذكرًا، ولقد بلغ من طربى بها، وارتياحى عند قراءتها، ما أنى أوسع هذا الفتى الماردانى دعاءً وترحيماً، وأتبع ذكره صلاة عليه وتسليماً، حتى أنى أكثر قصد ترب الماردانيين بالزيارة والدعاء، أملاً أن يكون فى جملتهم وطمعاً أن يكون مدفوناً معهم، وما أنا وإياهم إلا كما قال خالد بن يزيد:

أحب بنى العوام من أجل حبها ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا
وهذه غاية جهدى مع تربة دائرة ورمة بالية، فرحمة الله كلما غرب نجم وطلع، ونبت نجم وأينع بجرمة محمد ﷺ.

١٦٨ - أنبأنى العماد أبو حامد، أخبرنى أبو على الحسن بن سعد الشاتانى، قال لى نجم الدين بن الشهرزورى قاضى الموصل: دخل إلى شاب من أهل بغداد، فأشدنى هذه الأبيات:

فى نهر عيسى والهواء معنبر والماء فضى القميص صقيل
والطير إما هاتف بقرينه أو نادب يشكو الفراق ثكول
والدهر كالليل البهيم وأنتم غرر تضئ ظلامه وحجول
واستجازنى فقلت:

والغصن مهزوز القوام كأنما هبت عليه من الشمال شمول
وكأنما السرو التحفن بسندس ورقصن فارتفعت لهن ذيول

١٦٩ - قال على بن ظافر: واتفقت لى وللقاضى الأجل شهاب الدين يعقوب
سفرة إلى البيت المقدس للتبرك بما هناك من البقاع المقدسة، والمشاهد المعظمة، وأجدات
الأنبياء المباركة الطيبة، فلما جد بنا المسير، وسهل من فراق الأهل والأوطان العسير،
وقطعت المطايا بنا الربا والوهاد، ولم يسمع إلا هيد وهاد صنع الشهاب:

يا رب سير كالشهاب المحرق
قدحته من زند عود أورك
يسير فى الخرق مسير الأخرق
فهل رأيت عيناك عدو النقنق
حتى إذا ما أفتر ثغر المشرق

ثم استجازنى فقلت:

ولاح فى الجو احمرار الشفق
كالخمر صببت فى زجاج أزرق
بدا على الآل قطار الأينق
كمثل سطر فى بياض مهرق
أو كالمدارى فى مشيب المفرق
كم بازل فى بحره كالزورق
أو كهلال مشرق فى زبرق

١٧٠ - وهذه أيضاً حكاية بديعة، تشتمل على نوعى الإجازة القديم والعصرى،
قصدت بإيرادها فى هذا الموضع أن تكون دهليزاً للخروج من القسم الأول، والدخول
فى القسم الثانى لما بينهما من الاشتراك فيها:

روى من طرق مختلفة كتبت أكملها وأتمها، أن الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر
ارتاح منادمة من بعد عهده بمنادمته، أو من لم يره، وحضره صاحبه الحسن بن محمد بن
طالوت - وكان أخص الناس به - فقال له: لا بد لنا فى يومنا هذا من ثالث، نطيب
بمعاشرتة، ونلتذ بصحبته ومؤانسته، فمن ترى أن يكون طاهر الأعراق، غير دنس
الأخلاق، فأعمل فكره، وأمعن نظره، وقال: أيها الأمير، قد خطر ببالى رجل ليست
عليها فى مجالسته كلفة، قد خلا من إبرام المجالسة، وبرئ من ثقل المؤانسة، خفيف

الوقفة إذا أحببت، سريع الوثبة إذا أمرت، قال: ومن ذاك؟ قال: مانى الموسوس، قال: أحسنت والله، فتقدم إلى أصحاب الأرباع بطلبه، فما كان أسرع من أن اقتنصه صاحب ربع الكرخ، فصار به إلى باب الأمير، فأدخل الحمام، وأخذ من شعره، وألبس ثياباً نظيفاً، ثم أدخل عليه، فقال: السلام عليك أيها الأمير، فقال: وعليك السلام يا مانى، ألم يأن أن تزورنا على حين توفان منا إليك، ومنازعة قلوبنا نحوك! فقال مانى: الشوق شديد، والمزار بعيد، والحجاب عتيذ، والبواب فظ، ولو سهل الإذن لسهلت علينا الزيارة، قال: لقد ألطفت فى الاستئذان، فلا تمنع فى أى وقت جئت من ليل أو نهار، ثم أذن له فجلس، ثم دعا بالطعام فأكل، ثم غسل يده وأخذ مجلسه، وكان محمد قد تشوق إلى السماع من تنوسة جارية ابنة المهدي، فأحضرت، فكان أول ما غنت:

ولست بناس إذ غدوا فتحملوا دموعى على الأحباب من شدة
وقولى وقد زالت بليل همولهم بواكر تحدى لا يكن آخر العهد
فقال مانى: أحسنت والله بحق رأس الأمير إلا ما زدت فيه:

أقمت أناجى الفكر والدمع حائر بمقلة موقوف على الجهد والصد
ولم يعدنى هذا الأمير بعزه على ظالم قد لج فى الهجر والصد
فاندفعت تغنيه، فرق محمد بن عبد الله له وقال: أعاشق أنت يا مانى؟ قال:
فاستحيا، وغمره ابن طالوت لثلا يبوح له بشيء فيسقط من عينه، فقال: بل هلع
مطرب أعز الله الأمير، وشوق كان كامناً فظهر، وهل بعد المشيب من صبوة، ثم اقترح
محمد على تنوسة هذا الصوت من شعر أبى العتاهية:

حجبوها عن الرياح لأنى قلت يا ربح بلغيتها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرحيل الكلاما
فغنته فطرب محمد، فقال مانى: ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه:

فتنفست ثم قلت لطيفى آه لو زرت طيفها إلاما
خصها بالسلام سرّاً وإلا منعوها لشقوتى أن تناما
فكان أبعث للصباة بين الأحشاء، وأطف تغلغلاً على كبد الظمان من زلال الماء،
مع حسن تأليف نظامه، وانتهائه إلى غاية تمامه.

قال محمد: أحسنت والله يا مانى، ثم أمر تنوسة بإلحاقها هذين البيتين بالأولين،

ففعلت، ثم غنت هذين البيتين من شعر أبى نواس:

يا خليلي ساعة لا ترميا وعلى ذى صابابة فأقيما
ما مررنا بدار زينب إلا فضح الدمع سرها المكتوما
فاستحسنه محمد، فقال مانى: لولا رهبة التعدى لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا
يردان على سمع ذى لب إلا صدر استحسانه لهما، فقال محمد: الرغبة فيما تأتى به
حائلة دون كل رهبة، فهات ما عندك، فقال:

ظبية كالغزال لو تلحظ الصخ ر بطرف لغادرته هشيم
وإذا ما تبسمت خلت ما تب لى من الثغر لؤلؤاً منظوما

فقال محمد: أحسنت والله فأجز هذا الشعر:

لم تطب اللذات إلا لمن طابت له لذة تنوسه
غنت بصوت أطلقت عبرة كانت بحسن الصبر محبوسه

فقال مانى:

وكيف صبر النفس عن غادة تظلمها إن قلت طاووسه
وجرت إن شبهتها بانهة فى جنة الفردوس مغروسه

ثم سكت فقال محمد: فأعد لى وصفك لها فقال:

وغير عدل إن قرنا بها جوهرة فى التاج ملموسه
جلت عن الوصف فما فكرة تلحقها بالنعى محسوسه

فقالت تنوسة: وجب علينا يا مانى شكرك، فساعدك دهرك، وعطف عليك إلفك،
وقارنك سرورك، وفارقك محذورك، والله تعالى يديم لنا السرور ببقائه من بقاءه اجتمع
شملنا، وطاب يومنا، فأنشأ يقول:

ليس لى إلف فيقطعنى فارقى نفسى الأباطيل
أنا موصول بنعمة من حبله بالحمد موصول
أنا مشمول بمنة من منه فى الخلق مبدول
أنا مغبوط بزورة من ربعه بالمجد مأهول

فأوماً إليه ابن طالوت بالقيام، فنهض وهو يقول:

ملك عز النظير له زانه الغر البهاليل
 طاهرى فى مركبه عرفه للناس مبدول
 دم من يشقى بصارمه مع هبوب الريح مطلول
 فقال محمد: وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سلفت منا إليك. ثم أقبل على
 ابن طالوت فقال: يا هذا، ليست خسارة ثوب المرء واتضاع المنظر ونبو العين بمذهبة
 جوهر الأدب المركب فيه، والله در صالح بن عبد القدوس حيث يقول:

لا يعجبنك من يصون ثيابه حذر الغبار وعرضه مبدول
 فلربما افتقر الفتى فرأيته وسخ الثياب وعرضه مغسول
 قال ابن طالوت: فما رأيت أحداً أحضر دهنًا منه، إذ تقول له الجارية: عطف عليك
 إلفك، فينفىها بقوله:

ليس لى إلف فيقطعنى

قال: ولم يزل مجريا عليه رزقاً سنياً إلى أن مات.

١٧١ - القسم الثانى ما تكون الإجازة فيه لشعر قديم، فمنه إجازة بيت بيت،
 كما روى إسحاق الموصلى، قال أبو الجيب شداد بن عقبة: دعا رجل من الحى - يقال
 له: أبو سفيان - رجلاً من حيه اسمه القتال الكلابى إلى وليمة، فجلس القتال ينتظر
 رسوله، ولا يأكل حتى ارتفع النهار، وكانت عند امرأته فقرة من حوار، فلما ئس قال:

فإن أبا سفيان ليس بمولم فقومى فهاتى فقرة من حوارك
 قال إسحاق: فقلت له: ثم ماذا؟ قال: لم يأت بعده بشيء، إنما أرسله يتيماً، فقلت:
 أفلا أزيدك إليه بيتاً آخر ليس بدونه؟ قال: بلى، فقلت:

فبيتك خير من بيوت كثيرة وقدرك خير من وليمة جارك
 فقال: بأبى أنت وأمى، والله لقد أرسلته مثلاً وما انتظرت به العرب، وإنك لبز
 طراز، ما رأيت فى العراق مثله، وما يلام الخليفة على أن يدنيك ويؤثرك ويتملح بك،
 ولو كان السباب يشتري لابتعته لك بإحدى يدي، ويمنى عيني، على أن فيك بحمد الله
 منه بقية تسر الودود، وترغم الحسود.

..... فى بدائع بدائه الإجازة
هذا من رواية الأصبهاني متصل بعمر بن شبة وحامد، عن إسحاق. وفى رواية له
تصل بالأخفش ويزد المهلبى أن إسحاق قال: أخبرنى أبو زياد الكلابى قال: أولم جار
لى... وذكر الحكاية. والبیت الأول فيها لأبى زياد، فعلى هذا تكون من إجازة بیت
عصرى بییت.

١٧٢ - ومن ذلك ما روى أحمد بن أبى فتن قال: دخل أبو نواس على الذلفاء
جارية ابن طرخان، ودخل على إثره مروان بن أبى حفصة، فرفعه مولاه عنه،
فغضب، وقال: أجزى لجرير:

غیضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا
فقلت - وكانت تشب بالرشيد -:

هیجت بالبیت الذى أنشدتنى حبا بقلبی للإمام دفینا
فقام أبو نواس عند ذلك، وخرج وهو ينشد:

عجبا من حماقة الذلفاء تشهى فياشل الخلفاء
قال ابن أبى فتن: فأجزت أنا قول أبى نواس، وأكثر الناس يروونه له:

لو تشهيت غيره كان أولى من أيور الدناة والضعفاء
إن أدنى الأمور عندى منالاً شهوات الأكفاء للأكفاء

١٧٣ - وروى أحمد بن معاوية قال: قال لى رجل: تصفحت كتباً، فوجدت فيها
بیئاً جهدت جهدى أن أجد من یجیزه، فلم أجد، فقال لى صديقى: عليك بعنان جارية
الناطفی، فجئتها فقلت: أجزى:

فما زال يشكو الحب حتى رأیته تنفس فى أحشائه وتكلما
فلم تلبث أن قالت:

ویکى فابکى رحمة لبكائه إذا ما بکى دمعاً بکیت له دما

١٧٤ - وروى العباس بن رستم قال: دخلت مع أبان اللاحقى على عنان فى
خيشها فقال:

العیش فى الصیف خیش

فقلت مسرعة:

إذ لا قتال وجيش

قال: فأشدتها لجري:

ظلمت أوارى صاحبي صبابتي وقد علقتنى من هواك علوق
فقلت:

إذا أغفل الخوف اللسان تكلمت بأسراره عين عليه نطوق
١٧٥ - وذكر الجهمشيارى فى كتاب الوزراء والكتاب، حدث محمد بن الفضل
الهاشمى قال: حدث أحمد بن سلمة الكاتب أنه قال لعياش بن القاسم: اجتمعت مع
عمرو بن مسعدة وأحمد بن يوسف فى مجلس فيه قينة، فغنت:

أناس مضوا كانوا إذا ذكر الألى مضوا قبلهم صلوا عليهم وسلموا
فقال عمرو: هو - والله - حسن، إلا أنه مفرد، فأضيفوا إليه بيتاً آخر، فإنه أحسن
له وأطول للقافية، وأطوع للغناء فيه، فقال أحمد بديهاً:

وما نحن إلا مثلهم غير أننا أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا
فغنت بهما المغنية، فطربوا وشربوا عليهما بقية يومهم.

١٧٦ - وروى على بن الحسن الباخري فى كتاب «دمية القصر» أن أبا جعفر
محمد بن إبراهيم المعدنى، معدن زوزن، رأى على جدار بيتاً مكتوباً:

لكل شىء من فقدته عوض وما لفقد الشباب من عوض
وليس فى الدهر من شدائده أشد من فاقة على مرض
١٧٧ - وذكر أحمد بن أبى طاهر قال: ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة:
ومستفتح باب البلاء بنظرة تزود منها قلبه حسرة الدهر
فقلت مسرعة:

فوالله ما ندرى أتدرى بما جنت على قلبه أم أهلكته ولا تدرى
١٧٨ - وروى الفضل بن العباس الهاشمى عنها وعن بنان الشاعرة، قالت: توكل
المتوكل على يدى ويد فضل وقال: أجيزا قول الشاعر:

تعلمت أسباب الرضا خوف سخطه وعلمه حبى له كيف يغضب

فقلت فضل:

يصد وأدنو بالمودة جاهداً ويبعد عنى بالوصال وأقرب
فقلت أنا:

وعتدى له العتبي على كل حالة فما منه لى بد ولا عنه مذهب
١٧٩ - قال على بن ظافر: أنشدنى أبو القاسم الصيرفى فى قول عبد الله بن
السمط:

حار طرف تأملك ملك أنت أم ملكك
فقلت بديهاً:

بل تعاليت رتبةً فلك الأرض والفلـك
١٨٠ - وأخبرنى بهاء الدين بن الساعاتى المقدم ذكره قال: غنى مغن فى مجلس
كنت به حاضراً:

يا بدر عذالى عليك كثيرة والمسعدون على هواك قليل
فأجزته بديهاً فقلت:

فى الصبر عن هذا القوام ولينه قصر وفى شرح الصبابة طول
١٨١ - وأخبرنى الأديب أبو القاسم العداس المنبوز بالراوية قال: قصد الشيخ
أبو الخير سلامة الأنبارى الضرير النحوى تعجيزى بين يدى الشيخ العلامة أبى
محمد بن برى، لسر كان بينى وبينه، فقال لى: إن كنت شاعراً كما تزعم فأجز:
أدرجت فى أثناء نسيانكم حتى كأنى ألف الوصل
فقلت بديهاً:

وكنـت عين الفعل فى قربكم فصرت لام الجرف فى الفعل
١٨٢ - قال على بن ظافر: أنشدنى بعض أصحابنا هذا البيت من شعر ابن منير
وسألنى إجازته:

يجل عن التشبيه فى الحسن وجهه فبدر الدجى من حسنه يتعجب
فقلت فى قصيدة اقتضاها سؤاله:

ومن كان بدر التـم يعجب أن رأى محاسنه بالسدر كيف يلقب
١٨٣ - ومنه ما تكون الإجازة فيه لبيت بأكثر من بيت، روى أبو الفرج فى كتاب

فى بدائع بدائـه الإجازة ١٠٣

القـيان والمغـنـين أن بذلاً الكـبـيرة جارية عبد الله بن موسى الهادى غنت بين يدى المأمون:

ألا لا أرى شيئاً ألد من الوعد ومن أمل فيه وإن كان لا يجدى
فصنع المأمون بيتين بديهاً وقال: زيديهما فيه:

ومن غفلة الواشى إذا ما لقيته ومن زورتى أبياتها خالياً وحدى
ومن ضحكة فى الملتقى ثم سكتة وكلتاها عندى ألد من الشهد
١٨٤ - وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام فى الذخيرة قال: غنى يوماً بين يدى العالى
الإدريسى بمالقة ببيت لعبد الله بن المعتز:

هل ترين البدر يخال إن غدت للسير أجمال
فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد الملقى بإجازته فقال بديهاً:

إنما العالى إمام هدى جلبت فى عصره الخال
ملك إقبال دولته لذوى الأفهام إقبال
قل لمن أكدت مطالبه راحتاه الجاه والمال
١٨٥ - وأخبرنى أبو الحسن بن الساعاتى المقدم ذكره، قال: غنى مغن فى بعض
المجالس:

أسفى على بان القدود ريان أثمر بالـنهود
وكان عندنا بالمجلس رجل كبير الأنف يتطايب، وكان ينعت بالسديد، فأردت العبث
به، فقلت بديهاً:

يا مانعى صفو الرضا لوما نحى كدر الصدود
ما ضاقت الدنيا على وقد حوت أنف السديد
١٨٦ - وغنى بعض القوالين يوماً:

سلام على من لست أرجو وصاله وغير الصبا ما لى إليه رسول
فأجابه الشهاب بن المجاور بديهاً بقوله:

يراجعنى عن خده وهو عاطر ويرجع عن عطفه وهو بليل
وما كنت لولا هجره بمروع ولو صدنى عنه قناً ونصول
أناه فإنى لا أصيخ للائم ولو أن حد المشرفى عذول

سأصبر لا يدرى هواى فيثنى ولا أنا أرجو عطفه فأقول
١٨٧ - وأخبرنى القاضى الموفق بهاء الدين أبو على الديباجى كاتب الدست
الشرىف قال: أنشدنا مولانا السلطان الملك الكامل - خلد الله ملكه - قول الشاعر:

ترحل من حياتى فى يديه فىا أسفى ويا شوقى إليه
واستجاز الجماعة فقلت:

ومن هذا يكون عليه مثلى وهذى الريح أخشاها عليه
وقال الأمير الأجل الكبير صلاح الدين أدام الله توفيقه:

ألا يا ليته إن كان يأتى حياتى ثم موتى فى يديه
١٨٨ - ومنه ما تكون الإجازة فيه لأكثر من بيت، ذكر أبو العتاهية قال: حبسنى
الرشىد لتركى الشعر وغلقت على الأبواب، فبقيت دهشاً كما يدهش مثلى لتلك الحال،
فإذا رجل جالس فى جانب السجن وهو مقيد، فجعلت أنظر إليه ساعة، فتمثل بقوله:

تعودت مر الصبر حتى ألفته فأسلمنى حسن العزاء إلى الصبر
وصيرنى يأسى من الناس راجياً لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى

فقلت له: أعد - أعزك الله - هذين البيتين، فقال لى: ويلك يا أبا العتاهية، ما أسوأ
أدبك وأقل عقلك، دخلت على السجن، فما سلمت تسليم المسلم على المسلم، ولا
سألت مسألة الحر للحر، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى، حتى إذا سمعت بيتين من
الشعر الذى لا فضيلة فىك سواه، لم تصبر عن استعادتهما، ولم تقدم قبل مسألتك
عنهما عذراً لنفسك فى طلبهما، فقلت: يا أخى، إنى دهشت من هذه الحال، فلا
تعذلى واعذرنى متفضلاً، فقال: أنا والله بالدهش والحيرة أولى منك؛ لأنك حبست
على أن تقول الشعر الذى به ارتفعت وبلغت ما بلغت، وإذا قلته أمنت، وأنا حبست
على أن أدل على ابن رسول الله ﷺ ليقتل أو أقتل دونه، ووالله لا أدل عليه أبداً،
والساعة يدعى بى فأقتل، فأينا أحق بالدهش.

فقلت: أنت والله أولى، سلمك الله وكفاك، ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك،
فقال: إذا لا أبخل عليك، ثم أعاد على البيتين حتى حفظتهما وأجزتهما بقولى:

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكرهت منه طال عتبى على الدهر

ثم سألته عن اسمه فقال: أنا أبو حاضرة داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد. قال: فلم نلبث إلا قليلاً حتى سمعنا صوت الأقفال، فقام فسكب عليه ماءً من جرة كانت عنده، ولبس ثوباً نظيفاً، ودخل الحرس ومعهم الشموع، فأخرجونا جميعاً، وقُدِّمَ قبلى إلى الرشيد، فسأله عن أحمد بن عيسى، فقال: لا تسألنى عنه، وافعل ما بدا لك، فلو أنه تحت ثوبى ما كشفت عنه. فأمر به فضربت عنقه، ثم قال: أظنك يا إسماعيل ارتعت! فقلت: دون ما رأيت تسيل منه النفوس، فقال: ردوه إلى محبسه فردونى.

١٨٩ - وذكر ابن عبد ربه فى كتاب العقد، قال: صنع أبو دلف القاسم بن إسماعيل العجلي:

أنا أبو دلف البادى بقافية جوابها يعجز الداهى من الغيظ
من زاد فيها له رحلى وراحلتى وخاتمى والمدى فيها إلى القيظ
فظن أنه لا ثالث لهما القافيتين، فصنعت:

قد زدت فيها ولو أمسى أبو دلف والنفس قد أشرفت منه على الفيظ
قال على بن ظافر: تذاكرنا بهذه القطعة، فقال بعض الحاضرين: لم يبق رابعة،
فصنعت:

أزيد فيها ولو ماتا بغيطهما ما ألفت النمل أحياناً من البيظ
وذلك أن كل بيض لطائر أو حيوان فبالضاد إلا بيظ النمل، فإنه بالطاء، وكل ما
يفيض من إناء وغيره فبالضاد إلا فيظ النفس، فإنه بالطاء. ثم صنع القاضى الأعز بن
المؤيد رحمه الله بعد ذلك بديهاً:

ذو الحزم لا يتعدى فى فعائله ما دام للناس تكوين من البيظ
والبيظ هاهنا: ماء الرجل. ثم صنع شهاب الدين ابن أخت الوزير نجم الدين -
رحمه الله:

يا سادتى فى القوافى قل ما تركوا كماتح البئر لم يترك سوى البيظ
حازت قوافيكم الظالآت أجمعها كمثّل ما حيز مع البيظ بالبيظ
لكن مواعيد باديكم أبى دلف لا صدق فيها كمثّل الآل والبيظ
البيظ فى القافية الأولى: بقية الماء فى نقرة البئر، وهى الحفرة التى يبقى فيها الماء بعد
نرحها، وفى القافية الثانية: قشرة البيض الرقيقة فوق المح، وهو الغرقىء، قال زهير:

١٠٦ فى بدائع بدائه الإجازة

كان البيظ لفعه قناعا على الهامات كرات الدهور
وفى القافية الثانية خيال وجه الإنسان فى السيف، قال عبيد:

كان وجوه نسل بنى نمر مثال البيظ فى السيف اليمانى
قالوا: وجميعها بالظاء، ولست على يقين من صحة ذلك، وأظن أن صاحب العقد
قد وهم فى كون قائل البيتين أبا دلف الجلى، فإن أبا دلف أفضل وأفصح وأعلم
وأشرف من أن يقع فى مثل هذا، وأظن قائلهما أبا دلف هاشم بن محمد الخزاعى الوالى
كان بالبصرة للمقتدر بالله سنة خمس وثلاثمائة، وهذا كله إنما وقع فى المختصرات،
وأما الأمهات فلم تذكر فيها إلا القوافى الثلاث الأولى.

١٩٠ - وبالإسناد المتقدم ذكره صاحب اليتيمة أن صاحب أمر أبا محمد
الحسن بن محمد البروجردى بإجازة هذين البيتين:

يا نسيم الريح من بلدى خبرى بالله كيف هم
ليس لى صبر ولا جلد ليت شعرى كيف صبرهم
فقال:

ولسان الدمع يشهد لى وهو ممن ليس يهتم
١٩١ - وأنبأنى الفقيه أبو الحسن بن المقدسى إجازة قال: أنبأنى الشيخ أبو القاسم
مخلف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى، عن الحافظ
أبى عبد الله محمد بن أبى نصر بن عبد الله الحميدى، قال: أخبرنى أبو الوليد
الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن الفراء، قال: حضرت عند عمى وعنده أبو عمر
القسطلى - يعنى ابن دراج - وأبو عبد الله المعيطى، فغنى المعيطى:

مروع منك كل يوم محتمل فيك كل لوم
يا غايتى فى المنى وسؤلى ملكت رقى بغير سوم

فأعجبنا بهذين البيتين، فقال أبو عمر: أنا أضيف إليهما ثالثاً لا يتأخر عنهما، ثم
قال:

تركت قلبسى بغير صبر فيك وعينسى بغير نوم
١٩٢ - وذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه يقول

فى بدائع بدائه الإجازة ١٠٧
ابن المعتز:

وحماره من بنات المجوس ترى الزق فى بيتها سائلا
وزنا لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلا
فأجازهما بديهاً بقوله:

وقلنا خذى جوهراً ثابتاً فقالت خذوا عرضاً زائلاً
١٩٣ - ونقلت من خط عبد الجليل بن عبد المحسن الكتامى الشاعر الأسىوطى،
قال: غنى لنا يوماً بعض القوالين هذين البيتين، وهما لأبى العلاء الأسدى من شعراء
اليتيمة:

لا لعمرى ما أنصفوا حين بانوا حلفوا الى ألا يخونوا فخانوا
شتتوا بالفراق شمل اتصالى جمع الله شملهم أين كانوا
قال: فأجزتهما بقولى بديهاً:

أنا ممن يدين فى الرجعة الآ ن تراهم بمذهب الصب دانوا
١٩٤ - قال على بن ظافر: وما هو من هذا الباب إلا أن الإجازة فيه لسد فرجة
بين البيتين ما ذكره صاحب المقتبس من أن أبا الحسن زريباً المغنى مولى المهدي المروانى
غنى يوماً بين يدى الأمير عبد الرحمن الداخل ملك الأندلس بهذين البيتين:

قالت ظلوم سمية الظلم ما لى رأيتك ناحل الجسم
يا من رمى قلبى فأقصده أنت الخير بموقع السهم
فقال عبد الرحمن: هذان البيتان منقطعان، فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبعد،
فقال عبد الرحمن بن قزمان بديهاً:

فأجبتها والدمع منحدر مثل الجمان هوى من النظم
فاستحسنه وأمر له بجائزة.

١٩٥ - وما يجرى مجرى الطرف ما أخبرنى به الأديب أبو القاسم بن نفطويه أنه
جلس أيام اشتغاله على الشيخ الأستاذ العلامة أبى محمد بن برى مع جماعة من
تلامذته، فتذكروا ما يعانىة الشيخ من بلادة بعض طلبته - وهو رجل كرهت ذكره مع
فرط اعتناؤه بتعليمه وشدة عنائه فى تفهيمه - فأنشد أحدهم قول أبى العباس المبرد:

أقسم بالمتسم العذب ومشتكى الصب إلى الصب
لو قرأ النحو على الرب ما زاده إلا عمى القلب

قال: فقلت ارتجالاً:

قد عذب الله به شيخنا فى هذه الدنيا بلا ذنب
فضحك الجماعة واستطرفوا البيت.

١٩٦ - ومنه ما تكون الإجازة فيه بأكثر من بيت لأكثر من بيت، فمن ذلك ما ذكره إسحاق الموصلى قال: أنشدنى شداد بن عقبة لجميل:

بشين سلىنى بعض مالى فإنه يبين عند المال كل بخيل
وإنى وتكرارى الزيارة نحوكم ليين يدى هجر - بشين - طويل

قال: فقلت لشداد: أفلا أزيدك فيهما؟ قال: بلى، فقلت مسرعاً:

ألا ليت شعرى هل تقولين بعدنا إذ نحن أجمعنا غداً لرحيل
ألا ليت أياما مضين رواجع وليت النوى قد ساعفت بجميل

فقال: أحسنت - والله - إن هذا هو الشعر الضائع، فقلت: وكيف؟ قال: نفите عن نفسك بتسميتك جيلاً فيه، ولم يلق برتبة شعر جميل، فضاع بينكما جميعاً.

١٩٧ - أنبأنى الشيخان: الأجل العلامة تاج الدين الكندى، والفقيه جمال الدين بن الحرستانى إجازة قالاً: أخبرنا الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى سماعاً عليه قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، عن أبى القاسم التنوخى، أخبرنى أبو عبد الله محمد بن عثمان الخرقى الفارقى الحنبلى التميمى قال: كنت بالرملة سنة ثلاثمائة وخمس وستين، وقد ورد إليها القرمطى أبو على القصير الثياب، فاستدنانى منه، وقربنى إلى خدمته، فكنت ليلة عنده إذ حضر الفراشون بالشموع، فقال لأبى نصر بن كشاجم - وكان كاتبه -: يا أبا نصر، ما يحضرك فى صفة هذه الشموع؟ فقال: إنما نحضر مجلس السيد لنسمع كلامه، ونستفيد من أدبه، فقال أبو على فى الحال بديهاً:

ومجدولة مثل صدر القتاة تعرت وباطنها مكس
لها مقلّة هى روح لها وتاج على الرأس كالبرنس
إذا غازلتها الصبا حركت لساناً من الذهب الأملس

وإن رنقت لنعاس عرا وقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج فى وقت تلقيحها ضياءً يحلى دجا الحندس
فنحن من النور فى أسعد وتلك من النار فى أنحسفتنى
تكيد الظلام وما كادها وتفنيه فى مجلس

فقام أبو نصر بن كشاجم، وقبل الأرض بين يديه، وسأله أن يأذن له فى إجازة الأبيات فأذن له، فقال:

وليتنا هذه ليلة تشاكل أشكال إقليدس
فيا ربة العود غنى لنا ويا حامل الكأس لا تجلس

فتقدم بأن يخلع عليه، وحملت إليه صلة سنية، وإلى كل من الحاضرين.

١٩٨ - وأخبرنى الأمير شمس الدولة عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن على بن منقذ بن نصر بن منقذ رحمه الله تعالى، قال: جرت بينى وبين القاضى المذهب أبى محمد الحسن بن على بن الزبير مفاوضة فى قول الشعر بديهاً، وذلك فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بدار الوزارة بالقاهرة، قال: كنت فى مبدأ عمرى أملى الشعر إملاء - كالحفوظ - على من يكتبه، فربما سبقته بالإملاء ولا أتوقف. فجعلت أتعجب من قوله تعجباً يظهر منه الاستبعاد، فقال: وكأنك تستصعب هذا! إنما الصعب أن تقترح على الشاعر العمل فى معنى مخصوص على قافية شاذة فى وزن معين، وإن أردت أن تقف على حقيقة ما قلته ليزول عنك الشك وتدركه بالرؤية لا بالرواية، فأنشدنى ما أعمل لك عليه، قال: فأنشدته من شعر الحماسة:

فإن يجبوها أو يحل دون وصلها لقاء عدو أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عينى من دائم البكا ولن يظهروا ما قد أجن ضميرى

فأنشد مبادراً كأنه يحفظ ما ينشده:

صبرت على جور الزمان وصرفه وإن كنت يوم البين غير صبور
وإن الذى يبغي اعتلاقاً بودها لمستمسك منها بحبل غرور
أرى الناس قد فكوا العناة تخرجاً فهل لك يوماً فى فكاك أسير
إذا أظلمت أيامنا من صدودكم جلوت بدوراً فى ظلام شعور
ولم أر فيمن أستعين به سوى عذول فمن لى فيكم بعذير

وإن ظباء الوحش تحسب منكم / بحسن نفور عندها ونحور
وما كنت ممن يصبح الحب قادراً / عليه ولكن ذاك فعل قدير

قال الأمير: فجننت استحساناً لما أتى به وتعجباً من سرعته، فقال: أنشدنى غير هذا
لئلا تقول إنه محفوظ لى، فامتنعت تخرجاً من ذلك، فأبى إلا أن أنشد فأنشده:

وما فارقت لبنى عن تقال / ولكن شقوة بلغت مداها
فاسترسل مع آخر إنشادى قائلاً:

وكل منى النفوس إلى انقطاع	إذا بلغت لعمرى منتهائها
أناديها وليس تجيب قولى	كأنى قد دعوت بها سواها
سألنى دونها نبل الأعادى	وأرمى منهم من قد رماها
وأصبر للتجنى كل يوم	وما أنا بالصبور على قلاها
سلاها حين مال القلب عنها	ولم يعلق سواها هل سلاها
ومن هذا الذى عنى حماها	على قرب ولم يدخل حماها
وضنت بالسلام على بخلاً	وقد ضمنت لطارقها قراها
وعين حل فيها السحر لما	أحلت فى نواظرها قذاها
غدا الإعراض حظ مؤلميها	وأمسى اليأس غاية من رجاها
أود ومهجتى فى راحتها	مدى الأيام لو جعلت فداها

قال الأمير: وحين انتهى إلى هذا الحد، ورأيت شدة تجمعه وفرط تحفزه، وما يعانى
فى إحضار ذهنه، قطعته إشفافاً عليه.

١٩٩ - ومما وقع من هذا الباب، وكانت الإجازة فى وسط الشعر صلةً لمعنى
منقطع، ما أخبرنى به الشيخ أبو عبد الله محمد بن على القرمونى، قال: أنشد والدى
الشيخ أبو الحسن على بن محمد اليحصبى القرمونى قول ابن الرومى:

شهر الصيام مبارك / ما لم يكن فى شهر آب
خفت العذاب فصمته / فوَقعت فى نفس العذاب

فقال: هذان البيتان منقطعان، ويحتاجان إلى ما يصل بينهما، فقال بديهاً:

الـيوم فـيـه كـأنـه مـن طـولـه يـوم الحـساب
واللـيل فـيـه كـأنـه لـيل التـواصـل والعـتاب

الباب الثالث

فى بدائع بدائه التمليط

التمليط: هو أن يجتمع شاعران فصاعداً على تجريد أفكارهم، وتجريب خواطرهم فى العمل فى معنى واحد. وأما اشتقاقه فذكر ابن رشيق أنه من أحد شيئين: إما أن يكون من الملاطين، وهما جانباً السنام فى مرد الكتفين، قال جرير:

ظللن حوالى خدر أسماء وانتحى بأسماء موار الملاطين أروح
فكان كل قسم أو بيت ملاط، أى جانب من البيت أو القطعة. والآخر أن يكون من الملاط، وهو الطين يدخل فى البناء، ويملط به الحائط تمليطاً، أى يدخل بين اللبن حتى يصير شيئاً واحداً. وأما الملط، وهو الذى لا يبالى ما صنع، والأملط وهو الذى لا شعر له فى جسده، فليس لاشتقاقه منهما وجه.

قال على بن ظافر: فمن التمليط ما يكون بين شاعرين، ومنه ما يكون بين شعراء، ومنه ما يكون بقسيم لقسيم، ومنه ما يكون بيت بيت، ومنه ما يكون بيتين لبيتين. والفرق بينه وبين الإجازة أن التمليط يتفق فيه الشعراء قبل العمل على العمل، أو يندبون لذلك، وتكرر منهم المناوبة، وهذا ليس من شروط الإجازة.

٢٠٠ - فمما وقع من التمليط بين شاعرين بقسيم لقسيم - وهذا النوع يسمى المماتنة - ما أنبأنى به الشيخان تاج الدين الكندى وجمال الدين الحرستانى إجازة عن الإمام الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن عساكر الدمشقى، قال: أخبرنا محمد بن طاوس، أخبرنا عاصم بن الحسن، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا الحسن بن صفوان، حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا، حدثنى أبو عدنان البصرى، حدثنى الصامت بن غنبل اليشكرى سنة إحدى وتسعين ومائة، وأخبرنى به أبو عبيدة، عن أبى عمرو بن العلاء قال: أقبل امرؤ القيس حتى لقي التوءم اليشكرى - وكان اسمه الحارث بن قتادة، ويكنى أبا شريح، فقال امرؤ القيس: إن كنت شاعراً كما تقول فملط أنصاف ما أقول، فقال امرؤ القيس:

أحار ترى بريقاً هب وهنا

فقال التوءم:

كذار مجوس تستعر استعارا

فقال امرؤ القيس:

أرقت له ونام أبو شريح

فقال التوءم:

إذا ما قلت قد هداً استطارا

فقال امرؤ القيس:

كأن حنينه والرعء فيه

فقال التوءم:

عشار وله لاقت عشارا

فقال امرؤ القيس:

فلم يترك ببطن الأرض ظبياً

فقال التوءم:

ولم يترك بجلهتها حمارا

فقال امرؤ القيس:

فلما أن دنالقفأ أضاح

فقال التوءم:

وهت أعجاز ريقه فحارا

فقال امرؤ القيس: لا أتعنت على أحد بعد ذلك بالشعر، فقيل: إنه عز على ابن حجر ممانته ومساواته له، وآلى ألا ينازع شاعراً أبداً. وكان أبو عبيدة يقول: هى محمولة عليه.

٢٠١ - وروى ابن الكلبي، عن أبيه، قال: حدثنى شيخ من بنى زياد بن عبد المدان

- وكان عالماً بقومه - قال: نشأ غلام من بنى جنب يقال له: رفاعه، ويقال له: المحترش، فنبغ فى الشعر وماتن شعراء قومه حتى أبر عليهم، فلما وثق من نفسه بذلك قال لأبيه: لأخرجن فى قبائل اليمن، فإن وجدت أحداً يمانتنى رجعت إلى بلادى، وإن لم أصادف من يمانتنى تقرت قبائل العرب.

فنزل بصرم من بنى فهد والحى خلوف، فأنى حجرة عن جنب الحواء، فإذا عجوز
 حيزبون قد أقبلت معتمة تتوكأ على محجن، فقالت: عم ظلاماً، فقال: نعم ظلامك،
 فقالت: ممن الرجل؟ قال: فقلت: من مذجع، قالت: من أيهم؟ قلت: من جنب،
 قالت: أضيف أنت؟ فقلت: نعم، قالت: فلا حملك الله، ما عدوت أن يخلتنا وأسأت
 أحدوثنا. ثم أثارنا ناقتى وكنتها فى خبائها، وأمرت وليدة لها فجاءت بعتود يمرح فى
 إهابه سمناً ومدية، وقالت: اذبح أيها الرجل، واعتجنت وامتلت وطبخت، وقربت
 طعاماً، وجلست أنا وهى والوليدة: فلما تعشنا قالت: ما رمى بك إلى هذه البلاد؟
 فأخبرتها خبرى، فضحكت وقالت: بت فسأجيئك غداً بعشر خرائد تمانتك دون
 الرجال، فإن غلبت فارجع إلى بلادك، واعلم أنك ترمى من مرام، فبت فلما أصبحنا
 إذا العجوز قد أقبلت، ومعها ثلاث فتيات كالمهرات، فابتدرن إلى الحجرة، وأقبلت
 العجوز فحيتنى، وسألتنى عن مبيتى، ثم أومأت إلى إحداهن، فأقبلت كالعيدانة يميلها
 الصبا، فقالت: أنت المتحدى بالمماننة، فقلت: نعم، فقالت: قل أسمع، فقلت:

سوام تداعت سومها وعجافها

فقالت:

حوامل أثقال تنوء فترزح

فقلت:

إذا أيهت فى حجرتيها رعاؤها

فقالت:

سمت فرق منها شوامر لقح

فقلت:

نواء تداعى بالجنين عشارها

فقالت:

فتبرح ناراً أو تبیت فتنح

فقلت:

إذا وصلت أرضا سقتها بدرها

فقلت:

أفاويق رسل محضة لا تضح

فقلت:

إذا انسفت أخلافها خلت ما جرى

فقلت:

على الأرض منه لجة تتضحضح

فقلت: أمطلقة أم ذات بعل؟ فقلت:

عقال - لعمر الله - لو شئت به شرادى ولكن التكرم أجدر
فقممت إلى راحلتى، فقلت العجوز: رويت أم أحلب لك أخرى؟ فقلت: أروتنى
الأولى، فقلت: الحق الآن بأرضك. فخرجت أريد لرجوع إلى قومى، فأبى بى اللجاج
إلا قصد ما خرجت إليه، فدفعت إلى صرم من جرم، فإذا صبيان على غدير يرتجزون،
فدعوت غلاماً منهم من أبشرهم، فقلت: يا غلام! هل فى صرمكم من يماتننى؟ فإننى
قد برزت على شعراء العرب، فقال: أنا، فقلت: أنت أيها الفصيل، فقال: قل ودع
عنك ما لا يجدى، فقلت:

أوابد كالجزع الظفارى أربع

فقال:

هماهن جون الطرتين مولع

فقلت:

يرود بهن الروض فى الأمن جاره

فقال:

وأحلى لهن المتضى والمودع

فقلت:

فلما اشتكت أمات قردانه السفا

فقال:

وحب على البيد السفير الممذع

فقلت:

وشبت على الأكباد نار من الصدى

فقال:

تظل لنا بين الحيازيم تسفع

فقلت: أولى لك، وامتطيت راحلتى، حتى دفعت إلى شيخ يرعى غنيمات له، فاستقرته، فقام مبادراً إلى قعب له، فاحتلب ما كان فى ضروعهن، ثم جاءنى به، فشربت، فلما اطمأنت قال: ما رمى بك إلى هذا القطر؟ فأخبرته، وكتمت ما لاقيت، فكشر وصاح بغلمة يرعون قريباً منه، فأقبل غلام منهم، فقال: ادع عسرة، فما لبث أن أقبلت جويرية عجفاء كأنها وبيلة خيسفوج، حتى وقفت بين يديه، فقال: إن ابن عمك هذا خرج من بلاده يتحدى بالماتنة، فهل عندك شيء؟ فقالت: قل أيها المتحدى - وإنها لتقلب عينيها كعيني الأرقم - فقلت:

فما بسرة زرقاء فى ظل صخرة

فقال:

ذخيرة غراء الذرى جونة النضد

فقلت:

نفى سيلان الريح عن متنها القذى

فقال:

وذادت غصون الأيك عن متنها

فقلت:

سياب مجاج أخلص الدبر أريه

فقال:

بصبهاء صرف جيب عن صفوها

فتركت ما قصدت له، وملت إلى وجهة أخرى ووصفت ناقة، فضحكت وقالت:

أغوصت، فقلت:

إذا انشنج الحرباء فى رأس عوده

فقلت:

وألجأ أم الحسل فى مائها الصخذ

فقلت:

أثارت بموماتين تحت حجاجها

فقلت:

حواتك أشباه كرائية الجلد

قال: فرحت وآليت ألا أمتن أحداً ما عشت.

تفسير ما فى الكلام والشعر

العتود: الجذع من الغنم أو فوق ذلك. والعيدانة: النخلة الطويلة. قال الشاعر:

وإذا مشين مشين غير جوارب هز الجنوب نواعم العيدان

والشوامر: التى قد شالت بأذيالها، أى رفعتها. والنواء: السمان، الواحدة ناوية، قال

الشاعر:

ألا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء

والبارح: الذى يمر ومياسره عن مياسرك. والسانح: الذى يمر وميامنه عن ميامنك،

وأهل نجد يتيامنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح، وأهل الحجاز يخالفونهم فى ذلك.

وأفاويق: جمع فواق، ويمكن أن يكون جمع فيقة، وهى السكتة بين المطرتين، والسكتة

بين الحلبتين قال:

حتى إذا فيقة فى ضرعها اجتمعت جاءت لترضع شق النفس لو رضعاً

والضيح: اللبن الذى صب فيه ماء، وكذلك المذق، قال الراجز:

فامتضحا وسقيانى ضيحا فقد كفيت صاحبى الميحا

وانسفحت: انصببت، وبه سمى السفاح التغلبى؛ لأنه سفح ماء أصحابه وقال: لا

ماء لكم دون الكلاب. قال:

وأخوهما السفاح ظمأ خيله حتى وردن جبا الكلاب نهالا

١١٨ فى بدائع بدائه التمليط

الجبا: الماء بعينه، والجبا: الحوض أيضاً. والضحضاح: الماء القليل يضطرب على وجه الأرض. والخيسفوج: القطوف والخشب اليابس.

٢٠٢ - ومن ذلك ما رواه أبو عزة قال: أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بنى قينقاع، فلحق الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أطمه، فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة، وكانت سوقاً عظيمة، فحاصت بالنابغة ناقته. فقال:

كادت تهلل من الأصوات راحلتى

ثم قال: يا ربيع أجز. فقال:

والنفر منها إذا ما أوجست حلق

فقال: ما رأيت كالיום شعراً، ثم قال: أجز:

لولا أنهنها بالزجر لاجتذبت

فقال:

متى الزمام وإنى راكب لبق

فقال النابغة:

قد ملت الحبس فى الآطام

فقال:

إلى مناهلها لو أنها طلق

فقال النابغة: يا ربيع أنت أشعر الناس.

٢٠٣ - ومن ذلك ما رواه إبراهيم بن المدبر، عن إبراهيم بن العباس الصولى، قال:

وحدثنى به دعبل أيضاً - وكانا متفقين - قال: كنا نطلب جميعاً بالشعر، فخرجنا سنة وكانت محلاً، فابتدأت أقول فى المطلب بن عبد الله:

أمطلب أنت مستعذب

فقال دعبل:

لسمم المنايا ومستقبل

فإن أشف منك تكن سبة

فقال دعبل:

وإن أعف عنك فما تفعل

٢٠٤ - وقد ذكر الصولى فى كتاب الوزراء قال: حدثنى محمد بن يحيى قال: قدم أعرابى اسمه عتبة يقول الشعر، وكان ظريفاً من الأعراب، فضمه الحسن بن وهب إليه، فاجتمع الحسن يوماً وإبراهيم بن العباس، فقال لهما عتبة هذا: إن كنتما تقولان الشعر بالعجلة، فاهجوانى، فقال الحسن:

لمن طلل فى رأس عتبة مقل

فقال إبراهيم:

عفته رياح الصفع تعلو وتسفل

فقال الحسن:

شكا ما يلاقيه من الصفع رأسه

فقال إبراهيم:

تناوبه منه جنوب وشمال

فقال الأعرابى: والله لئن لم تمسكا لأخرجن من البلد.

٢٠٥ - وذكر الصابى فى كتاب الوزراء والكتاب، قال: روى أبو الفتح منصور بن محمد بن المقتدر الأصفهاني، قال: كان أبو القاسم بن أبى العلاء الشاعر من وجوه أهل أصفهان وأعيانهم ورؤسائهم، فحدثنى أنه رأى فى منامه قائلاً يقول له: لِمَ لَمْ ترث الصاحب بن عباد مع فضلك وشعرك؟ فقلت: ألجمتنى كثرة فضائله، فلم أدر بم أبداً منها، وخفت أن أقصر، وقد ظن بى الاستيفاء لها، فقال: أجز ما أقول، قلت: قل، قال:

ثوى الجود والكافى معاً فى حفيرة

فقلت:

ليأنس كل منهما بأخيه

فقال:

هما اصطحبا حين ثم تعانقا

فقلت:

ضجيعين فى قبر بباب دريه

فقال:

إذا ارتحل الثاؤون عن مستقرهم

فقلت:

أقاما إلى يوم القيامة فيه

وباب دريه المحلة التى فيها تربته، وهى ما يستقبل المسافر من أصفهان إذا توجه من الرى.

٢٠٦ - ومن ذلك ما أخبرنا به أبو الصلت أمية بن عبد العزيز فى كتابه المسمى

الحديقة، قال: أخبرنى محمد بن حبيب القلانسى الشاعر قال: حضرنا ليلة بمجلس

السلطان أبى يحيى تميم بن المعز بن باديس، فالتفت حميد بن سعيد الشاعر إلى مملوكين

من مماليكه قد جمعا بين رأسيهما متناجين، فقال لى: ملط:

انظر إلى اللمتين قد حكتا

فقلت:

جنى ظلام على صباحين

فقال:

فاعجب لغصنين كلما انعطفا

فقلت:

ماسا من اللين فى وشاحين

فقال:

ظبيان يحمى حماهما أسد

فقلت:

لولا كانا لنا متاحين

فقال:

فلو تدانيت منهما لدنت

فقلت:

منى فى الحين أسهم الحين

٢٠٧ - ومن ذلك ما روى أن المعتمد بن عباد ركب فى يوم قاصداً الجامع،
والوزير أبو بكر بن عمار يسايره، فسمع أذان المؤذن، فقال المعتمد:

هذا المؤذن قد بدا بأذانه

فقال ابن عمار:

يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمد:

طوبى له من شاهد بحقيقة

فقال ابن عمار:

إن كان عقد ضميره كلسانه

٢٠٨ - أخبرنى الفقيه الأجل السعيد أبو الحسن على بن عبد الوهاب بن خليف
بالإسكندرية، قال: أخبرنى الأديب المعروف بابن رزين، قال: أخبرنى عبد الجبار بن
حمديس الصقلى، قال: أقمت بإشبيلية لما قدمتها وافداً على المعتمد بن عباد مدة لا
يلتفت إلى، ولا يعأبى، حتى قنطت لحييتى، مع فرط تعبى، وهممت بالنكوص على
عقبى، فإنى لكذلك ليلة من الليالى فى منزلى، إذ أتانى غلام، ومعه شمعة ومركوب،
فقال لى: أجب السلطان، فركبت من فورى ودخلت عليه، فأجلسنى على مرتبة فنك،
وقال لى: افتح الطاق الذى يليك، ففتحته، فإذا بكور زجاج على بعد، والنار تلوح من
بابيه، وواقده يفتحهما تارةً ويسدهما أخرى، ثم أدام سد أحدهما وفتح الآخر، فحين
تأملت هما قال لى: ملط:

انظرهما فى الظلام قد نجما

فقلت:

كما رنا فى الدجنة الأسد

فقال:

يفتح عينيه ثم يطبقها

فقلت:

فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال:

فابتزه الدهر نور واحدة

فقلت:

وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك، وأمر لى بجائزة سنية، وألزمى خدمته.

٢٠٩ - وأخبرنى رجل من التجار بمصري عرف بأبى الفضل بن فتوح المصرى، قال: سكنت بدار فى الخطة المعروفة بدويرة خلف، فرأيت جميع جدران المنزل مكتوبة بأخبار بديعة، وأشعار مستحسنة السبك، ووجدت فى جملتها: لما دخلت بجاية عند عبورى، اجتزت فى بعض الأيام بصديق لى من المعلمين وهو فى مكتبه، وصبيان قد حفوا به، فأحضر صبياً منهم، وقال لى: اختبره فإنه يقول الشعر الجيد، فقلت له: أجز:

وشادَن ذى شَطَط

فقال:

حجى لهُ ورباطى

فقلت:

مـوكل بـضميرى

فقال:

معلـق بنياطى

فعجبت من سرعة بديهته مع صغر سنه، ثم تبادى الأمر، فاشتهر بقول الشعر، فتمى إلى السلطان تميم بن المعز أنه هجاه، وأنه قال فيه:

بلد مظلـم ومـلك ظلـوم وهما فيـح حمـةً وتميم
هو فيها كمالـك والمقيـمو ن بها المجرمون وهى الجحيم

فاستحضره السلطان واستخبره عما قال فيه، فأنكره وقال: إنما قلت:

عرجا بى فذا مناخ كريم هذه حمنة وهذا تميم
هذه الجنة التى وعد الله هـ وهذا صراطه المستقيم

فاستظرفه تميم واستلطفه وأكرمه ثم صرفه. قال المخبر بهذه الحكاية: ثم تقصيت عن المنزل، فقليل لى: إنه كان منزل أبى الصلت حين قدومه إلى مصر.

٢١٠ - قرأت فى بعض المجاميع أن شاعراً من أهل تنس من بلاد إفريقية قصد المعتمد على الله بن عباد وهو بسبته أيام جوازه للقاء أمير المؤمنين ابن تاشفين للاستنجد به، فوصف له، فحضر فأنشده، فقال: هذا يصلح لمناومتنا الليلة، وأمر بإمساكه، فسقى، وجرى فى المجلس حديث فرس أدهم كان مشهوراً بالأندلس، وعزیز المحل عند المعتمد. واتفق أن الرجل سكر ونام، فخرج منه ریح بصوت شديد، فقال المعتمد ارتجالاً:

فيا عجباً من ضعيف القوى تزلزلت الأرض من ضرطته
ثم قال لندمائه: لا يشعره أحد بما جرى، واستيقظ الرجل فقال كالمعتذر من نومه: إن هذا النوم سلطان، فقال بعض الندماء الحاضرين: صدقت، قد سمعنا طبله، فجعل الرجل يقول: رأيت فى منامى كأن السلطان أعزه الله قد حملنى على فرس أدهم، من صفته كذا ومن صفته كذا، فقال المعتمد: صدقت، قد سمعنا تحتك صهيله، ثم قال المعتمد: قولوا فى هذا شيئاً، فقال بعض الحاضرين:

وضرطة كالجـرس

فقال المعتمد:

أو كـصهيل الفـرس

فقال الشاعر:

أفلـتها صـاحبنا

فقال المعتمد:

عند انصرام الغلس

فقال الشاعر:

سمعتها من سبته

فقال المعتمد:

وأصلها من تنس

٢١١ - وأخبرنى الأديب أبو عبد الله محمد التوزورى قال: حدثنى الشيخ الباغانى النحوى قال: تذاكرت مع الشيخ الزاهد اليشكرى، رضى الله عنه، أمر أبى الهيثم الشاعر، فقال: اجتمعت به ليلة، وكان نديماً فيها فتى رامياً وضى الوجه، فقلت له مستجيزاً قريحته، وسالكاً به من التصنع غير مذهب: أجز ما أقول:

نشبت نشائب حب هذا الناشب

فقال:

بحشى حشاه نار وجد غالب

فقلت:

تصمى رمايته القلوب كأئما

فقال:

يرمى الورى عن قوس ذاك الحاجب

قال الشيخ أبو الفضل: فقلت: إنما تظهر القرائح فى التشبيه، ونظرت إلى السماء، فإذا الجوزاء متوسطة، فقلت:

وكأئما الجوزاء فى وسط السما

فقال:

در تناثر من قلادة كاعب

قال الشيخ أبو الفضل: ومررت به يوماً وهو مطرق يفكر، فقلت:

أراك تصنع شعرا

فقال:

نعم لحبى بدر

فقلت:

قد حار وصفى فيه

فقال:

فتركى الوصف أخرى

فقلت:

هذا على أن شعري

فقال:

من عاصف الريح أجرى

٢١٢ - وأخبرنى العماد أبو حامد قال: روى السمعاني فى تاريخه عن محمد بن على بن أحمد بن جعفر بن الحسين البندنجى أنه قال: سمعت والدى يقول: سمعت عم والدى أبا سعيد بن عقيل بن الحسين يقول: أتانى آت فى المنام، فقال: هل لك أن تمصرع وأتمم، أو تتم وأمصرع؟ فقلت: لا بل أمصرع وتتم، فقال لى: يا عيار، هربت من القافية، ولكن قل، فقلت:

هل عندكم رحمة يرجو عواطفها

فقال:

صب تشكت إلى الشكوى جوارحه

فقلت:

أغلقتم كل باب فى مودته

فقال:

وفى يدي ظبيكم كانت مفاتحه

فقلت:

ما أمسكت قلبه إذ لم يطر جزعاً

فقال:

من فرط حر الجوى إلا جوائحه

ثم استيقظت.

١٢٦ فى بدائع بدائه التمليط

٢١٣ - وأخبرنى القاضى الأعز أبو الحسن على بن المؤيد - رحمه الله - قال: أخبرنى والدى قال: كان الصالح طلائع بن رزيك الوزير لا يزال يحضر مجلسه فى ليالى الجمع جلساؤه وبعض أمرائه لسماع قراءة مسلم والبخارى وأمثالهما من كتب الحديث، وكان الذى يقرأ رجلاً أنجر، فلعهدى به، وقد حضر المجلس مع الأمير على بن الزبير والقاضى الجليس أبى محمد عبد العزيز بن الحباب، وقد أمال وجهه إلى القاضى المهذب بن الزبير وقال له:

وأنجر قلت لا تجلس بجنبى

فقال الأمير:

إذا قابلت بالليل البخارى

فقال الجليس: ولم؟ فبدره المهذب فقال:

فقلت - وقد سئلت - بلا احتشام لأنك دائماً من فيك خارى

٢١٤ - قال على بن ظافر: أخبرنى أيضاً هو وشهاب الدين يعقوب المقدم ذكره بما هذا معناه، قالوا: جلسنا فى الأيام لاجتماع زهر المحادثة، واقتناء دور المنافة، فسمعنا صوت شبابة تذكر الأشيب الهرم زمان الشبية، وتحرك من الخرف الهم غزله وتشبيهه، وصوتها أشجى من أنين المشتاق لفرط الأشواق، وأرق من نوح العشاق عند عزم الفريق على الفراق، فقال شهاب الدين:

وشبابة شبت لظى الشوق فى قلبى

فقال الأعز:

تذكرنى عهد الصبابة والحب

فقال شهاب الدين:

حبتنى على بعد بترجيها الهوى

فقال الأعز:

فأحيت فؤادى المستهام على قرب

٢١٥ - وأخبرنى الشهاب قال: انفردت ببوصير يوماً بالفقيه رضى الدين أبى إسحاق بن عبد البارى رحمه الله، وكنا خرجنا إليها فى خدمة الوزير نجم الدين رحمه

فى بدائع بدائه التمليط ١٢٧

الله، وكان قد مضى إليها متنزهاً، فجلس إلينا غلام من أولاد بعض الرؤساء الذين كانوا فى خدمته، حسن الوجه، ثم انصرف، فقال الرضى:

لله يوم مضى بيوصير

فقلت:

والعيش صفو بغير تكدير

فقال:

ندىنا فيه شادن غننج

فقلت:

مكتحل جفنه بتفتير

٢١٦ - قال على بن ظافر: ووجدت يوماً بالجامع الأنور بالقاهرة لانتظار الجمعة،

وكان يجلس بالقرب من مكاننا صبي وضئ، نهب وجهه وشعره من البدر نوره، ومن الليل ديجوره، واغتصب طرفه وعطفه من الظبي كحله، ومن الغصن تميله، ينعت بالشمس، فتأخر حضوره يوماً، فتعاطينا القول فى غيبته، فقلت:

أفدى الذى غاب فغاب السرور

فقال الشهاب:

واتسع الهـم بضيق الصدور

فقلت:

وأظلم الأنوار من بعده

فقال الشهاب:

وليس بعد الشمس للأفق نور

٢١٧ - واتفق لى أنى اجتمعت مع القاضى أبى الحسن بن النبيه، ومعنا جماعة من

شعراء مصر، فأنشدهم قول مؤيد الدين الطغرائى فى الهلال:

قوموا إلى لذاتكم يا نيام وأترعوا الكأس بصفو المدام
هذا هلال العيد قد جاءنا بمنجل يحصد شهر الصيام

فقال المذكور: لو شبهه بمنجل ذهب يحصد نرجس النجوم لكان أولى، ثم قال نظماً:

انظر إلى حسن هلال بدا

فقلت:

يذهب من أنواره حندسا

فقال:

كمنجل قد صيغ من عسجد

قلت:

يحصد من شهب الدجى نرجسا

ثم زدت على هذا المعنى زيادتين بديعتين، يدركهما الناقد البصير، فقلت:

أما ترى الهلال يخفى أنجم الأفق بنور وجهه الوسيم

كمنجل من ذهب يحصد من روض الظلام نرجس النجوم

ثم ولدت منه معنى آخر ذكرته بعد هاتين القطعتين فى كتاب التنبهات وعجائب التشبيهات.

٢١٨ - ومن التمليط الواقع بين شاعرين بيت لبيت، ويسمى هذا النوع الإنفاذ، ما ذكره أبو الفرج برواية تتصل بحماد الراوية، قال: تحرك كعب بن زهير يقول الشعر، فنهاه زهير مخافة أن يكون لم يستمكن شعره، فيروى له ما لا خير فيه، فكان يضربه فى ذلك فيغلبه، فلما طال عليه أخذه فحبسه، ثم قال: والذى أحلف به لا يبلغنى أنك قلت بيتاً إلا نكلت بك، فبلغه أنه يقول، فضربه ضرباً مبرحاً، ثم أطلقه وسرحه فى بهمة وهو غليم صغير، فانطلق فزعاً، ثم روح عشية وهو يرتجز:

كأنما أحدو بيهمى عيراً من القرى موقرة شعيراً

فغضب زهير، فركب ناقته وأردفه وهو يريد أن يعتته ليعلم ما عنده من الشعر، فقال زهير حين برز من الحى منشداً:

وإنى لتعدينى على الهم جسرة تخب بوصال صروم وتعنتق

ثم ضرب كعباً، وقال: أجز يا لكع، فقال:

كبنيانة القرئى موضع رحلها وأثار نسعيها من الدف أبلق

فقال زهير:

على لاحب مثل المجرة خلته إذا ما علا نشزاً من الأرض مهرق
ثم ضربه وقال أجز، فقال:

منير هداه ليله كنهاره جميع إذا يعلو الحزونة أفرق
قال: ثم بدأ زهير فى وصف النعام وترك حركة القاف يتعسف به ليعلم ما عنده،
فقال:

وظل بو عساء الكثيب كأنه خباء على صقبي بوان مروق
بوان عمود من أعمدة البيت، فقال كعب:

تراخى به حب الضحاء وقد رأى سماوة قشراء الوظيفين عوهق
فقال زهير:

نحن إلى مثل الحبابير جثم لدى منتج من قيضها المتفلق
الحبابير: جمع حبارى، ويجمع أيضاً على حباريات، فقال كعب:

تحطم عنها قيضها عن خراطم وعن حديق كالنبخ لم يتفتق
النبخ: الجدرى، شبه عيون أولاد النعام به. قال: فأخذ زهير بيده وقال: قد أذنت
لك فى قول الشعر يا بنى، فلما نزل وانتهى إلى أهله قال قصيدته وهو صغير يومئذ،
وهى أول شعر روى له:

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع بعرض أبيه فى المعاشرينفق
٢١٩ - ومن ذلك ما أنبأنى به الشيخان الشيخ الأجل العلامة تاج الدين الكندى،
والشيخ الفقيه جمال الدين الحرستانى، قالوا: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو القاسم بن عساكر
سماعاً عليه، أخبرنا أبو العز بن باديس، أخبرنا أبو يعلى بن الفراء، أنبأنا أبو القاسم
إسماعيل بن سعيد بن المعدل بن سويد، أنبأنا أبو على الحسين بن القاسم بن جعفر
الكوكبى، أنبأنا دعبل بن ذكوان، أخبرنا الثورى، عن الأصمعى، عن ابن أبى طرفة،
قال: جلس حسان بن ثابت ليلةً ومعه ابنته ليلى، فجعل يريد شعراً يقوله، فقال:

متاريك أدبار الأمور إذا اعترت تركنا الفروع واجتثنا أصولها
ثم أجعل يريد الزيادة فلم يقدر، فقالت له ابنته: كأنك قد أجبلت! قال: نعم،

قالت: أفأجيز عنك؟ قال: نعم، فقالت:

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا كرام يعاطون العشيرة سولها
فحمى حسان فقال:

وقافية مثل السنان رزينة تناولت من جو السماء نزولها
فقالت:

يراها الذى لا ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها
فقال: والله لا قلت بيت شعر ما دمت حية، قالت: أو أؤمنك؟ قال: فذاك، قالت:
فأنت آمن أن أقول بيت شعر ما بقيت.

٢٢٠ - وروى عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، أن مروان بن الحكم وعبد الله بن
الزبير اجتمعا ذات يوم فى حجرة عائشة - رضى الله تعالى عنها - والحجاب بينهما
وبينها، يحدثانها ويسألانها، فجرى الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة وعائشة تسمع،
فقال مروان:

فمن يشأ الرحمن يخفض بقدره وليس لمن لم يرفع الله رافع
فقال ابن الزبير:

ففوض إلى الله الأمور إذا اعترت وبالله لا بالأقربين أدافع
فقال مروان:

وداو ضمير القلب بالبر والتقوى فلا يستوى قلبان قاس وخاشع
فقال ابن الزبير:

ولا يستوى عبدان هذا مكذب عتل لأرحام العشيرة قاطع
فقال مروان:

وعبد يحافى جنبه عن فراشه يبيت يناجى ربه وهو خاشع
فقال ابن الزبير:

وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب الجماع

فقال مروان:

وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع
فسكت ابن الزبير ولم يجب، فقالت عائشة رضى الله عنها: يا عبد الله، ما لك لم
تجب صاحبك، فوالله ما سمعت تجادل رجلين تجادلا فى نحو ما تجادلتما فيه أعجب إلى
من تجادلكما، فقال ابن الزبير: إنى خفت عوار القول فكففت، فقالت عائشة رضى الله
عنها: أما إن لمروان إرثا فى الشعر ليس لك من قبل صفوان بن الحرث الكناني -
وكانت أم مروان آمنة بنت علقمة بن صفوان.

٢٢١ - وروى أبو عبد الله الجماز، قال: كنت أنا وأبو نواس جالسين عند باب
عثمان، إذ مر بنا أحمد بن عبد الوهاب الثقفى - وهو غلام حسن - فقال له أبو نواس:
قبلنى قبله، فقال: لا حتى تقول فى شيئا، فقال:

حبك يا أحمد أضناني يا قمرأ فى زى إنسان
فقبله، فقلت: وأنا فما شأنى؟ فقال: حتى تقول فى، فقلت:

بذلت لأول ما يشتهى فجد أبا العباس للثانى
فقبلنى، فقال أبو نواس: وهذا بيت يكون عندك ديناً، وأنشد:

يا وردة أعجلها قاطف مرت بنا فى باب عثمان
٢٢٢ - وذكر الأصبهاني فى كتاب الأغاني قال: دخل أبو نواس على عنان جارية
الناطفى وهى تبكى، وقد كان سيدها ضربها، فأوماً إليه الناطفى أن يحركها بشيء،
فقال:

عنان لو جدت يا مناي بما أمل لم تقطر السماء دما
فقالته مسرعة:

فإن تمادى ولا تماديت فى منعك أصبح بقفرة رما
فقال:

علقت من لو أتى على أنفاس الـ باقين والغابرين ما رحا
فقالته:

لو نظرت عيستها إلى حجر ولد فيه فتورها سقما

١٣٢ فى بدائع بدائه التمليط

٢٢٣ - قال أبو الفرج: وقرأت فى بعض الكتب: دخل بعض الشعراء على عنان، فقال لها مولاها: عانتى فقال: فقال:

سقىا لبغداد لا أرى بلدًا يسكنه الساكنون يشبهها
فقال:

كانها فضة مموهة أخلص تمويهها مموهها
فقال:

أمن وخفض ولا كبهجتها أرغد أرض عيشا وأرفهها
فانقطع.

٢٢٤ - وذكر الصولى فى كتاب الوزراء قال: قال على بن يحيى المنجم: كنت عند أبى الصقر إسماعيل بن بلبل، فقال:

حمد يتيه علينا بشكله وبقده
فقلت:

جزاؤه كلما تا ه أن يهـان بصدده
فقال:

وقد ملا الأرض طرًا بتيهه وببرده
فقلت:

يارب فامنن علينا قبل الممات بفقده

٢٢٥ - وذكر محمد بن أيوب الغرناطى فى كتاب «فرحة الأنفس فى أخبار أهل الأندلس» أن الناصر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل جلس فى جماعة من خواصه، ومعهم أبو القاسم لب، وكان يعدده للمجون والتطايب، فقال له: أهج عبد الملك بن جهور، أحد وزرائه، فقال: أخافه، فقال لعبد الملك، فاهجه أنت، فقال: أخاف على عرضى منه، فقال: أهجوه أنا وأنت، ثم صنع:

لب أبو القاسم ذو لحية طويلة فى طولها ميل
فقال عبد الملك:

وعرضها ميلان إن كسرت والعقل مأفون ومغبول
فقال الناصر للب: اهجه فقد هجاك، فقال بديها:

قال أمين الله فى عصرنا لى لحية أزرى بها الطول
وابن جهير قال قول الذى مأكوله القرضيل والفول
لولا حيائى من إمام الهدى نخست بالمنخس شوو...

ثم سكت، فقال الناصر: هات تمام البيت، فامتنع، فقال له: قولو، يعنى تمام البيت،
قالها الناصر مسترسلاً غير متحفظ من زيادة الواو وإبدال الهاء واوًا، إذ صوابه قله على
حكم المشى مع الطبع والراحة من التكلف. فقال لب: يا مولانا، أنت هجوته، ففطن
الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة.

القرضيل: شوك له ورق عريض تأكله البقر، وشو: اسم ذكر الرجل بالرومية.
وقولو: اسم للإست. فكأنه قال: لو لا حيائى من إمام الهدى نخست بالمنخس - الذى
هو الذكر - إسته.

٢٢٦ - قال على بن ظافر: أخبرنى من أثق به، وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن
القرمونى بما معناه: اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة، والأستاذ أبو العباس بن سارة
فى يوم جلا ذهب برقه، وأذاب ورق ودقه، والأرض قد ضحكت لتعبيس السماء،
واهتزت وربت عند نزول الماء، فترافدا فى صفتها، فقال ابن سارة:

هذى البسيطة كاعب أبرادها حلل الربيع وحليها السنوار
فقال ابن القبطرنة:

وكان هذا الجو فيها عاشق قد شفه التعذيب والإضرار
فقال ابن سارة:

فإذا شكا فالبرق قلب خافق وإذا بكى فدموعه الأمطار
فقال ابن القبطرنة:

من أجل ذلة ذا وعزة هذه ييكى الغمام وتضحك الأزهار
٢٢٧ - قال على بن ظافر: وأخبرنى أبو يحيى بن أحمد الستولى بما معناه: أخبرنى
كل من الأديب أبى عبد الله المتيطى، وأبى العباس أحمد بن خمير أنهما اجتماعاً بمنار سبتة فى

١٣٤ فى بدائع بدائه التمليط
بعض العشايا، والشمس قد أذنت بالرواح، ونثرت زعفرانها على مسك البطاح،
فقال ابن خمير:

عشيتنا وقد لبست ردائى شحوب للتفرق والوداع
فقال المتيطى:

فيا شمس الأصيل أراك تشكو كشكوائى أطبعك من طباعى
فقال ابن خمير:

فلا تجزع لعل الدهر يوما يجود على التفرق باجتماع
٢٢٨ - قال على بن ظافر: وقال لى الستولى ما معناه: وأخبرانى أيضاً أنهما مرا
على صبي نجار ينجر أخشاب سفينة، كأن البدر يسم عن محياه، والزهر ينسم عن رياه،
وهو يبذل من أخشابه ما كان مصوناً، ويعاقبها بالقطع لسرقتها حركات أعطافه حين
كان غصوناً، فتجاريا القول فيه، فقال المتيطى:

ورب ظبى غريـر يـروع بالهجر روعى
فقال ابن خمير:

ذلت له الخشب طوعا كذلتى وخـضوعى
فقال المتيطى:

فقلت حبى ماذا تبغى بهذا الصنيع
فقال ابن خمير:

فقال أنشى سفينا لرحلتى ونزوعى
فقال المتيطى:

فقلت دونك فاجعل سفينةً من ضلوعى
فقال ابن خمير:

شراعها من فؤادى وبحرها من دموعى
٢٢٩ - قال على بن ظافر: وأخبرنى القاضى أبو المكارم أسعد بن الخطير المقدم
ذكره، قال: اجتمعت مع الوجيه أبى الحسن على بن الذروى رضى الله تعالى عنه،
ومعنا رجل سبيء الخلق، كثير الضجر والحنق، ذو صدر يضيق عن مثقال الذرة، ويتسع

عنه اتساع الأفق لسم الإبرة، فترافدنا فى ذمة، فقال ابن الذرورى:

لو كان سرمك مثل صدرك ضيقةً طال اشتياق حتاره للفيشل
فقلت:

ولكنت أول من يقال بأنه بغاء إلا أنه لم يدخل
٢٣٠ - وأخبرنى الأديب عبد المنعم بن صالح الجزيرى، قال: اجتمع عندى ابن
المنجم والوجيه أبو الحسن بن الذرورى، والفقيه الأديب أبو الفضل المنبوز بطبرى،
وجلسوا للحديث، فدخل علينا أبو الربيع سليمان بن تين الطحان، وذكر أنه رأى
رجلاً مصلوباً بأعلى الجسر، وطعن بعد صلبه، فقال الوجيه ابن الذرورى: يا أصحابنا،
اصنعوا فى هذا شيئاً، فقال ابن المنجم: إنما يصنع فيه من يتهم بأنه لا يشعر، وليس
هاهنا من يتهم إلا الشيخ أبو الفضل والشيخ أبو الربيع، فليصنعا بيتين على حرف
الذال على سبيل المرافدة، ليثبت لهما ما ادعياه من قول الشعر، فصنع طبرى فى الحال:

ومفجع تخذ الجذوع مطيةً فتقطعت لركوبها أفخاذه
وأطال أبو الربيع التفكير واقتضح فى تمادى التأمل، فدس إليه ابن المنجم رقعة
صغيرة فيها:

وبدا لسن الرمح فيه نفاذة أخنى على أفلاذه فولاذه
وناولها له بحيث فطنت الجماعة وتغافلوا، وخفى الأمر على طبرى لسوء بصره،
فقال: بيتى خير من هذا البيت، وأكثر الصياح والجلبة، فقال له ابن الذرورى: دع عنك
هذا القول، أأست القائل فى بيتك: تخذ الجذوع... فهذا صلب على جذع أو مائة!
وقلت: أفخاذه، فله فخذان أو عشرة! وأوحى إليه بالقصة. فأقصر عن الكلام، ثم
التفت ابن الذرورى إلى سليمان وقال له: قد ثبت اليوم عملك للشعر. فانصرف، وقد
ألزموه بعمل دعوة سروراً بذلك.

٢٣١ - وأخبرنى الأديب أبو القاسم عبد الرحمن العداس، قال: اجتمع فى منزلى
أبو الفضل جعفر المنبوز بشلعل، والمهذب، وابن سعدان الدمشقى، فأنشدنا ابن سعدان
قصيدتين مفرطتى الطول، وقال: صنعتها وبيضتهما وحملةتهما للممدوحين فى يومى
هذا، وكان الظهر لم يؤذن به بعد، فرددنا عليه قوله، فأخذ يدعى قوة الارتجال وسرعة
البديهة، فقال له جعفر: هذا مكان يمكن فيه إقامة البينة من كل مدع، ثم أطرق وقال:

ولقد قطعت اليوم مقصص بمهذبين محلق ومقصص
وقال له: اصنع على هذا البيت والزم الصادين، فقال ابن سعدان: هذا ينبغى أن
يقوله صاحب المنزل، وصدق لأن جعفرًا عنى بقوله: «محلّق» نفسه، وعنّى بقوله:
«مقصص» ابن سعدان؛ لأنه كان يفرط فى قص لحيته، فقال له جعفر: قل، فلم يصنع
شيئًا، فقلت أنا:

وظفقت أغتنم السرور كأنما قد فزت من لذاته بتلصص
ثم استدعينا منه القول فما أمكن، وكأنما يبس، أو اعتراه الخرس، فقال المهذب:
فكأنما أسقيتها من خاتم ورق بياقوت المدام مقصص
ثم استدعينا فلم يقل شيئًا، فقلت: أنا أصنع عنك، وقلت - وقد نزلت عن تكرير
الصاد -:

أشنى المفند فى المدام فدامةً وأحب كل مسامح ومرخص
وانقضى المجلس ولم يصنع شيئًا.

٢٣٢ - قال على بن ظافر: وكتب إلى القاضي الأعز ابن المؤيد من الإسكندرية -
ولفظ الخبر له - قال: تسairت أنا والقاضى المخلص أبو العباس أحمد بن يحيى بن
عوف بشاطئ خليج الإسكندرية من جهة القنطرة المعروفة بقنطرة السوارى، وقد
رقصت أشجاره على غناء أطياره، وملأ لها ساقى الغمام كئوس جلناره، فبينما نحن
نتناشد من نفيس رقيق الأشعار، ونتعاطى من كئوس رحيق الأخبار، ونتعجب من
سماء ذلك الماء كيف خلت من البدور، ومن نجوم تلك الأزهار مع طلوع شمس النهار
كيف لا تغور، إذا بجوار هناك جوار، وبدور من قبل السوارى سوار، فقلت:

لله أى بدور من السوارى سوار
فقال المخلص:

من كل هيفاء خرسا الـ وشاح خرسا السوار
فقلت:

لاحت فجلت وحلت قلبى وعقد اصطبارى
فقال:

تنوب فرعا ووجهها عن الدجى والنهار
فقلت:

فناظرها وقلبى ما بين راض وضار
فقال:

وخدها وفؤادى من جلنار ونار
فقلت:

تحكى الغزالة فى بهجـة وحسن منار
فقال:

والظبى فى حسن جيد ومقلنة ونفـار
٢٣٣ - قال على بن ظافر: وأخبرنى شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير نجم الدين المقدم ذكره بما معناه: جلسنا على بركة فى منطرة السيد صاحب الجزيرة، وقد ألقى عليها ورداً أحمر ملأ بكثرة نجومه فسحة سمائها، ونقبت حمرة حدوده صفحة مائها، وأهدى رمدة إلى مقلتها الزرقاء، فصح سرورنا بدائها، فقال رضى الدين إسحاق ابن عبد البارى:

وبركة صادقة الصفاء
فقلت:

بريئة من دنس الأقذاء
فقال:

نقب فيها الورد وجه الماء
فقلت:

فأبصرت من مقلنة رمداء

٢٣٤ - وأخبرنى أيضاً هو الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسى الحلبى أنهما كانا مجتمعين، فمر عليهما صبى من أبناء السواديين يسوق بقرآ - وكان وضع الوجه، حسن القد - فتعاطينا القول فى صفته، فقال الشهاب:

بنفسى غزالاً يسوق البقر ويقتل عمداً نفوس البشر
فقال الشريف:

بدا فبدا الغصن فوق الكثيب وبدر الدجى فى ظلام الشعر
فقال الشهاب:

تقل الغزالة عن وجهه ويصغر تشبيهه بالقمر
فقال الشريف:

شكوت إليه غرامى به فأعرض عنى دلالاً ومر
فقال الشهاب:

حلالى لما انتنى قده ولكنه لحياتى أمر
٢٣٥ - قال على بن ظافر: كنت فى بعض العشايا بالقرافة أنا والأعز بن المؤيد
المقدم ذكره - رحمه الله - فى منزل قد انعطفت قدود أشجاره، وابتسمت ثغور أزهاره،
وذاب كافور مائه على عنبر طينه، ومدت بكاسات الجلنار بنان غصونه، والنسيم قد
خفت فاعتل، وسقط رداؤه فى الماء فابتل، ووهت قواه فضعف عن السير، واشتد
مرضه حتى ناحت عليه نوائح طير، فاقترح علينا أصحاب لنا كانوا معنا أن نصنع فى
صفة تلك العشية على هذه القافية، فقال الأعز:

جاء النسيم إلى الغصون رسولا ومشى يحرق على الرياض ذيولا
فقلت:

نشوان يعثر فى الخمائل عابثا بالزهر مبلول الرداء عليلا
فقال:

فتمايلت قاماتها فكأنما شربت بكاسات الشمال شمولا
فقلت:

فكأنه قد هز رايات له خضراً وسل من المياه نصولا
فقال:

قد أطلعت من زهرها غرراً ومن جارى المياه يسوقها تحجيلا
فقلت:

تحكى العرائس فى القلائد للثرى لبست خلاخل فضة وحجولا
فقال:

ضحكت مباسم زهرها ولطالما بكيت بدمع الهاطلات طويلا
فقلت:

وبدا عليها الجلائر كأنه وجنات خود سمتها التقبيل
فقال:

سلت عليهن البروق صوارما فكسونها منه دما مطلولا
فقلت:

وتناظرت أطيافها فيه وقد أكثرن قالاً فى الهديل وقبلا
٢٣٦ - قال على بن ظافر: ومررت أنا وهو رحمه الله يوماً بدولاب يئن أنين ثكالى
فقدت أطفالها، والنواعج أضلت آفاله، ويبكى بكاء صب آله هواه، وصارمه من يهواه،
وفرق البين بينه وبين محبوبه فراقاً لا يرجى انقطاعه، ولا يمكن استرداد ما سلبه منه ولا
استرجاعه، فقلبه قد ملأته أوجاعه، وجفنه قد ضاق مجراه عن دمه ففتحت به
أضلاعه، فقلت:

وساقية تئن أنين ثكلى شكت بأئينها حر الأوار
فقال:

تحن ولا تزال تطوف عجلي كرازمة تحن إلى حوار
فقلت:

غدت تحكى محبا ذا انتحاب يطوف باكيا فى رسم دار
فقال:

حكيت فلكا لجلب اللهد دارت عليه من قوادسه درارى
٢٣٧ - وبصرنا بساقية تتلوى تلوى الأفعوان، وتخفق خفقات قلب الجبان، والزهر
قد نظم بلبتها عقوداً فوق أثوابها المسكة، والنسيم يكسوها ويلبسها غلائل مفركة،
فقلت:

أساقية أم أرقم فر هاربا

فقال:

أم الريح قد هزت من الماء قاضبا

فقلت:

حصى مثل در الثغر أجرى زلاله رضا با وأبدى نبته النضر شاربا

فقال:

يوشحها زهر الرياض قلائدًا ويلبسها مر الرياح جلاببا

٢٣٨ - واجتمعت أنا وشهاب الدين يومًا، فتعاطينا القول فى صبي ينعت

بالشمس قد مضى ذكره، فقال:

وشمس متى ما أشرقت يكسها الحيا شقيقا ويلبسنى الهوى حلة الورد

فقلت:

يلوح فأبكى حين أنظر وجهه وبالقسر يبكى من يحرق للشمس

٢٣٩ - قال على بن ظافر: واجتمعنا بالقرافة فى ليلة وقد عم السرور الأرض

بسحابه، وغمرها بفائض انسكابه، فأنبئت نواحيها زاهى جلنار من شعل النار، فى

غصون مائسات، كحبال القريسات، وكشف بها النور سجع الظلماء، ونقل طرف

الليل إلى الشية الشقراء عن الشية الدهماء، وزهت الأرض بشهب النيران على جو

السما، فترافدنا القول، فقلت:

أنعت ليلاً مدلهما أقتما

فقال:

أشعل بالنار وكان أدهما

فقلت:

أضحى من الحسن منيراً مظلما

فقال:

كاثرت النيران فيه الأنجما

فقلت:

فلم نكد نعرف أرضا من سما

٢٤٠ - قال على بن ظافر: واجتمعنا يومًا على أن نتغزل فى غلام رأيناه كأن

الشمس من أزراره أشرقت، وكأن النار من وجناته أنارت وما أحرقت، ذى خيلان قد
انبثت دهم خيلها فى محياه، وتفرقت لاقتناص فرسان القلوب التى كسرها هواه، وقد
حفت وجناته بالشقيق، ولففت فصوص السبج بالعقيق، فقال:

بى رشأ أصداغه كالأوراق
بل غصن من وشيه فى أوراق
بل قمر من شعره فى أغساق

فقلت:

أجفانه مثل جسوم العشاق
وقرطه مثل القلوب خفاق
يرمقنا شزراً فيفنى الأرماق

فقال:

فى خده ماء الجمال رقراق
عجبت منه شيم ذو إحراق
يريك خيلانا حيال الأحداق

٢٤١ - قال على بن ظافر: واجتمعنا بالجامع، فرأينا غلاماً مائس العطف، ذابل
الطرف، قد عانق أفعوان شعره غصن قده، وطابق بين مبيض وجهه ومسوده، فقلت
فيه:

يا رب ظبى عطر الأنفاس
يسكن قلبى بدل الكناس
وجنته تزهر كالنبراس
وشعره فى قده المياس
مثل لواء لبنى العباس

فقال: لو شبهته بعلم الخطيب، لا سيما إذا ذكرت حلوله بالجامع، ثم صنع فقال:

يا رب غصن أهيف رطيب
أنبته الحسن على كثيب

قام مقام الخاشع المنيب
يفتك فى الجامع بالقلوب
وقده فى شعره الغريب
يمس مثل علم الخطيب

ثم قال: زد عليه، فقلنا:

وشادن ساجى اللحاظ أحور

فقال:

أبيض يحكيه قوام الأسمر

فقلت:

وقده تحت أثيث الشعر

فقال:

من فوق ردف كالكثيب الأعفر

فقلت:

كعلم الخطيب فوق المنبر

٢٤٢ - قال على بن ظافر: ولما أعرس ابن الأمير إياس المصرى الأسدى بابنة الأمير سيف الدين أيار كوخ مقدم الأسدية، احتفل الأمراء والأجناد، وبلغوا فى الحشد غاية الاجتهاد، وأبرزوا من ضروب آلات الحرب ما يفوق الوصف، ويروق الطرف، وظهرت من مرد الممالك بدور فى سماء الغبار، وغصون من زغفهم فى غدران ومن سيوفهم بين أنهار، يسبون النواظر، بالقدود النواضر، ويستملكون الخواطر، بالشغور العواطر، فكانت أوقات ذلك الزفاف مشهورة مشهودة، وأيامه فى أيام الأعياد المدومة النظير معدودة، فخرجت أنا والشهاب لتنظر ذلك الاحتشاد، ونتأمل تلك الظباء الظاهرة بزى الآساد، فقال:

نقبوا بالغبار وجه ذكاء ثم نابوا عن حسننها بالبهاء

فقلت:

وأرونا من سحر أعينهم منه - ثم شموسا للنتع فى ظلماء

فقال:

طاولوا بالنقا السماء اقتداراً وتبدوا من زغفهم فى سماء
فقلت:

كل بدر يسير تحت ثريا مغفر خلف كوكب السمراء
فقال:

مثل سكنى البروج فاعتاض عنها بسروج على متون ظباء
فقلت:

ما تنهى فى الدرع إلا أرانا غصنا مائسا بجدول ماء
٢٤٣ - قال على بن ظافر: وافق أن مضى السلطان الملك الأشرف - أبقاه الله -
فى أوائل خدمتى له وأواخر سنة ثمان وستمائة إلى مدينة نصيبين، وضرب خيمته على
تل بين بساتينها يعرف بتل أبى نواس، وهو تل مشرف فى غاية العلو، مستدير الشكل
أحسن استدارة، قد استقبل جرية نهر الهرماس، حتى إذا وصل النهر إليه تفرق حواليه،
وتلوى تلوى الحيات من جانبه، والبساتين محيطة به قد ملأت أكثر مرمى البصر، وهو فى
نفسه قد تآزر بالأعشاب، واكتسى بغرائب الأزهار التى أدناها شقائق النعمان، وباسم
الأقحوان، وكنت أنا مقيماً بالبلد لتدبير أحوالها وترجية وجوه أموالها، وأنا أكرر إليه،
وإنما نقطع المسافة إلى الخيام فى جنات ذات أنهار، وظلال تمنع الحرور وتأذن للنسيم
والأنوار، فعن لى أن قلت فى بعض خرجاتنا ونحن سائرون على ظهور دوابنا:

اجلس بتل أبى نواس ما بين باطية وكاس
وابتغ سروراً باعه منك الزمان بلا مكاس
فى ظل غيث ذى ارتجاس زبالرواعد وارتجاس
واستدعيت من شهاب الدين المذكور المساعدة وهو يسايرنى، فقال:

تل تطلع مشرقاً بين المزارع والغراس
بالنهر منتطق على زهر كموشى اللباس
من قاس ربوة جلق بذاره أخطأ فى القياس
فقلت:

أضربته بعصاك يا موسى فأصبح ذا انبجاس

فالماء يفرى المحل سـ ف منه مكفوف الـدياس
والقضب أمثال القسنا والورد أمثال التراس
فقال:

والثم حدود الورد فى ه فتحها أصداغ آس
وابن اصطباحك إن أرد ت من الغبوق على أساس
فقلت:

واسمع غناء كالغنى قد جاء من بعد الإياس
شدوا إذا أدوى القلـو ب أسى فمـنه لهـن آس
فقال:

لا تقتنع بالكاس وابـ غـ الرى من جام وكاس
واكرع فما حق المدا مـة أن تراك وأنت حاسى
فقلت:

خذها لها إن ساورت عقل الفتى أى افتراس
واترك على الأعراب ما اخـ ستاروه من لين العساس
فقال:

من كف ظبى لين الـ أعطاف صلد القلب قاسى
ظبى ولكن القلوب تـكنـه بـدل الكناس
فقلت:

يحنى بلا سكر ويكـ سر جفنه لا من نـعاس
يهوى ويذكر وهو سا ل للذى يهـواه ناسى

ثم شغلنا بالوصول واستدعانى السلطان فدخلت إليه، فعمل الشهاب تمامها وأنا عنده، وكتبها على هذه الصورة وأنفذها إلى:

سهل الخلائق رطبها صعب الشكيمة والمراس .

لا يستجيب ولا يطيع ع ولا يجود ولا يواسى
ما بين ندمان ظرا ف حين تخبر كياس
واشرب برأس التل لا تحفل بغمدان براس
واهنا بدولة سيف ذى يزن ودولة ذى نواس
فلقد فضلتها بمجا سد شامخ وندى وباس
ورواق ملك ثابت الـ أركان سامى الفخر راسى
فالعمر ما تم السرو ربه كقول أبى فراس
لا زال يخدمك الزما ن ومن حواه من أناس

٢٤٤ - واتفق يوماً وقد اجتمعنا بثر الإسكندرية أيام حلول السلطان الملك العزيز به إلى جزيرة الثغر لزيارة قبر أخينا الأعز بن المؤيد - رحمه الله - وقد كان توفى أغبط ما كان بالحياة، وأأس ما كان من الوفاة، وغصن شبابه رطيب، والزمان بالثناء على فضله الخطير خطيب، فلما حللنا بفناء قبره، وأرسلنا سيل المدامع لذكره، قال الشهاب:

أيا قبر الأعز سقيت غيثا كجود يديه أو دمعى عليه
وقلت:

وحلت جانبك مروج زهر تحاكى طيب أوقاتى لديه
فقال الشهاب:

لفقد إخوانه الصافى وداداً وددت الموت من شوق إليه
ومن التمليط الواقع بين ثلاثة من الشعراء مما كان بقسيم لقسيم:

٢٤٥ - روى المدائنى قال: خطب أويس القرنى رضى الله عنه أم الشماخ ومزرد وجزء، بنى ضرار، وحضر إليهم، فقال الشماخ:

نبئتها ناكحةً أويسا

فقال مزرد:

يهدى إليها أعزاً وتيسا

فقال جزء:

حمقا ترى ذاك بها أم كيسا

..... فى بدائع بدائه التمليط
فقال أويس: لعن الله من يكون رابعكم. وما أحسب أويساً رضى الله عنه خطب
امراً قط، ولعله غيره، أو فى الرواية وهم.

٢٤٦ - ومن ذلك ما رواه أبو الفرج الأصفهاني عن رجاله، وتتصل روايته
بالحرمازي قال: نزل شبيب بن البرصاء المري، وأرطاة بن زفر، وعوف القوافي برجل
من أشجع كثير المال يسمى علقمة، فأتاهم بشربة لبن ممدوقة، ولم يذبح لهم، فلما رأوا
ذلك منه قاموا إلى مطيهم ورواحلهم فركبوها، ثم قالوا: تعالوا حتى نهجو هذا الكلب،
فقال شبيب:

أفى حدثان الدهر أم فى قديمه تعلمت ألا تقرى الضيف علقما
فقال أرطاة:

لبثنا طويلاً ثم جاء بمذقة كماء السلا فى جانب القعب أثلما
فقال عوف:

فلما رأينا أنه شر منزل رمينا بهن الليل حتى تصرما
٢٤٧ - وروى أيضاً أن عقيل بن علفة المري خرج هو وابناه جثامة وعلفة وابنته
الجرباء، حتى أتو بتاً له ناكحاً فى بنى مروان بالشام آمت، ثم إنهم قفلوا بها حتى كانوا
ببعض الطريق، قال عقيل:

قضت وطراً من دير سعد وربما على عرض ناطحنه بالجماجم
إذا هبطت أرضاً يموت غرابها بها عطشا أعطينهم بالخزائم
ثم قال: أجز يا علفة، فقال:

إذا علم غادرنه بتنوفة تذارعن بالأيدي لآخر طاسم
ثم قال: أجز يا جثامة، فقال:

وأصبحن بالمومة يحملن فتيةً نشاوى من الإدلاج ميل العمائم
ثم قال: أجزى يا جرباء، فقالت: وأنا آمنة؟ قال: نعم، فقالت:

كان الكرى سقاها صرخديةً عقاراً تمشت فى المطا والقوائم
فقال عقيل: شربتها ورب الكعبة! لولا الأمان لضربت بالسيف ما تحت قرطيك، أما
وجدت من الكلام غير هذا! فقال جثامة: وهل أساءت؟ إنما أجازت، وليس غيرى

وغيرك! فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه والرحل، ثم شد عليها وقال: لولا يعيرنى بنو مرة بعد اليوم ما ذقت الحياة. ثم خرج متوجهاً إلى أهله، ثم نحر عند جثامة جزوراً وتركه وقصد قومه، وقال: لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون أتيت عليك، فلما قدموا على أهل أبير، وهم بنو القين، ندم عقيل على ما فعله بجثامة، فقال لهم: هل لكم فى جزور انكسرت؟ قالوا: نعم، قال: الزموا إثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة، فوجدوه وقد أنزفه الدم، فحملوه واقتسموا الجزور، وأنزلوه عليهم، وعالجوه حتى برأ، وألحقوه بقومه، فلما احتملوه وقرب الحى تغنى جثامة بقوله:

أعذر لاهينا ويلحين فى الصبا وما هن والفتيان إلا شقائق
فقال له القوم: إنما أقلت من الجراحة التى جرحك أبوك آنفاً، وقد عاودت ما يكرهه، فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته، لا يلحقك منه شر وعر، فقال: إنها خطرة خطرت، والراكب إذا سار يترغم.

وقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب الأشربة هذه الحكاية على غير هذه الصفة، وذكر لعقيل البيت الأول من بيتيه، وجعل بدل علفة أخاه عملس، وأشد له البيت الأول أيضاً من بيتيه، ثم ذكر أنه أنحى على ابنته الجرباء يضربها بالسوط، فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه، فشلوا فخذ بهم، فقال:

إن بنى زملونى بالدم من يلق آساد الرجال يكلم
شنشنة أعرفها من أخزم

٢٤٨ - وذكر أبو الفرج هذا الرجز فى حكاية أخرى تتصل بزيد بن عياش التغلبى، والربيع بن نمر، قال: غدا عقيل بن علفة على أفراس له عند بيوته، فأطلقها ثم رجع، فوجد بنيه وأمهم مجتمعين، فشد بسيف فحاد عنه، وتغنى بقوله:

قفى يا بنة المرى نسألك ما الذى تريدن فيما كنت منيتنا قبل
نخبرك إن لم تنجزى الوعد أننا ذواخله لم يبق بينهما وصل
فإن شئت كان الصرم ما هبت الصبا وإن شئت لا يفنى التكارم والبذل

فقال عقيل: يا ابن اللخناء، متى متك نفسك هذا! وشد عليه بالسيف - وكان عملس أخاه لأمه، فحال بينه وبينه - فشد على عملس بالسيف، فرماه علفة بسهم،

فأصاب ركبته، فسقط عليل، وجعل يتمك فى دمه، ويزجر بالرجز المقدم، وبعده:

من يلق أبطال الرجال يكلم ومن يكن ذا أود يقوم
قال المدائنى: وأخزم فحل لرجل كان منجباً، فضرب فى إبل رجل آخر، ولا يعلم صاحبه، فرأى بعد ذلك من نسله جملاً، فقال: شنشنة أعرفها من أخزم، فأرسلت مثلاً.
قال على بن ظافر: ذكر الحريرى فى تفسير بعض مقاماته أن أخزم جد حاتم الطائى، وأن جده الأدنى سعداً ضربه له مثلاً؛ لما رأى من تخلقه بأخلاقه وآثاره، والشنشنة: الشبه.

والصحيح ما ذكره أبو الفرج، وهذه الفعلة من علفة كانت سبب تفريق عليل أولاده وطردهم عنه، وكانوا يقصدون أذاه بإنشاد الغزل بحضرة أخواتهم؛ لأنه كان مفرط الغيرة، مبالغاً فى الظنة، شديد الرقاعة، وهم من شياطين العرب.

٢٤٩ - وذكر أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بالوراق بن يعقوب النديم فى كتاب الفهرست، قال: صار جناد وإسحاق الجصاص إلى أبى عرار العجلي أحد رواة اللغة، فقال له جناد: اسمع شيئاً قلته وأجزه، قال: قل، فقال جناد:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى إلى دير هند كيف خطت مقابره
فقال إسحاق:

ترى عجباً مما قضى الله فيهم رهائن حنف أوجبته مقادره
فقال أبو عرار:

بيوت ترى أثقالها فوق أهلها ومجمع زور لا يكلم زائر
٢٥٠ - وذكر محمد بن سفان مما رواه أبو الفرج، أن مطيع بن إياس وحماد عجرد ويحيى بن زياد خرجوا فى سفر، فلما نزلوا ببعض القرى عرفوا، فأنزلوا منزلاً، وأتوا بطعام وشراب، وبينما هم يشربون فى صحن الدار، إذ أشرفت بنت دهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق، فقال مطيع لحماد: ما عندك يا حماد؟ فقال حماد: خذ فيما شئت، فقال مطيع:

أيا بأبى الـنا ظر من بينهم نحوى

فقال حماد:

ألا ياليت فوق الحقو — منها لاصقا حقوى
فقال مطيع:

وأن البضع ياحما — د منها شوبك المروى
فقال يحيى بن زياد:

ويا سقيا لسطح أش — رقت من بينهم حذوى
٢٥١ - وروى محمد بن خلف المرباني عن بعض شعراء الكوفة قال: قال لى محمد
ابن كناسة: قد اشتهد دنانير - يعنى جاريته المشهورة جمالاً وأدباً - أن تنظر إلى الحيرة،
فهل لك أن تساعدنا؟ - وكان الزمان ربيعاً - فقلت: نعم، فقال: تقدمنا لنلحق بك،
فقصدت الخورنق وجلست فى بعض المواضع المعشبة، وإذا به قد أقبل على بغلة ومعه
دنانير على حمار، فأخذ غلامه دابتيهما، فنزلا وجلسنا، وقد ستر بعض وجهها منى،
فقلت أداعبها - وكان محمد يأنس بى ويسكن إلى -: إنما تسترين وجهك عن شيخ،
فقلت: طماح عين، قال: فضحكنا، ثم أخذنا ننظر إلى رياض الحيرة وبقاعها، ونذكر
ما مضى لها من الزمان، ونستحسن حمرة الشقائق على ائتلاف تلك الأنوار والألوان،
وطيب روائح النوار، فأخذ محمد عوداً وكتب على الأرض:

الآن حين تزين القطر — أنجاده ووهاده العفر
ثم قال لدنانير: أجزيه، فقلت:

بسط الربيع بها الرياض كما — بسطت ثياب فى الثرى خضر
فقلت: أحسنت والله، فقال: أجز، فكتبت تحتها:

برية فى البحر نابطة — يجبى إليها البر والبحر
فكتبت:

وسرى الفرات على مياسرها — وجرى على أيانها النهر
وبدا الخورنق فى مطالعها — فرداً يلوح كأنه الفجر
كانت منازل للملوك ولم — يعمل بها لملك قـ

وقد ذكر أبو الفرج هذه الحكاية، ورواها عن عبيد الله بن الحسين، وعزا جميع أبياتها
لابن كناسة.

١٥٠ فى بدائع بدائه التمليط

٢٥٢ - قال الأصمعى: ما رأيت أثر النبيذ فى وجه الرشيد إلا مرة واحدة، دخلت عليه أنا وأبو حفص الشطرنجي فقال: استبقا إلى بيت، فمن أصاب غرضي فله عشرة آلاف درهم، قال: فأشفقت ومنعتني هيئته، وبدر الشطرنجي بجرأة العميان، فقال:

كلما دارت الزجاجة زادت — — اشتياقا وحرقة فبكاء
فاستحسنه وأجازته، فزالت عني الهيبة، فقلت:

لم ينلك الرجاء أن تحضريني وتجاغت أمنيته عن سواك
فقال: لله درك! لك عشرون ألفاً، ثم أطرق ورفع رأسه وقال: أنا - والله - أشعر منكما، وأنشد:

فتمنيت أن يغشيني الله نعاسا لعل عيني تراك
٢٥٣ - وقد أنبأني التقى أبو محمد عبد الخالق المسكي، عن أبي طاهر السلفي، قال: أنبأنا أبو محمد جعفر بن السراج وابن يعلان الكبير قالا: أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستاني الحافظ، عن أبي يعقوب النجيري، قال: حدثنا الأزدي، عن ابن دريد، عن أبي حاتم، عن الأصمعى، قال: دخلت على الرشيد وعنده أبو حفص الأعمى المعروف بالشطرنجي، فقال: استبقا إلى آخره، فوقع في نفسي أنه يريد جارية الناطفي، فهبته وبدرني أبو حفص فقال:

مجلس ينسب السرور إليه لمحـب ريجانه ذكـراك
فقال: قد قاربت ولك العشرة وتهيته، فقال: كلما دارت الزجاجة... وذكر باقي الحكاية بنحو ما فى الأولى.

٢٥٤ - وحدث رزين العروضي قال: أصبحت مخموراً، فتفكرت فيمن أنس به، فذكرت عنان، فاستأذنت عليها، فإذا عندها أعرابي، فقالت: يا عم، قد أتاني الله بك على فاقة، إن هذا الأعرابي قصدني فقال: قد بلغني أنك شاعرة، فقولي حتى أجزى، وقد أرتج على، فقلت:

لقد قل العزاء وعيل صبرى عشية عيسهم للبين زمت
فقال الأعرابي:

نظرت إلى أوائلهن صبحا وقد رفعت لها حـدج فحنت

فقلت عنان:

كتمت هواهم فى الصدر منى ولكن الدموع علىّ نمت
فقال الأعرابى: أنتِ أنتِ أشعرنا، ولولا أنك حرمة لقبلك.

٢٥٥ - قال: وروى محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال: خرج إبراهيم بن العباس الصولى ودعبل بن على الخزاعى وأخوه رزين فى نظراء من أهل الأدب رجالة إلى بعض البساتين فى خلافة المأمون، وذلك فى زمن خول إبراهيم، فلقوا جماعةً من أهل السواد من حمال الشوك، فأعطوهم شيئاً وركبوا حميرهم، فأنشأ إبراهيم يقول:

أعيضت من حول الشو ك أحمالاً من الحرف
نشأوى لا من الصهبا ء بل من شدة الضعف

فقال رزين:

فلو كنتم على ذاك تميلون إلى قـصـف
تساوت حالكم فيه ولم تبقوا على خـسـف

فقال دعبل:

وإذ فات الذى فات فكونوا من أولى الظرف
ومروا نقص الصف اليوم فإننى بائع خفى

فانصرفوا عنه، وباع خفه، وأنفق ثمنه عليهم.

٢٥٦ - وذكر يزيد بن أبى اليسر الرياضى فى كتابه الأمثال الذى جمعه للمعز بن تميم صاحب القاهرة، قال: أخبرنى سيبويه، قال: اجتمع محمد بن مقبل ومحمد بن مجمع وأبو نصر الأشعثى فى بستان لابن مقبل، وفى البستان نرجس تيس به الريح، فقال ابن مقبل:

شموس وأقمار من الزهر طلع لذى اللهو فى أكنافها متمتع
فقال محمد بن مجمع:

تجاذب أعلاها الرياح فتثنى فيلثم بعض بعضها ثم يرجع

فقال الأشعثى:

كأن عليها من مجاحة ظلها لآلى إلا أنها هى ألمع
ويحدرها عنها الصبا فكأنها دموع يراها البين والبين يفجع

٢٥٧ - وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر فى تاريخ بغداد قال: اجتمع عند أبى الحسن على بن يحيى بن المنجم أحمد بن أبى طاهر، وأبو هفان عبد الله بن أحمد العبدى، وأبو يوسف يعقوب بن يزيد، على نبذ، فقال أبو هفان بديهاً يمدح علياً:

وقائل إذ رأى عزمى على الطلب أتهت أم نلت ما ترجو من الأدب
إن ابن يحيى علياً قد تكفل بى وصان عرضى كصون الدين والحسب

فابتدر التمار فقال:

تذكى لزواره نار منورة على يفاع ولا تذكى على صلب
من فارس الخيل فى أبيات مملكة وفى الأكارم من جرثومة النسب

فقال أحمد بن أبى طاهر:

له خلائق لم تطيع على طبع ونائل وصلت أسبابه سببى
كالغيث يعطيك بعد الرى نائله وليس يعطيك ما يعطيك عن طلب

٢٥٨ - ومنه قال: اجتمع عند أحمد بن أبى طاهر: أبو الضياء القينى، وأبو سليمان النابلسى الضرير فى أيام أبى الصقر على نبذ، فقال أحمد بن أبى طاهر:

كأنما التفت برىحانه ثوب من النرجس مشقوق
فقال القينى:

أو روضة خضراء نوارها بالمزن مصبوح ومغبوق
فقال النابلسى:

له نسيم بيننا ساطع كأنه بالمسك مفتوق
كأنه يا ابن أبى طاهر من طيب أخلاقك مخلوق

٢٥٩ - وذكر أبو حفص عمر بن على المطوعى فى كتاب «درك الغرر ودرج الدرر» فى محاسن نظم الأمير أبى الفضل الميكالى قال: سمعت الأمير أبا الفضل يقول: سمعت أبا القاسم الكرخى يقول: كنت ليلة عند الصاحب بن عباد، ومعنا أبو العباس

الضبى، وقد وقف على رؤوسنا غلام كأنه فلقة قمر، فقال الصاحب مرتجلاً:

أين ذاك الطبى أين

فقال أبو العباس الضبى:

شادن فى زى قينة

فقال الصاحب:

بلسان الدمع تشكو أبداً عيناي عينيه

فقال أبو القاسم:

لى دين فى هواه ليته أنجز دينه

فزاد الأمير أبو الفضل عند إنشاد أبى القاسم، فقال:

لا قضى الله ببين أبداً بينى وبينه

٢٦٠ - وأخبرت أن الأمير أبا الفتح بن أبى حصينة السلمى، وأبا محمد عبد الله

ابن محمد بن سعد الخفاجى الحلبي اجتمعا عند الأمير سديد الملك أبى الحسين على بن

المقلد بن نصر بن منقذ الكنانى، فتفاوضوا فى فنون الأدب، فقال ابن أبى حصينة:

قمر إن غاب عن بصرى

فقال الخفاجى:

فؤادى حد مطلعـه

فقال ابن أبى حصينة:

لست أنسى أدمعى ولها

فقال الخفاجى:

خلطت فى فيض أدمعه

فقال سديد الملك:

قلت زرنسى قال مبتسماً طمع فى غير موضعه

٢٦١ - قال على بن ظافر: أخبرنى من أثق به بما معناه، قال: خرج الوزير أبو بكر

ابن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من إشبيلية إلى منطرة

لبنى عباد بموضع يقال له: الغيث، تحف به مروج مشرقة الأنوار، منتسمة النجود والأغوار، مبتسمة عن ثغور النوار، فى زمن ربيع سقت السحب الأرض فيه بوسمها ووليها، وجلتها فى زاهر ملبسها وباهر حليها، وأرداف الربا قد تأزرت بالأزر الخضر من نباتها، وأجياذ الجداول قد نظم النور قلائده حول لباتها، ومجامر الزهر تعطر أردية النسيم عند هباتها، وهناك من البهار ما يزرى بمداهن النضار، ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الأجفان، وقد نوا الانفراد باللهو والطرب، والتنزه فى روضتى النبات والأدب، وبعثوا صاحباً لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم، ونظام مسرتهم، ليأتيهم بشراب يذهبون الهم بذهبه فى لحن زجاجة، ويرمونه منه بما يقضى بتحريكه للهرب عن القلوب وإزعاجه، وجلسوا لانتظاره، وترقب عوده على آثاره، فلما بصروا به مقبلاً من الفج بادروا إلى لقائه، وسارعوا إلى نحوه وتلقائه.

واتفق أن فارساً من الجند ركض فرسه فصدمه، ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه، وكسر قمعل الشراب الذى كان معه، وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه، ومضى على غلوائه راكضاً، حتى خفى عن العين خائضاً، وحين وصل الوزراء إليه تأسفوا عليه، وأفاضوا فى ذكر الزمن وعدوانه، والخطب وألوانه، ودخوله بطوام المضرات على توام المسرات، وتكديره الأوقات المنعمات بالآفات المؤلمات، فقال ابن زيدون:

أنلهو والحتوف بنا مطيفه ونأمن والمنون لنا مخيفه
وقال ابن خلدون:

وفى يوم وما أدراك يوم مضى قمعالنا ومضى خليفه
وقال ابن عمار:

هما فخارتا راح وروح تكسرتا فشققات وجيفه

٢٦٢ - وأخبرنى الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله المقدم ذكره، قال: أخبرنى الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى، قال: أخبرنى ابن الدهان القرطبى قال: مضيت أنا وأبو الفضل البغدادى وابن صلاح إلى دار أمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد ابن التلميذ، فأساء لنا حاجبه قنبر، وأفرط فى منعنا من الدخول إليه، فقال أبو الفضل:

فقال الشهاب:

إذا فمه سل سيف المدام فكم من سليب وكم من قتيل
فقال الأعز:

وكم من خليع كريم الفعال يجدد بالجود غيظ البخيل
فقلت:

نوافيه ذا ذهب جامد فيفنيه فى ذائب للشمول
ثم صنع الشهاب فيه على غير هذا الروى والوزن، فقال:

على عمر القصير قصرت عمرى وصنت خلاعتى وأزلت وقرى
فقال الأعز:

ولم أسمع لعمرى قول زيد إذا ما لامنى أو قول عمرو
فقلت:

ظفرنا فيه من شفة وكأس بمشروبين من ريق وخر
فقال الشهاب:

ودافعنا يقين الدين فيه بمظنونين من خمر وخصر
فقال الأعز:

كسوت به كئوس البيض حمراً من القمص اشتريناها بصفر
فقلت:

وظلت بمارق للهو أتلو بهز البيض فيه عناق سمر
٢٦٤ - قال على بن ظافر وجلسنا يوماً فى روض قد ماست قدوده، واخضرت
بروده، وخجل ورده من عيون نرجسه، فاحمرت خدوده، والروض يهدى إلى الآفاق
طيب عرفه، والنسيم يركض فى ميادين الأزهار بطرفه، فقلت:

بعث النسيم إلى الرياض رسولا يوحى إليه بكرة وأصيلا
فقال الأعز:

يدعو إلى شرب المدام فليتنى كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

يا ويلتا ذهب الشباب فليتنى لم أأخذ فيه العفاف خليلاً
٢٦٥ - ومما روى فى مثل هذا إلا أنه روى عن قوم مجاهيل، فأخرنا ذكره حتى
انتهى الترتيب، ولم نر إخلاء الكتاب من ذكره؛ لأنه يجرى مجرى الملح، ما روى أن ثلاثة
من الكتاب خرجوا إلى متنزه، فبينما هم يأكلون طعاماً كان معهم، إذا بمطفل جلس
إليهم، وابتدأ فى تلقف ما فى الطبق مما بين أيديهم، فقالوا له: هل عرفت منا أحداً؟
قال: نعم هذا - وأشار إلى الطعام - فتعاطوا صفتهم، فقال أحدهم:

لم أر مثل جذبته ومطه

فقال الآخر:

والأكل من دجاجه وبطه

فقال الثالث:

كان جالينوس تحت إبطه

فقالا: أما نحن فوصفنا من شدة أكله ما عايناه، فما معنى كون جالينوس من تحت
إبطه؟ فقال: يلقمه جوارش الكمون لئلا يتخم.

ومن التمليط الواقع بين أربعة شعراء:

٢٦٦ - ما روى الأصبهانى بسند متصل بإسحاق الموصلى عن رجاله، أن عمر بن أبى
ربيعة، والحارث بن خالد المخزوميين، وأبا ربيعة المصطلقى، ورجلاً من بنى مخزوم - وهو
ابن أخت الحارث - خرجوا يشيعون بعض خلفاء بنى أمية، فلما انصرفوا نزلوا بسرف،
فلاح لهم برق، فقال الحارث: كلنا شعراء، فهللوا نصف البرق، فقال أبو ربيعة:

أرقت لبرق فى دجى الليل لامع جرى من سناه ذو الربا فمتالع
فقال الحارث:

أرقت له ليل التمام ودونه مهامه مومة وأرض بلاقع
فقال ابن أخته:

يضىء عضاه الشوك حتى كأنه مصاييح أو فجر من الصبح ساطع

فقال عمر بن أبي ربيعة:

أيارب لا آلو المودة جاهداً لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع
ثم قال: مالي وللبرق والشوك.

٢٦٧ - وأنبأني الفقيه التقى عبد الخالق المسكى، عن السلفى، قال: أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوى، وابن يعلان الكبير، قالوا: أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستانى الحافظ، قال: أخبرنى أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيرى، قال: ذكر أبو بكر الصولى أنه وجد بخط ابن خرداذبة أن أبا نواس ومسلم بن الوليد الصريح والحسين بن الضحاك الخليع والعباس بن الأحنف خرجوا إلى متنزه ومعهم يحيى بن معاذ، فأدركتهم صلاة المغرب، فقدموا ابن معاذ للصلاة، فنسى الحمد، وأرتج عليه فى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] فقطعوا الصلاة، ثم تعاطوا القول فيه، فقال أبو نواس:

أَكْثَرُ يَجِيئُ غُلُطًا فِي قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
فَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ:

قام طويلاً ساهايا حتى إذا أعيا سجد
فقال العباس بن الأحنف:

يزحر فى محرابه زحير جبلى بـولد
فقال الحسين بن الضحاك الخليل:

كأنفــــــــــــالـــــــــــــسانه شد بجبل من مسد
قال ابن رشيق في كتاب العمدة: وأخبرني بهذه الحكاية بعض أصحابنا، فقلت: وما
على أحد لو قال:

ونسي الحمد فما مرت له على خالد
وسمع هذه الحكاية أيضاً العباس بن الخطيئة، فقال:

ورام شـيئاً غـير ذا يـقـرؤه فـما وـجـد
٢٦٨ - وذكر أبو الفرج، قال: قال: أولم محمد بن خالد، فدعا أبان بن عبد الحميد
اللاحق، وسهل بن عبد الحميد، وعبيد الله بن عمرو العتبي، والحكم بن قنبر، وآخر
عنهم الغداء، ثم جاء فوقف وقال: ما لكم أعزكم الله! ألكم حاجة؟ يمازحهم، فقال

حاجتنا فاعجل علينا بها من الحشاوى كل طردين
وقال الحكم:

ومن خبيص قد حكى عاشقا صفرته زينت بتلوين
فقال العقبى:

وأتبعوا ذاك بأبوية فإنكم أصحاب أبين
فقال سهل:

دعنا من الشعر وأوصافه واعجل علينا بالأخاوين
فأمر بإحضار الغداء، وخلع عليهم ووصلهم.

٢٦٩ - ومن ذلك ما أنبأنا به العماد أبو محمد الأصبهاني قال: حدثني صديقي
النقيب محمد بن مسعود القسم بأصفهان، قال: حضرت مجلس مؤيد الدين أبى على
محمد بن اسبسلار رئيس جرباذقان، وعنده شمس الدين أحمد بن شداد الغزنوى، ومجد
الدين إسماعيل بن أحمد اليماني، فأحضر بين يديه ورد أحر، فابتدر الغزنوى فقال:

الورد فاح كأنه خلق الأمير أبى على
فقلت:

أوصيته بين الأنبا م وذكره فى الحفل
فقال اليماني:

فأحر من خجل ومن فضحته دعوى يخجل
فقال مؤيد الدين:

فى عمره كعدوه فى عزفه مثل الولى
فانظم به ورد الثنا واثر عليه من عل

٢٧٠ - وأخبرنى القاضى الموفق بهاء الدين أبو على الديباجى، قال: كنا بالعسكر
المنصور الكاملى - أعزه الله - على العباسة، وعندى فى خيمتى القاضى السعيد أبو
القاسم بن سناء الملك - رحمه الله - والمهذب بن الخيمى، وأقبل بعض الشعراء من
أصحابنا على أكديش، وتحت على السرج خرج مشقوق، فتعاطينا العمل فيه، فقال ابن

سنة الملك - رحمه الله :-

بط خـراج خـرجه عن قـربوس سـرجه
فقال المهذب ابن الخيمي:

لا تـرجه لـصالح يأتى ولكـن أـرجه
فقلت:

فإنمـا آفـتـه مـن بـطـنـه وفـرجه
وأقول: قد بقى عليهم من تمام المعنى والقوافى أن يقول أحدهم:

فهو كذا فى دخله يفكر لا فى خـرجه
ومن التمليط الواقع بين خمسة ما ذكره الثعالبي فى كتاب اليتيمة بالإسناد المتقدم:

٢٧١ - أن الأستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد جلس يوماً وعنده أبو محمد بن هندو، وأبو الحسين بن فارس صاحب مجمل اللغة، وأبو عبد الله الطبرى، وأبو الحسن البديهي، فجاء بعض الخدم بترجمة، فقال لهم: تعالوا نتجاذب أذيال وصفها، فقالوا: إن رأى سيدنا أن يبدأنا نفعل، فقال:

وأترجة فيها طبايع أربع

فقال ابن هندو:

وفيهما فنون اللهو والشرب أجمع

فقال ابن فارس:

يشبهها الرأى سبيكة عسجد

فقال البديهي:

على أنها من فأرة المسك أضوع

فقال الطبرى:

وما أصفر منها اللون للعشق والهوى ولكن أراها للمحبين تجمع
٢٧٢ - وعلى ذكر هذه الحكاية ذكر القزوينى فى كتاب الروضة: قال أبو الفرج، وذكر هذه الحكاية وما قال فيها الرئيس أبو الفضل وعمه أبو محمد بن هندو وغيرهم: كان الوزراء والصدور فى ذلك الزمان من ذكرنا وشرحنا ووصفنا، وصرنا الآن إلى

الزمان الحرف اهم، للذى لا فضل فى أهله ولا إفضال، وأتمودجه ذلك أنى حضرت ضيافة وزير الرى أبى العلاء اللنكى منصرفى من العراق، وقد احتشد لى ليرينى فضل عظمتة فى الوزارة بعد ما رأيت حاله الأولى، وحضر معى الوزير أبو العلاء بن حسوك، فلما صرنا إلى مجلس الأنس، ودارت الكئوس، وأخذت منه الخمر، وقد كان انتهى إليه حكاية الرئيس أبى الفضل بن العميد مع عمى، فدعا بدواة ودرج، وكتب حتى عرق جبينه، ولطخ الدرج بكثرة ما سود، ثم تبادل أترجة وقلبها، يعلمنا أنه عمل فيها شيئاً، ثم قال:

كأنها لـون فتى عاشق من برده قد لبس المخملا

فالتفت إلى أبو العلاء بن حسوك وقال لى سرّاً: لا بد من إجازة هذا البيت بما يشاكل سخنة عين الوزراء، ولو عزلنى عن عملى وقطع ضياعى، ثم أقبل عليه كأنه يصل كلامه، فقال:

أو لـون حاجى من خرسان ومن إسهاله قد ركب المحملا

فتوهم الوزير أنه جد، فأخذ يحرك رأسه مستحسنًا لهذه الإجازة، ومتعجبًا من سرعة البديهة، وملكنى وأبا العلاء الضحك حتى تهتكنا، ونبه على سخريتنا منه، فظهرت منه حركات العريضة، فانصرفنا إشفاقًا من حال مكروهة تجرى علينا.

الباب الرابع

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد من شاعرين فصاعداً

وقد يكون اجتماعهما لشيئين:

أحدهما: أن يكون ذلك لأمر ملك أو وزير، واقتراح رئيس أو كبير، وسؤال صديق أو رفيق.

والثانى: أن يقصد تبين فضلهما إن كانا متوافقين، أو يقصد أحدهما تعجيز صاحبه إن كانا متنازعين أو متدافعين، أو يقصد أحدهما تعجيز صاحبه إن كانا متنازعين أو متدافعين.

ويقع ما يصدر عنهما أيضاً على وجهين:

أحدهما: أن يكونا فيما نظماً متباعدي الغرضين، مختلفى المقصدين، وهو الأكثر.

والثانى: أن يتفقا على معنى واحد وهو الأقل، وربما اشتركا فى كثير من الألفاظ واتفقا فى القافية، وهذا إنما يكون عند اشتراكهما فى جودة طبع، وصفاء ذهن، وحدة خاطر، وقوة فكر، واتقاد قريحة، وبالجملة أن يكونا واردين على شريعة واحدة.

وها أنا أذكر ما مر بى من الأخبار على هذين الوجهين فى فصلين، وأبدأ بما وقع الاتفاق فيه فأقول:

الفصل الأول

فيما وقع الاتفاق فيه

٢٧٣ - قال على بن ظافر: أكثر ما يقع هذا الاتفاق الغريب والتوارد العجيب إذا ضيق المقترح على الشاعرين بأن يعين الوزن والقافية. ذكر أبو عبد الله بن شرف القيروانى فى كتاب أبكار الأفكار، قال: استدعانى المعز بن باديس يوماً، واستدعى أبا على الحسن بن رشيق الأزدي - وكنا شاعري حضرته وملازمى ديوانه - فقال: أحب أن تصنعا بين يدي قطعتين فى صفة الموز على قافية الغين، فصنعنا حالاً من غير أن يقف أحدهما على ما صنعه الآخر، فكان الذى صنعته:

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٦٣

يا حبذا الموز وإسعاده من قبل أن يمضغه الماضغ
لان إلى أن لا يجسس له فالقم ملآن به فارغ
سيان قلنا مأكلا طيب فيه وإلا مشرب سائغ
والذى صنعه ابن رشيق:

موز سريع أكله من قبل مضغ الماضغ
مأكلة لأكلا ومشرب لسائغ
فالقم من لين به ملآن مثل فارغ
يخال وهو بالغ للحلق غير بالغ
فأمرنا للوقت أن نصنع على حرف الذال، فعملنا ولم ير أحدنا صاحبه ما عمل،
فكان ما عملته:

هل لك فى موز إذا ذقناه قلنا حبذا
فيه شراب وغذا يريك كالماء القذى
لو مات من تلذا به لقيل ذا بذا
وما عمله ابن رشيق:

لله موز لذىذ يعيذه المستعيد
فواكه وشراب به يداوى الوقيد
ترى القذى العين فيه كما يريها النبيد
قال ابن شرف: فأنت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحداً،
ولقد قال من حضر ذلك اليوم: ما ندرى مم نتعجب، أمن سرعة البديهة أم من غرابة
القافية، أم من حسن الاتفاق.

٢٧٤ - قال أبو عبد الله بن شرف، واستخلانا المعز يوماً، وقال: أريد أن تصنعا
شعراً تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذى يكون على سوق بعض النساء، فإنى
أستحسنه، وقد عاب بعض الضرائر بعضاً به، وكلهن قارئات كاتبات، فأحب أن أريهن
هذا، وأدعى أنه قديم لأحتج به على من عابه، وأسر به من عيب عليه، فانفرد كل منا،
وصنع فى الوقت، فكان الذى قلت:

١٦٤ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

وبلقيسية زينت بشعر يسير مثلما يهب الشحيح
رقيق فى خدلجة رداح خفيف مثل جسم فيه روح
حكى زغب الحدود كل خد به زغب فمعشوق مليح
فإن يك صرح بلقيس زاجا فمن حدق العيون لها صروح

وكان الذى قال ابن رشيق:

يعيبون بلقيسية أن رأوا بها كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها التزغيب ملحا كمثل ما يزيد حدود الغيد تزغيبها ملحا
فنتقد المعز على ابن رشيق قوله: «يعيبون» وقال: قد أجدت لخصمها حجة بأن
بعض الناس عابه، وهذا نقد ما كنت فطنت له.

٢٧٥ - وروى ابن بسام فى كتاب الذخيرة، وهو روايتى عنه بالإسناد المتقدم،
قال: حكى أبو صفوان العتكى قال: كان أبو إسحاق الحصرى يختلف إلى بعض المشيخة
من القيروان، وكان ذلك الشيخ كلفاً بالمعذرين، وهو القائل فيهم:

ومعذرين كأن نبت عذارهم أقلام مسك تستمد خلوقا
قرونا البنفسج بالشقيق ونظموا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

٢٧٦ - قال: وكان يختلف إليه غلام من أبناء أعيان أهل القيروان، وكان به كلفاً،
فبينما هو يوماً والحصرى جالس عنده، وقد أخذ فى الحديث إذا أقبل الغلام:

فى صورة كملت تحال بأنها بدر السماء لسته وثمان
يعشى العيون ضياؤها فكأنها شمس الضحى تعشى بها العينان

فقال له الشيخ: يا أبا إسحاق، ما تقول فيمن هام فى هذا الغلام وصبا لهذا القدر
والقوام؟ فقال الحصرى: الهيمان به والله غاية الظرف، والصبوة إليه من تمام اللطف، لا
سيما وقد شاب كافور خده هذا المسك الفتيت، وهجم على صبحه هذا الليل البهيم،
والله ما خلعت بياضه فى سواده إلا بياض الإيمان فى سواد الكفر، أو غيب الظلماء فى
منير الفجر، فقال: صفه يا حصرى، فقال: من ملك رق القول حتى ذلت له صعا به،
وانقاد له جموحه وسطع له شهابه، أقعد منى بوصفه، فقال: صفه فإنى معمل فكرى فى
ذلك، ثم أطرق كل منهما لحظة، فكان الذى صنعه الحصرى:

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٦٥

أورد قلبى الـردى لام عـذار بـدا
أسود كالـكفر فى أبيض مثل الـهدى

فقال الشيخ: أترك اطلعت على ضميرى أم خضت بين جوانحى، فقال له: ولم ذلك أيها الشيخ؟ قال: لأنى قلت:

حرك قلبى فطار صولج لام العـذار
أسود كالليل فى أبيض مثل الـنهار

٢٧٧ - وأبأنى العماد أبى حامد قال: حكى أن شرف الدين أبا المنذر بن الوزير عون الدين بن هبيرة نظر إلى القمر فى بعض الليالى وهو يدخل تحت السحاب تارة وينكشف أخرى، فقال للحاضرين: ليقل كل منكم فى وصفه شيئاً، فقال الأديب مقبل:

كأنما البدر حين يبدو لنا ويستحجب السحابا
خريدة من بنى هلال لاثت على وجهها نقابا

وقال شرف الدين:

إذا تطلع بدر التم من فرج دون السحاب وحالت دونه سحب
تخاله فى رثيث من ملاءته خرقاء تسفر أحيانا وتنتقب

وقال عمه الأكرم أبو العباس عبد الواحد بن محمد بن هبيرة:

وكان هذا البدر حين تظله سحب فيخفى تارة ويثوب
حسنا تبدو من خلال سجوفها طورا فتنظر نحونا وتغيب

٢٧٨ - وقال ابن ظافر: أخبرنى أبو عبد الله بن المنجم بما معناه: صعدت إلى سطوح الجامع بمصر فى آخر شهر رمضان مع جماعة، فصادفت الأديب الأعز أبا الفتوح بن قلاقس، وعلى بن مفرج بن المنجم، وابن مؤمن، وشجاعا المغربى، فانضفت إليهم، فلما غابت الشمس وفاتت، ودفت فى المغرب حين ماتت، وتطرز حداد الظلام بعلم هلاله، وتجلى زنجى الليل بخلخاله، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يصنعا فى صفة الحال، فأطرق كل منهما مفكرا، وميز ما قذفه إليه بحر خاطره من جواهر المعانى متخيلا، فلم يكن إلا كرجعة طرف، أو وثبة طرف حتى أنشدا، فكان ما صنعه ابن المنجم:

١٦٦ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

وعشاء كأنما الأفق فيه لا زورد مرصع بنضار
قلت لما دنت لمغربها الشمس سس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه الغرب دينا رأ فأعطاه الرهن نصف سوار

وكان الذى صنعه أبو الفتوح بن قلاقس:

لا تظن الظلام قد أخذ الشمس سس وأعطى النهار هذا الهلالا
إنما الشرق أقرض الغرب دينا رأ فأعطاه رهنه خلخالا

وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة الأعز لتنصيفه السوار، وعلى كل حال فقد أبدعا، ولم يتركها للزيادة فى الإحسان موضعا.

٢٧٩ - قال ابن ظافر: وقد جرى لى مثل ذلك مع القاضى الأعز بن أبى الحسن على بن المؤيد - رحمه الله - وذلك أنا مررنا فى عشية على بستان مجاور للنيل، فرأينا فيه بئراً عليها دولابان يتجاذبان قد دارت عليهما أفلاكهما بنجوم القواديس، ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الأمانى بالمفاليس، وهما يثنان أنين أهل الأشواق، ويفيضان ماءً أغزر من دموع العشاق، والروض قد جلا للأعين زبرجده، والأصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده، والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون، والسواقي قد أذالت من سلاسل قبضها كل مصون، والنبت قد اخضر شاربه وعارضه، وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه، ورضاب الماء قد استتر من الظل فى لمى، وحيات المجارى حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى، والنهر قد صقل صيقل النسيم درعه، وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل الجو ردعه، فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحوذاً، وملأ أبصارنا حسناً وقلوبنا التذاذاً، وملنا إلى الدولابين شاكين أزمرا حين سجعت قيان الطير بالحنانها، وشدت على عيدانها، أم ذكرا أيام نعى وطابا، وكانا أغصانا رطابا، فنفيا عنهما لذة الهجوع، ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلباً للرجوع، وجلسنا نتذاكر ما فى تركيب الدواليب من الأعاجيب، وتناشدنا ما وصفت به من الأشعار الغالية الأسعار، فأفضى بنا الحديث الذى هو شجون، إلى ذكر الأعمى التطللى، وقوله فى أسد نحاس يقذف الماء:

أسد ولو أنى أنا قشه الحساب لقلت صخره
فكأنه أسد السسما ء يمج من فيه المجهره

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٦٧
فقال لى - رحمه الله :- يتولد من هذا معنى فى الدولاب يأخذ بمجامع السامع،
ويطرب الرائي والسامع، فتأملته فملئت إطرِبًا، وأوسعت إغرابًا، وأخذ كل منا ينظم ما
جاش به غمر بجره، وأنباه به شيطان فكره، فلم يكن إلا كنقر العصفور، الخائف من
الناطور، حتى كمل ما أردناه من غير أن يقف أحد منا على صنعه الآخر، فكان الذى
قال:

حبذا ساعة المجرة والدو	لاب يهدى إلى النفوس مسره
أدهم لا يزال يعدو ولكن	ليس يعدو مكانه قدر ذره
ذو عيون من القواديس تبدى	كل عين من فائض الماء عبره
فلك دائر يرينا نجوما	كل نجم منها يرينا المجره

وكان الذى قلت:

ودولاب يئن أنين ثكلى	ولا فقدًا شكاه ولا مضره
ترى الأزهار فى ضحك إذا ما	بكى بدموع عين منه ثره
حكى فلكًا تدور به نجوم	تؤثر فى سرائرنا المسره
يظل النجم يغرب بعد نجم	ويطلع بعد ما تجرى المجره

فعجبنا من اتفاقنا، وقضى العجب منا سائر رفاقنا.

٢٨٠ - قال ابن ظافر - رحمه الله :- ومن هذا الاتفاق أيضًا ما أخبرنى به ابن
المؤيد - رحمه الله - بمعناه قال: اجتمعت مع جماعة من أدباء أهل الإسكندرية فى بستان
لبعض أهلها، فحللنا روضًا تثنت قامات أشجاره، وتغنت قينات أطياره، وبين أيدينا
بركة ماء كجو سماء، أو مرقعة مرء، فنثر عليها بعض الحاضرين ياسمينًا زان سماءها
بزواهر منيرة، وأهدى إلى لبتها جواهر نثيرة، فتعاطينا القول فى تشبيهه، وأطرق كل منا
لتحريك خاطره وتنبيهه، ثم أظهرنا ما حررنا، ونشرنا ما حبرنا، فأنشد العباس بن
طريف الخراط الإسكندري:

نشروا الياسمين لما جنوه	عبثًا فاستقر فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكى	زهر الأرض فى أديم السماء

وأنشد الأديب أبو الحسن على بن سيف الدين الحصرى:

١٦٨ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

نثروا الياسمين لما جنوه فوق ماء أحبيب به من ماء
فحكى زهره لنا إذ تبدى زهر الشهب فى أديم السماء

قال: وكان الذى صنعته:

نثروا الياسمين فى لجة الماء فخلنا النجوم وسط السماء
فكان السماء فى باطن الأرض ض أو الدر طف فوق الماء

قال: وسمع أبو عبد الله بن الزين النحوى القصة، ولم يكن حاضراً معنا، فقال:

نثر الغلام الياسمين ببركة مملوءة من مائها المتدفق
فكأنما نثر النجوم بأسرها فى يوم صحو فى سماء أزرق

قال على بن ظافر: وسألنى الأعز - رحمه الله تعالى - أن أصنع فى مثله، فصنعت:

زهر الياسمين ينثر فى الماء أم الزهر فى أديم السماء
أم هما مبسم شنيب شتيت فى رضاب الخريدة الحسنة
ظل يحكى عقود در على صد ر فتاة فى حلة زرقاء
وإذا خلته حبابا حسبت الس ماء طيبا كالتهوة الصهباء

وهذا آخر ما وقع لى مما فيه توارد للمعانى وتوافق المبانى.

ومما يشبه هذا الباب أن يتفق الشعراء على نظم معنى مخصوص:

٢٨١ - أنبأنا العماد أبو حامد الأصبهاني إجازة، قال: صنع الشريف أبو المحاسن

ابن الشريف ضياء الدين فضل الله بن على بن عبد الله الحسنى الراوندى القاشانى فى
تعريب شعر أعجمى:

إنى لأحسد فيه المشط والنشفه لذاك فاضت دموع العين مختلفه
هذا يعلق فى صدغيه أنمله وذا يقبل رجله باللف شفه

قال: وتسامع الناس بهذا المعنى، فاجتمع على العمل فيه جماعة منهم شمس الدين

شاد الغزنونى، وكان حينئذ بأصبهان، فقال:

إنى أغار على مشط يعالجه ونشفة حظيت من قربه زمنا
هذا يغازل صدغيه وأحرمه وذا يقبل رجله ولست أنا

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٦٩
وقال أيضاً:

المشط والنشفة المحمود شأنهما كلاهما فى الهوى بالسعد ملحوظ
فتلك باللثم من رجليه فائزة وذاك بالمسك من صدغيه محظوظ
وقال فخر الدين القسام:

أغار منه على مشط ومنشفة حتى أغص بدمع فيه منسجم
فذا يمد يديه نحو طرته وذى يقبل فوها صفحة القدم
قال العماد: وعملت وأنا فى سن الصبا، وشعرى حيث لا أرضاه:

مشط ومنشفة فيه حسدتهما دمعى لذا بهما فياض عارضه
فتلك حاذية من مس إخصه وذاك مستغرق فى مسك عارضه

٢٨٢ - وأخبرنى بعض أصحابنا المصريين أن بعض جلساء الصالح بن رزىك
أنشد بمجلسه بيتاً من الأوزان التى يسميها المصريون الزركالش، ويسميها العراقيون
كان وكان:

النار بين ضلوعى ونا غريق فى دموعى
كنى فتيله قنديل أموت غريق وحرىق

وكان عنده القاضى الجليس أبو المعالى عبد العزيز بن الحباب، والقاضى المهذب بن
الزبير، فتقدم إليهما بنظم معناه، فصنعا بديهاً، فكان مما صنعه الجليس:

هل عاذر إن رمت خلع عذارى فى شم سالفة ولثم عذار
متألف الأضداد فيه ولم تنزل فى سالف الأيام ذات نفار
وله من الزفرات لفح صواعق وله من العبرات لج بحار
كذبالة القنديل قدر هلكها ما بين ماء فى الزجاج ونار

وكان ما صنعه ابن الزبير:

كأنى وقد سالت سيول مدامعى فأذكت حريقاً فى الحشا والترائب
ذبالة قنديل تعوم بمائها وتشعل فيها النار من كل جانب

وصنع الصالح:

وإذا تشب النار بين أضالعى قابلتها من عبرتى بسيول
فأنا الحريق بل الغريق أموت فى هذا وكذبالة القنديل

٢٨٣ - قال على بن ظافر: أخبرنى الأمير الأجل عضد الدين مرهف بن أسامة بن منقذ قال: كان لى مملوك اسمه ياقوت، فقصدت أنا وابن عمى عبد الرحمن بن محمد نظم المعنى المشهور من أن النار لا تعدو على الياقوت، فكان الذى قلته:

أسكنته قلبى وأصبح حبه من دون أقوات البرية قوتى
قالوا وكيف يقيم من أحبيته فى نار قلب بالجوى منعوت
فأجبتهم لا تعجبوا لمقامه فالنار ليس تضر بالياقوت

وكان الذى قاله ابن عمى:

يا عجباً للذى كلفت به تدنيه منى إن غاب أفكارى
يسكن قلباً من الجحيم ويزدا د ضراماً بدمعى الجارى
لا تعجبوا منه حين يسكنه فما يبالى الياقوت بالنار

الفصل الثانى

فيما لم يقع فيه توارده

٢٨٤ - فمن ذلك ما ذكره صاحب العقد - والعهدة عليه - قال: بينما الأمير محمد بن زبيدة يطوف فى قصره، إذ بصر بجارية له سكرى، وعليها كساء خز نسجت أذباله، فراودها عن نفسها، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا على ما ترى، ولكن فى غد إن شاء الله، فلما كان من الغد سار إليها، فقال لها: الميعاد، فقالت: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن كلام الليل يحويه النهار، فضحك ثم خرج إلى مجلسه، فقال: من بالباب من الشعراء؟ ف قيل له: مصعب، والرقاشى، والحسن بن هانىء، فأمر بهم فأدخلوا، فلما جلسوا بين يديه، قال: ليقبل كل منكم شعراً يكون آخره: «كلام الليل يحويه النهار» فمن أصاب ما فى نفسى فله حكمه، فارتجل الرقاشى:

متى تصحو وقلبك مستطار وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهماً فتاة لا تزور ولا تزار
إذا استنجزت منها الوعد قالت كلام الليل يحويه النهار

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٧١
وقال مصعب:

أتعدلنى وقلبى مستطار كئيب ما يقر له قرار
بجب مليحة صادت فؤادى بألحاظ يخالطها احورار
ولما أن مددت يدى إليها لألمسها بدا منها نفار
فقلت لها عدينى منك وعداً فقالت فى غد منك المزار
فلما جئت مقتضياً أجابت كلام الليل يحوه النهار

وقال أبو نواس:

وليلة أقبلت فى القصر سكرى ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح أردافاً ثقالاً وغصناً فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبيها من التكريه وانحل الإزار
فقلت الوعد سيدتى فقالت كلام الليل يحوه النهار

فقال: أخزأك الله! أكنت معنا مطلعاً علينا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، عرفت ما فى نفسك فعبرت عما فى ضميرك، فأمر له بأربعة آلاف دينار ولصاحبيه بمثلهما.

٢٨٥ - ومن ذلك ما أخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن فاضل بن حمدون الصورى، عن الإمام الحافظ أبى طاهر السلفى رحمه الله، عن أبى غالب شجاع الذهلى، قال: قال لنا أبو منصور بن أبى الضوء العلوى: كنت فى قرية يقال لها: بشيناء، وبها أبو محمد النامى، وهناك ناعورتان للزرع، فقال فيها وأنا حاضر:

أنا عورتى شطى بشيناء إننى نظير كما فى الوجد والهيمان
أنينكما يحكى أنينى وعبرتى كمائكما فى شدة الجريان
فلا زلتما فى خفض عيش يمه أمان من التفريق والحدان

وعملت أنا فى الحال:

بشينى لها ناعورتان كلاهما تسح بدمع دائم الهملان
مخافة دهر أن يصيب بعينه لإحداهما يوماً فيفترقان

٢٨٦ - وذكر أبو على بن رشيق فى كتاب الأنموذج قال: كان لمحمد بن حبيب التنوخى معشوق لا يزال يزوره إذا غاب عن منزله، فإذا حضر لم يأت، وكثر ذلك

١٧٢ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

منهما، فقال لى يوماً: تعال حتى نصنع فى ذلك، فصنعت:

ما بالنأ نجفى فلا نوصل إلا خلافاً مثلما تفعل
تأتى إذا غبنا فإن لم نغب جعلت لا تأتى ولا تسأل
كهاجر أحبابه زائر أطلأهم من بعد أن يرحلوا

وصنع هو:

يا تاركاً إن لم أغب زورتى وزائرى دأباً إذا غبت
وددت أن ودك لا ينشئى يزور فقدانى لو مت

قال على بن ظافر: وذكرت بهاتين القطعتين قول ابن خفاجة الأندلسى فى مثل هذه الواقعة، وهو أحسن ما سمعت فيها:

صح الهوى منك ولكننى أعجب من بين لنا يقدر
كأننا فى فلك دائر فأنت تحفى وأنا أظهر

٢٨٧ - قال ابن رشيق: وكان كثيراً ما يتابنى غلام وضىء الوجه، وخال تحت لحيته، فنظر إليه يوماً بعض أصحابى، ثم أطرق، فعلمت أنه يعمل فيه، فصنعت بيتين، وسكت عنهما خوف الوقوع دونه، فلما رفع رأسه قال: اسمع، وأنشد:

يقولون لى من تحت صفحة خده تنزل خال كان مسكنه الخد
فقلت:

رأى ذاك الجمال فهابـه فحط خضوعاً مثل ما خضع العبد
فقلت: أحسنت، ولكن اسمع، وأنشدت:

حبذا الخال كامناً منه بين الجيد ود والخد رقبة وحادرا
رام تقبيله اختلاسا ولكن خاف من سيف لحظه فتوارى

فقال: فضحتنى قطع الله لسانك، واشتد ضجره.

٢٨٨ - وذكر الباخرزى فى كتاب الدمية أنه اجتمع هو وأبو عاصم الفضل بن محمد الفضلى المهررى فى مجلس الإمام عبد الله الأنصارى - قال: وكان غايةً فى الكلام على المنبر، فتعاطينا القول، فقال الفضلى:

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٧٣

عيون الناس لا تلقى من الناس كعبد الله
ولا ينكر هذا غيب ر من مال عن الله

فقال البخارزى:

مجلس الأستاذ عبد الله روض العارفيننا
الحق الفخر بنا بعد احتكام العارفيننا

٢٨٩ - قال على بن ظافر: وذكر الفتح بن خاقان قال: ركب عبد الجليل بن وهبون المرسى، وأبو الحسن الحكم بن محمد المعروف بـ غلام البكرى زورقاً بنهر إشبيلية فى ليلة أظلم من قلب الكافر، وأشد سواداً من طرف الظافر، ومعهما غلام وضىء قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه، على غصن بان من قوامه، وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء، ومزقتا رداء الظلماء، وموهتا بذهب نورهما لجين الماء، فقال عبد الجليل ارتجالاً:

كأئما الشمعتان إذا سمتا خدا غلام مجانس الغيد
وفى حشا النهر من شعاعهما طريق نار الهوى إلى كبدي

فقال غلام البكرى:

أحب بمنظر ليلة ليلاء تجنى بها اللذات فوق الماء
فى زورق يزهى بغرة أغيد يختال مثل البانة الغناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه كالبدري بين النسر والجوزاء
والتاج فوق الماء ضوء منهما كالبرق يخفق فى أديم سماء

٢٩٠ - وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام قال: دخل الأديان أبو جعفر بن هريرة التطلّى المعروف بالأعيمي، وأبو بكر بن بقى الحمام، فتعاطيا العمل فيه، فقال الأعيمي:

يا حسن حمامنا وبهجهته مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حماما كنف كالقلب فيه السروز والحزن

ثم أعجبه المعنى، فقال:

١٧٤ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

ليس على لهونا مزيد ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار كالشمس فى ديمة تصوب
وأبيض تحته رخام كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقی:

حمامنا فيه فصل القيظ يحتم
ضدان ينعم جسم المرء بينهما
وفيه للبرد صر غير ذى ضرر
كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال الأعمى وقد نظر فيه إلى فتى صبيح:

هل استمالك جسم ابن الأمين وقد
كالغصن باشر حر النار من كذب
سالت عليه من الحمام أنداء
فظل يقطر من أعطافه الماء

٢٩١ - قال على بن ظافر: وذكر لى أن جماعة من الشعراء فى أيام الأفضل خرجوا
متنزهين إلى الأهرام ليروا عجائب مبانيها، ويقرأوا ما سطر الدهر من العبر فيها، فصنع
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز، وأنشد:

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرًا
أنافا بأكنان السماء وأشرفا
على ما رأت عيناك من هرمى مصر
على الجو إشراف السماك على النسر
وقد وافيا نشزًا من الأرض عاليا
كأنهما نهذان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر بن الحداد:

تأمل هيئة الهرمين وانظر
كعمارتين على رحيل
وبينهما أبو الهول العجيب
بحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع
وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب
تخلف فهو محزون كتيب

٢٩٢ - وأخبرنى الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسى
الحلبى، قال: اجتمع مهذب الدين أبو الحسين بن منير، والشيخ أبو عبد الله محمد بن
صغير القيسرانى، الشاعران بحلب، فمر عليهما صبي سراج يسمى يوسف، مشهور
بالحسن، فستلا القول فيه فصنعا، فكان ما صنع ابن منير:

فى بدائع بدائمه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٧٥

يا سمى المرمى فى ظلمة الجـ ب لمن ساقه القضاء إليها
والذى قطع النساء له الأيدى سدى ومكن حبله من يديها
لك وجه مياسم الحسن فيه سكة تطيع البذور عليها

وكان مما صنع القيسرانى:

لا تخدعن فما الحسام المرهف إلا الذى يحويه جفن أوطف
وإذا رأيت اللحظ يعمل فى الحشى عمل الأسنة فالقوام مثقف
ويح المحب أما يخالس نظرةً إلا هفا بالقلب ظبى أهيف
بالله يا نفحات أنفاس الصبا ما بال غصن البان لا يتعطف
يا مسكرى وجداً بخمر جفونه قل لى أتلک لواحظ أم قرقف
بادر جمالک بالجميل فرما ذوت المحاسن أو أبلى المدنف
واسبق عذارک باعتذارک قبل أن يأتى بعزل هواک منه ملطف
إن جاز أن يرث الملاحه باسمه أحد فإنک يوسف يا يوسف

٢٩٣ - قال على بن ظافر: وروى أن الأعز أبا الفتوح بن قلاقس، ونشو الملك على بن مفرج بن المنجم، اجتماعاً فى منار الجامع ليلة فطر، ظهر بها الهلال للعيون، وبرز فى صفحة بحر النيل كالنور، ومعهما جماعة من غواة الأدب الذين ينسلون من كل حدب، فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربة، وإلى مستقرها جارية ذاهبة، قد شمردت للمغيب الذيل، واصفرت خوفاً من هجوم الليل، والهلال فى حمرة الشفق، كحاجب الشائب أو زورق الورق، اقترحوا عليهما وصف تلك الحال، فصنع ابن قلاقس:

انظر إلى الشمس فوق النيل غاربة وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وأبقت شعاعاً منه يخلفها كأنما احترقت بالماء فى الغرق
وللهلال فهل وافى لينقذها فى إثرها زورق قد صيغ من ورق

وصنع نشو الملك:

يا رب سامية فى الجواقمت بها أمد طرفى فى أرض من الأفق
حيث العشية فى التمثيل معركة إذا رآها جبان مات للفرق
والشمس هاربة للغرب دارعة بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
وللهلال انعطاف كاللسان بدا من سورة الطعن ملقى فى دم الشفق

١٧٦ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد
وهذا - لعمري - من البديع الذى لا يلحظ سواه، ولا يحفظ إلا إياه.

٢٩٤ - قال على بن ظافر: والحكاية المشهورة عن ابن قلاقس، والوجيه أبى الحسن
على بن الذرورى، أنهما طلعا منارة الإسكندرية، والوجيه يومئذ فى عنفوان شبابه
وصباه، وهبوب شماله فى الجمال وصباه. وابن قلاقس مغرى به، دائب فى تهذيبه،
مبالغ فى تفضيض شعره وتذهيبه، ولم تكن وقعت بينهما تلك الهناة، ولا استحكمت
بينهما أسباب المهاجاة، فاقترح عليه ابن قلاقس أن يصف المنارة، فقال بديهاً:

وسامية الأرجاء تهدى أخوا السرى	ضياءً إذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها برداً من الأنس ضافياً	فكان بتذكارات الأحبة معلما
وقد ظللتنى من ذراها بقية	الاحظ فيها من صحابى أنجما
فخيلت أن البحر تحتى غمامة	وأنى قد خيمت فى كبد السما

فحين رأى الأعز ما أتى به، اشتد سروره وفرحه، وقال يصفها ويمدحه:

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقباً	كأنما فيه للنسرين أوكار
راسى القرار وسامى الفرع فى يده	للنور والنور أخبار وآثار
أطلقت فيه عنان الفكر فاطردت	خيل لها فى بديع الشعر مضمار
ولم يدع حسناً فيه أبو حسن	إلا تحكم فيه كيف يختار
حلى المنارة لما حل ذروتها	بجوهر الشعر بجر منه زخار
ما زال يذكى بها نار الذكاء إلى	أن أصبحت علما فى رأسه نار

٢٩٥ - وأخبرنى الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحموى، وابن شيث من
أصحابنا، قالاً: مضى الوجيه على بن الذرورى، والنجيب هبة الله بن وزير فى جماعة إلى
الحمام المعروف بأبى فروة، فجرى بينهما تنازع أدى إلى تناكر فضيلة الأدب، ثم تراضيا
بأن يحكم بينهما الشريف العروف بأنكدودة، فحكم بأن يصنعا قطعتين فى صفة الحمام
على البديهة، ثم يقع التفضيل بينهما بقدر التفاوت بين القطعتين، فصنع ابن الذرورى
بديهاً:

إن عيش الحمام عيش هنئ	غير أن المقام فيه قليل
جنة تكره الإقامة فيها	وجحيم يطيب فيه الدخول
فكان الغريق فيه كليم	وكان الحريق فيه خليل

وصنع ابن وزير - بعد بطة:

لله يوم بجمام نعمت به والماء من حوضها ما بيننا جار
كأنه فوق شفاف الرخام بها ماء يسيل على أثواب قصار
فانتقد عليه الجماعة تشبيهه الماء بالماء، واستبردوا ما أتى به، فقال ابن الذرؤى:
وشاعر أوقد الطبع الذكاء له أو كاد يحرقه من فرط إذكاء
أقام يجهد أياماً رويته وفسر الماء بعد الجهد بالماء

٢٩٦ - وأخبرنى الفقيه شجاع الغزلى رحمه الله قال: جلست يوماً بالوراقين على دكان الأديب أبى الفضل جعفر بن مفضل القرشى المنبوز بشلعلع، وثالثنا ذخيرة الملك المشهور خبره، المشكور أثره، وهو شيخ كان يغنى ويلفق كلاماً من جنس كلام الحمقى والمعتهين تلفيقاً موزوناً على أنه شعر، إلا أنه بلغ به عند الصالح وذويه ما لم يبلغه الأخطل عند عبد الملك وبنيه، وقد اجتمع الناس عليه، ووقفوا صفوفاً بين يديه، وهو يطرفهم بشعره، ويملاً آذانهم بنعره.

قال: فمر بنا ابن وزير، فلما رأى الجمع جلس إلينا، ثم أخذ يقول أنصافاً من الشعر، وأبياتاً متفرقة فى مدح ذخيرة الملك تارة، والطنز به أخرى، يتباهى بها على العوام، ويملاً بها قلوب أولئك الطغام، ففهم الأديب أبو الفضل مقصده، وأراد أن يفضحه، ويظهر عيبه ويوضحه، فقال له: ما هذا الفتور، والشعر المقذور، والعجب منك أن تتباهى بالشعر ونحن حضور، وجر هذا الكلام خصاماً كان آخره أن استقر الأمر على أن يصنع كل منا قطعة فى مدح ذخيرة الملك على روى يختاره أول خارج من الجامع، فكان حرف الذال، فابتدر جعفر وقال:

من كان فى درك الغرام ولم يكن لحشاه من أسر الهوى إنقاذ
فدخيرة الملك الأجل بشعره ترقى القلوب من الهوى وتعاذ
وإذا بدا مترنماً فله على كل القلوب بشدوه استحواذ

قال: وصنعت:

دخيرة الملك أنت شاعرنا فكل شعر عداك منبوذ
وكل لفظ فمك مسترق وكل معنى فعنك مأخوذ

١٧٨ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد
قال: وأبى ابن وزير أن ينشد ما عمله، بل كتبه فى رقعة وقال: إنما أنشده بحضرة
أبى الحسن بن برى - رحمه الله - فأثينا جميعاً، فأنشدته أنا وجعفر ما صنعنا، فأثنى
خيراً، ثم ناوله ابن وزير الرقعة، فإذا أولها يقول:

هـذا الفتى ذخي — رة الملك نعيذه
فلما قرأه الشيخ جمع وجهه، ثم قرأ الثانى، فإذا هو:

إذا تغنى منى شداً — قلوبنا مـنفوذه
فزاد فى تجمعه، ثم قرأ الثالث، فإذا هو:

من كل هم بيننا — يبدو لنا شذوذه
فرمى الرقعة من يده، فكأنما ألقمه حجراً، ثم ادعى أننا غيرنا سبكه، وكتب بذلك
محضراً منظوماً كتب عليه الشعراء شهاداتهم بقطع من الشعر، أنشدنى كثيراً منها، ثم
توفى قبل أن أكتبها عنه.

٢٩٧ - وأخبرنى بهاء الدين أسعد بن يحيى بن منصور بن عبد العزيز بن وهبان
السلمى المعروف بابن السنجارى بحماة، وكتبه لى بخطه، قال: اجتمع عندى جماعة منهم
جمال الدين بن رواحة، وعلم الدين الشابانى الشاعر المعروف بقاع، وضياء الدين سعيد
ابن حياة المقرئ، وضياء الدين الحورانى، وهو فى ذلك الوقت مشهور بعشق البهاء
على بن محمد الخراسانى المعروف بابن الساعاتى، فبينما نحن مجتمعون، إذ دخل علينا
ابن الساعاتى وهو فى عنفوان شبابه، ونهاية حسنه، وسنه حينئذ أربع عشرة سنة،
فداعبناه، فجرد سيقاً، وجعل يريد ضرب عنق الضياء الحورانى مداعباً له، وذلك بعد
أن عصب عينيه بطرف عمامته، فكشف الضياء عن وجهه، وقال: أنتم كلكم تدعون
أنكم فضلاء الوقت، فقولوا فى هذا شيئاً، فعمل كل منا قطعة، وخبأها فى بيقاره، فقال
الضياء - وكانت فيه دعابة -: أراكم قد عملتم عمل القطاط، فأنشدونا ما علمتم،
فقلنا على سبيل الهزء: لا يتقدم أحد على علم الدين، فجعل الشابانى يصف شعره
ويقول: قد علمت بيتين ما يقدر أحد أن يعمل مثلهما، وزاد فى الدعوى، ثم أنشد:

قمر عـندنا بـه — نهـر جـيرون كوثر
لو تـراءى لـسنجر — قـبل الأرض سـنجر

فجرى بينه وبين الحورانى من المشاغبة ما ضاق به الوقت، وقال له: ويحك! أين هذا

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٧٩

مما نحن فيه! وأى مناسبة بينه وبين المعنى الذى اقترح عليك! وكان جمال الدين بن رواحة فاضلاً لطيفاً، فقال لى: بالله عليك إلا أنشدت قبلى، فقد رأيتك عملت أكثر منى، وكنت إلى جانبه، فأنشدت ما قلت، وهو:

حتام عذلك قد أسرفت فى عذلى	قلبى من الوجد ملآن وأنت خلى
أعاذك الله من وجدى ومن كلفى	ومن غرامى ومن خوفى ومن وجلى
لو كان يا سعد لطوفان ما ذرفت	عيناي ما استعصم المغرور بالجبل
بمهجتى راشق لى قوس حاجبه	كأنما الطرف رام من بنى ثعل
يميل عطفاه من سكر الصبا مرحاً	كما تمايل عطف الشارب الثمل
ما لاحت الشمس فى رآد الضحى وبدا	للشمس إلا رماها الطفل بالطفل
يا حامل الصارم الهندى منتصراً	ضع السلاح قد استغنيت بالكحل
ما يفعل الطبى بالسيف الصقىل وما	ضرب الصوارم مع ضرب من المقل
قد كنت فى الناس سنيا فما برحت	بى شيعه الحسن حتى صرت عبد على

٢٩٨ - وأخبرنى الأديب راجح بن إسماعيل الحللى، قال: خرجنا مع مهذب الدين أبى الحسن على بن نظيف أيام كتابته للملك المعز إسحاق بن عبد الملك الناصر - رحمه الله تعالى - إلى الأهرام للتنزه، ومعه الأديب بهاء الدين بن الساعاتى، والجمال ابن التاج البغدادى، والمهذب بن الخيمى، والأوحد المعروف بالواسطى، فاتفق أن كبت به بغلته، ثم وثبت ورفعت يديها، فتعاطينا القول فى ذلك، فبدر بهاء الدين بن الساعاتى، فقال:

قيل مادت من تحت ذا السيد الأر	ض ولم تأتئنا بمـثال
هو طود النهى ومن أعجب الأشد	سياء أرض تميد تحت الجبال

وقال ابن التاج:

جلست بغلة الأمين ترينا	صدق حس كأنه إلهام
أظهرت ميزة على النوع إذ أصد	بيح فى الحسن ذا علا لا يرام
نحن فى خدمة قيام لديه	ثم بغلاتنا لديه قيام

١٨٠ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

وقال الواسطى:

لم تكب بغلتك الخضراء من خور يا من هو اليوم للإسلام مسعده
لكنما الأرض مادت تحتها طربا إذ شرفت بك يا من طاب محتده

وقال ابن الخيمى:

أقسمت بغلة الرئيس المفدى حين حطت لعجزها عنه صدرا
إنما رفعت يديها قنوتاً بعد أن قبلت ثرى الأرض عشا
إذ غدت من حجاه حاملة طو دأ ومن جود كفه العذب بجرأ

قال: وقلت أنا:

وحسام ملك يستضاء برأيه ويفل حد النائبات بحده
لم تكب بغلته لخون قوائم تطأ الصفا فترض صفحة صلده
لكنها حملت مشروع سودد بذ الأكارم فى إمامة مجده
سجدت وقد ظلت صفوف وفوده من خلفه يتلون آية حمده

قال على بن ظافر: وقد رأيت هذه القطعة التى نسبها الخلى لنفسه فى ديوان ابن الساعاتى، وكان الخلى مع جودته كثير الإغارة عليه.

٢٩٩ - وأخبرنى الأديب أبو القاسم بن نفطويه، قال: أنشدنى بعض أصحابنا بيتاً وسألنى أن أضمنه، وهو:

فليت الشمس لو بقيت قليلا ففيها كلما بقيت بقائى
فصنعت بديهاً:

ولما أن تلاقينا بكيـنا بكاء القرب من بعد التنائى
وسمت دوام طيب الوصل منه فأعرض عند ذاك عن اقتضائى
وواعدنى إذا ما الشمس غابت وولت لا سبيل إلى اللقاء
فليت الشمس لو بقيت قليلا ففيها كلما بقيت بقائى

قال: ثم مر بى القاضى أبو الحسن على بن النبيه، فأنشدته البيت، وسألته أن يضمه، فقال بديهاً:

عسى العيس التى ظنعت بسلمى تعود بها وننعم باللقاء
توالت بالعشى ولا عجيب مغيب الشمس فى وقت العشاء

فليت الشمس لو بقيت قليلاً ففيها كلما بقيت بقائى

ثم جاء الأديب أبو العز الأعمى، فسأله تضمينه، فقال بديهاً:

بدت شمس النهار فخيلى لى بأنك قد رفعت إلى السماء

فصرت أذوب وهى تزول عنى إلى أن صرت فى حد الفناء

فليت الشمس لو بقيت قليلاً ففيها كلما بقيت بقائى

قال: ثم مر بى الفقيه أبو محمد القلى، فسأله تضمينه، فقال بديهاً:

إذا هزم الظلام سنا الضياء قضى ترحال وصلك بانقضائى

فليت الشمس لو بقيت قليلاً ففيها كلما بقيت شفائى

٣٠٠ - واجتمع يوماً شهاب الدين يعقوب، والشريف فخر الدين أبو البركات

العباس بن عبد الله العباسى، على أن يصنعا هجاء فى صبي مستحسن يسمى يونس،

فصنع الشريف بديهاً:

يونس يا متلفى بهجر قد لج فيه بلا انتهاء

إن بلع الحوت لابن متى ثمّت ألقاه بالعراء

فرب حوت بلعت أضحى مكتسباً منك بالخراء

وصنع الشهاب وعرض بالحلّى:

أدار نون الصدغ فى خده حتى غدا يونس ذا النون

وأنبت الحلّى من فوقه لما علاه أصل يقطّين

ثم صنع فيه هذا البيت، وهو:

إن بلعت يونس حوت فكم بلعت يا يونس من حوت

٣٠١ - وكنت فى صدر العمر وابتداء قول الشعر، صنعت قطعة فى صدر نارنج

عليه طلع مفروط، وهى:

انظر إلى النارنج والطلع الذى جاء الغلام بطلعه متمايلاً

فكأنما النارنج قد صاغوه من ذهب قناديلاً وذاك سلاسل

ثم زدت عليه فقلت:

أتانا بصدر واسع لو بدا لمن تعبد أحيا صورة المتعبد
حكى طلعه فيه سلاسل فضة ونارنجيه يحكى قناديل عسجد

ثم اختصرته فقلت:

أيا حسن صدر فيه مفروط طلعه يقارن نارنجًا به متلالى
قناديل تبر فى سلاسل فضة يداه وأهدى فيه كل جمال
لقد أحسن الشخص الذى جمعتهما وإلا عقيق فى سموط لآلى

٣٠٢ - واتفق إنشاد القطع فى بعض الليالى بالجامع لجماعة من أصحابنا فيهم ابن الذرورى، فقال: يتولد من هذا معنى فى صدر فيه نارنجتان وطلع مفروط، ويشبه ذلك بنهدين فى صدر عليهما أسماط در، فاستحسنت المعنى وأطرق كل منا لنظمه، ثم أنشدت:

وصدر به نارنجتان تبدتا ومفروط طلع بالملاحه حالى
فخلت بذاك الصدر نهدي خريدة وقد وشحت زهواً سموط لآلى

ثم أنشد هو:

أرسلت لى نارنجتين على صد ر وحفتهما بطلع نضيد
ثم قالت تسل عنى فهذا مثل صدرى والدر فوق نهودى

ثم ذكر معنى آخر فأطرقنا لنظمه، فقلت كالمرتل:

ألست ترى النارنجتين وقد بدا يحفهما طلع نضيد منظم
كخدى غلام قد تأمل حسنه جماعة عشاق له فتبسموا

فلم يصنع فيه شيئاً، ثم اقترح معنى غيره، فنظمت فيه:

وطلع بدا المفروط فيه مقارناً لنارنجتين يجتلى الحسن منهما
كدمع جرى من جفن ظبى منعم فأضحى على الخدين منه منظما

وصنع هو هذا البيت:

وطلع على نارنجتين كأنه دموع محب فوق خدى حيبه

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٨٣

وجهه، وتعارضت أشعة القناديل عليه فتعاطينا وصفه، فصنعت:

انظر إلى حسن القناديل التى لاحت كشهب فى متون سماء
والصحن قد أبدى شهاب شعاعه إذ صار مصقولاً بمر الماء
فكأنها هى أسطر من عسجد كتبت بظهر صحيفة بيضاء

ثم صنع ابن الذرورى:

أيا حسن جامع مصر وقد تروى من الوابل المغدق
وضوء القناديل من فوقه كأسطر تبر على مهرق

٣٠٤ - قال على بن ظافر: حضرنا يوماً عند الصاحب صفى الدين بمعسكر المنصور على بلبس، عند بروز السلطان لسفرته الثانية، حين حوصرت دمشق الحصار الثانى فى خيمته، بمجلس حفل لم يعدم فيه أحد من مشايخ الدولة ووجوهها، وهم إذ ذاك متوفرون، لم ينقص لهم عدد، ولا فقد منهم أحد، فأشدنى ابن أبى حفصة قصيدة عاتبت فى بعض أبياتها، وارتقى الأمر إلى أن قال أسعد بن الخطير - رحمه الله تعالى: إن هاهنا جماعة كلهم يقول الشعر، فلو اقترح عليهم أن يصنعوا شيئاً فى بعض ما يقع تعيين الصاحب عليه، لبان الجري الجنان من العاجز الجبان، ومن جملة من معنا فى المجلس ممن يقول الشعر ابن سناء الملك، والأسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث، فاقتراح الصاحب أن نعمل فى منجنيق الشمعة - وكان الهواء عاصفاً - فقلت:

أرى شمعةً ضمها المنجنيق فجاءتك بالمنظر الأعجب
يجول عليها احمرار الغشاء كما جال برق على كوكب

وتبعنى ابن شيث فقال:

وشمعة فى المنجنيق ق وهى فيه تشرق
كأنها من تحتته شمس علاها شفق

ولم يفتح على أحد بكلمة، وانتقدوا عليه تشبيهها بالشمس، وقالوا: النجم أليق. ثم قال الصاحب: فيها معنى آخر لو نظم لكان مليحاً، وهو أن يشبه بالروح فى الجسد؛ لأن إنارة الجسد وإضاءته بالروح التى فى باطنه، فارتجلت وقلت:

١٨٤ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

وشمعة فى المنجنيق ——— تق تلتظى وتنتقد
تنير فيه مثلما ينير بالروح الجسد

فاستحسن الجماعة ذلك على حسب الوقت، ثم بعد افتراق المجلس صنعت فى الشمعة والمنجنيق وباركت الصاحب به، فأنشدته:

ومجلس أنس ضم شمل جماعة تعاطوا من الآداب خير رحيق
لدى شمعة فى منجنيق غشاؤه كما أخجل التقبيل خد عشيق
ترى نارها من خلفه كبهاره تراءت لنا من خلف ثوب شقيق
كما جلست خود بتاج ودونها معصفر ستر للعيون رقيق
ويحكى عموداً من لجين مقمعا بتبر بدا فى وسط بيت عقيق

٣٠٥ - قال على بن ظافر: وما يشبه هذا الباب وليس به، ما ذكره ابن بسام فى الذخيرة ورويته بالإسناد المتقدم، فى أن المتوكل بن الأفضس كان له فرس أدهم أغر محجل، على كفله ست نقط بيض، فندب المتوكل الشعراء لوصفه، فصنع النحلى أبو الوليد فيه بديهاً:

ركب البدر جواداً ساجماً تقف الريح لأدنى مهله
لبس الليل قميصاً سابغاً والثريا نقط فى كفله
وغدير الصبح قد حيض به فبدا تحجيلة من بلله
كل مطلوب وإن طالت به رجله من أجله فى أجله

وصنع ابن اللبانة:

لله طرف جال يا ابن محمد فجنت به حوباؤه التأميلا
لما رأى أن الظلام أديمه أهدى لأربعه الهدى تحجيلا
وكأنما فى الردف منه مباسم تبغى هناك لرجله تقييلا

وقال فيه عبد الله بن عبد البر الشنترينى من قطعة:

وكأنما عمر على صهواته قمر تسير به الرياح الأربع

٣٠٦ - وأخبرنى بعض أصحابنا أن نشو الملك بن المنجم المقدم ذكره دخل مجلس

القاضى الأجل الفاضل - رحمه الله تعالى - فأنشده لنفسه فى مسحة القلم:

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٨٥

ممسحة نهارها يحسن لليل الظلم
كانها قد خلقت مسنديل كم القلم

ثم أمره بالعمل فيها، فصنع بديهاً:

وآلة تضرر النهار فما تبديه إلا لوفاد الظلم
تودع فيها الأقلام فضلة ما تنفثه فى مصالح الأمم

وقد وقف القاضى الفاضل على هذه الحكاية فى نسخة كان استنسخها من هذا الكتاب وهو يومئذ رسالة لا تتجاوز عشرة كراريس لطاف، فلم ينكرها.

٣٠٧ - وأخبرنى صاحبنا فخر القضاة أبو الفرج نصر الله ابن القاضى عز القضاة أبى العز هبة الله بن بصاقة الكاتب المعظمى، قال: شرط بعض أصحابنا ونحن مجتمعون فى بعض منازل الفرنج، وتبعه آخر، فصنع بعضنا فى الأول، وصنع بعضنا فيهما جميعاً، فصنع بهاء الدين على بن الساعاتى بديهاً فى الأول:

يا من صبوت إلى محبا سنه وأصل الحب صبوه
إن كنت خنتك فى الهوى ما بين يوم نوى ونبوه
فليت منك بكل ما أخشاه من صد وجفوه
أو شاع سرى فى الأنبا م كضربة الشرف ابن عروه

وصنع المولى الملك المعظم:

الشرف ابن عروة تحللت عروته
أحق من ضراطه تعلمت بغلته

قال: ولما شرط الآخر قلت:

رأيت ابن عروة يتلو الظهير وقد شرطاً لاشتداد الجزع
فقلت أللخوف هذا الضراط كأن فؤادكما ينتزع
فقالا إذا دهمت غارة فلا بد من ضرب بوق الفزع

وصنع فيهما شمس الدين إسماعيل بن منكورس - وكان ربما عبث بالبيت أو البيتين:

١٨٦ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

قد شرط الفسلان يوم النوى عند اشتداد الضنك والضيق
فقلت من عظم ضراطيهما لا بد للحرب من البوق

٣٠٨ - قال على بن ظافر: واجتمعنا ليلة فى رمضان بالجامع، فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث، وقد وقد فانوس السحور، فاقتراح بعض الحاضرين على الأديب أبى الحجاج يوسف بن على المنبوز بالنعجة، أن يصنع فيه، وإنما طلب بذلك تعجيزه، فصنع وأنشد:

ونجم من الفانوس يشرق ضوءه ولكنه دون الكواكب لا يسرى
ولم أر نجماً قط قبل طلوعه إذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من بين الجماعة وقلت: هذا تعجب لا يصح؛ لأنى والحاضرين قد رأينا نجومًا لا تدخل تحت الحصر، ولا تحصى بالعد، إذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر، وهى نجوم الصباح، فأسرف الجماعة بعد ذلك فى تقريعه، وأخذوا فى تمزيق عرضه وتقطيعه، فصنع وأنشد:

هذا لواء سحور يستضاء به وعسكر الشهب فى الظلماء جرار
والصائمون جميعاً يهتدون به كأنه علم فى رأسه نار

فلما أصبحنا سمع من كان غائباً من أصحابنا فى ليلتنا ما جرى، فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد بن متانو رحمه الله تعالى وأنشدنيه:

أحبب بفانوس غدا صاعداً وضوءه دان من العين
يقضى بصوم ويفطر معاً فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه أبو محمد القلعى:

وكوكب من ضرام الزند مطلعته تسرى النجوم ولا يسرى إذا رقبا
يراقب الصبح خوفاً أن يفاجئه فإن بدا طالعاً فى أفقه غربا
كأنه عاشق وافى على شرف يرعى الحبيب فإن لاح الرقيب خبا

ثم صنعت بعد حين:

ألست ترى شخص المنار وعوده عليه لفانوس السحور لهيب
كحامل منظوم الأنابيب أسمر عليه سنان بالدماء خضيب

ترى بين زهر الزهر منه شقيقة لها العود غصن والمنار كثيب
وتبدو كخذ أحمر والدجى لمى بدا فيه ثغر للنجوم شنيب
كأن لزنجى الدجى من لهيبه ومن خفقه قلباً عراه وجيب
تراه يراعى الصبح ليلاً فإن دنا طلوع صباح حان منه غروب
فهل كان يراها لعشق ففر إذ درى أن رومى الصباح قريب

وقلت فى اختصار هذا المعنى:

انظر إلى المنار والـ فأنوس فيسه يرفع
كحامل رمحاً سنا نه خضيب يلمع

وقلت أيضاً:

ألست ترى حسن المنار وضوءه يرفع من جنح الدجنة أستارا
تراه إذا جن الظلام مراقباً له مضرماً فى قلب فانوسه نارا
كصب بخود من بنى الزنج سامها وصالاً وقد أبدى لترغب دينارا

وقلت فيه:

وليلة صوم قد سهرت بجنحها على أنها من طولها تعدل الدهرا
حكى الليل فيها سقف ساج مسمر من الشهب قد أضحت مساميره تبرا
وقام المنار المشرق اللون حاملاً لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا
كما قام رومى بكأس مدامة وحيأ بها زنجية وشحت درا

قال: ولما صنعت هذه القطع ندبت أصحابنا للعمل، فصنع شهاب الدين يعقوب:

رأيت المنار وجنح الظلام من الجوى يسدل أستاره
وحلق فى الجوى فانوسه فذهب بالنور أقطاره
فقلت الملق قد شب فى ظلام الدجى للقرى ناره
وخلت الثريا يداً والنجوم ورقاً غدا البدر قسطاره
وخلت المنار وفانوسه فتى قام يصرف ديناره

وأشدنى القاضى أبو الحسن بن النبيه لنفسه:

١٨٨ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

حبذا فى الصيام مئذنة الجا مع والليل مسبل أذباله
خلتها والفانوس إذ رفعته صائداً واقفا لصيد الغزاله
وأنشدنى ابن نبطويه:

يا حبذا رؤية الفانوس فى شرف لمن أراد سحوراً وهو يتقد
كأنما الليل والفانوس متقد فى الجو أعور زنجى به رمد
وأنشدنى أيضاً لنفسه:

نصبوا لواء للسحور وأوقدوا فى رأسه ناراً لمن يترصد
فكأنه سبابة قد قمعت ذهباً وقامت فى الدجى تشهد
وأنشدنى الفقيه أبو يحيى الستولى - رحمه الله تعالى - لنفسه:

وليلة ملئت أسدافها لعساً واستوضحت غرر من ثغرها شبا
ولاح كوكب فانوس السحور على إنسان مقلتها النجلاء واشتها
حتى كأن دجاها وهو ملتهب زنجية حملت فى كفها ذهباً

وصنع الأديب أبو العز مظفر الأعمى، وكتب بها عنه إلى، وقد كان سمع جميع
المقاطيع، فأخذ معانيها وقال:

أرى علماً للناس فى الصوم ينصب على جامع ابن العاص أعلاه كوكب
وما هو فى الظلماء إلا كأنه على رمح زنجى سنان مذهب
ومن عجب أن الثريا سماؤها مع الليل تلهى كل من يترقب
فطوراً تحييه بباقه نرجس وطوراً يحياها بكأس تلهب
وما الليل إلا قانص لغزاة بفانوس نار نحوها يتطلب
ولم أر صياداً على البعد قبله إذا قربت منه الغزاة يهرب
وأنشدنى الشريف أبو الفضل جعفر لنفسه:

كأنما الفانوس فى صاريه لما اتقدا
لواء نصر مذهب فى رأس رمح عقدا

٣٠٩ - وكان الملك العزيز - رحمه الله تعالى - قد غنى بين يديه دوبيت بالعجمية
معناه أنه جعل الليل برد داراً للحبيب ليحجب الشمس، فاستحسن المعنى، وأرسل إلى
وزيره الأجل نجم الدين أبى الفتى يوسف بن المجاور - رحمه الله تعالى - يأمره أن يصنع

فى بدائع بدائـه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٨٩
المعنى فى شعر، وأن يأمر الشعراء بالعمل فى ذلك، فصنع بديهاً وأرسله إليه:
قال له الليل انصرف راشداً فإنه استخدمنى برردار
ثم صنعوا بعده، فمن مرو ومن باده.

٣١٠ - وأخبرنى الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير، قال: كنت عند الفاضل -
رحمه الله تعالى - إذ دخل الوزير نجم الدين، فأخبره بما طلب السلطان، وأنشده ما
صنع، فقال الفاضل: هذا معنى كنت نظمته قديماً، إلا أنى استخدمت الليل بواباً،
فقلت:

بتنا على حال تسوء العدا وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له إن غبت عنا هجم الصبح
قال الأسعد: ولم أكن صنعت شيئاً، فصنعت بديهاً:

قلت لليل عندما زارنى البد ر وأوجست خيفةً للروح
أنت يا ليل برردار حبيبى فتأهب لدفع صدر الصبح
قال: فاستحسن الوزير القسم الثانى، فقلت: برردار المولى نعلم منه حسن الخلق،
يقول: انصرف راشداً، وهذا البرردار فظ غليظ يدفع فى الصدر.

٣١١ - وأخبرنى أبو الحسن بن النبيه قال: دخلت على الأجل نجم الدين الوزير -
رحمه الله تعالى - فأمرنى بالعمل فيما رسمه السلطان فاستمهلته، فأبى فصنعت
وأنشدت:

قلت لليل إذ حبانى حبيباً وغناء يسبى النهى وعقارا
أنا سلطان مجلسى فاحجبوا الصبح ح وكن أنت يا دجى برردارا
وأنشدنى القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك لنفسه:

أباحنى الليل وصف طيف عهديته منه لا يباح
وحجب العالمين عنى فلا غدو ولا رواح
يا ليل أمسيت برردارى إياك أن يهجم الصبح
وأنشدنى شهاب الدين يعقوب ابن أخت نجم الدين - رحمه الله تعالى - لنفسه:

قلت إذ زار من أحب وجنح الـ
ملك الحب زاره ملك الحسد
فافرشوا الورد أطلساً حين يمشى
واصرفوا حاجب الهلال فقد نم
واحجبوا قيصر الصباح وقولوا
لنجاهى الظلام كـن برددارا

وأشدنى القاضى الأسعد عبد الرحيم بن شيث ناظر القدس الشريف لنفسه:

زار وقد آنس للقلب نار
طيف وقل ضيف كما أننى
لم أنسه خاض إلى الدجى
فانشق قلب الصبح غيظاً به
وذات قد كالقضيب انشئ
بديعة كم لى بها غرة
ورب ليل طاب لى وصلها
رأيتها ليلاً وصباحاً فما
بتنا ضجيعى عفة ما درت
يسكرنى لثمى لأصداغها
يحجب عنا الصبح ستر الدجى
وبعدها فليطلل الليل ما

وليس إلا وجهه إذ أنار
أبحته قلبى قرى أو قرار
وجاب من شوق إلى القفار
وغار نجم الأفق منه فغار
وأين منها الغصن لولا الثمار
وكم لها فى مهجتى من غرار
به فلولا وصلها قلت طار
عرفت بالليل ولا بالنهار
منا يد ما يحتويه إزار
فهى عنا قيد ولثمى اعتصار
كأنما الليل لنا برددار
شاء على رغم الليالى القصار

٣١٢ - وبرز أمر الملك العزيز - رحمه الله تعالى - إلى وزيره الأجل نجم الدين -

رحمه الله تعالى - أن يصنع غزلاً فى جارية صنعت على خدها بالمسك صورة حية وعقرب، فصنع أبقاه الله بديهاً:

فديتها من غادة
سألتها فى قبلة
فجاوبت معجبه
وابأبى وابأبى
وليس هذا ممكناً
روضة خدى حرست

مخلوقة من طرب
فى خدها المذهب
بكفها المخضب
من عظم هذا المطلب
على ممر الحقب
بحمية وعقرب

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٩١

ممن رام أن يلثمها فليرقهها بالذهب
وليشرب الدرياق من رضاب ثغرى الشنب
وصنع أيضاً:

جعل العذول يقول لى لما بدت كالشمس فى بعد وفى إحراق
لا نطمعن بوصلها وبلثمها هذى مذيبة أنفس العشاق
تفاح خديها حمته بعقرب وبحية خوفاً من الأحداق
فحذار ثم حذار يا عشاقها فلديغها ما إن له من راق
قلت اتئد هذى وتلك تولدا فى ماء خد مائر رقراق
والله لا خوف على بلثمها ما دام خمر رضابها درياقى

ثم أمر الناس بالعمل فأكثروا، وصنع ابن ممتى قطعاً كثيرة تزيد على العشرين، من أحسنها قوله:

نقشت حية على ورد خد مزخرف
فبدت آية الكلي مم على وجه يوسف
وقال أيضاً:

فى خدها عقرب وحيه وأنت يا نفس بعد حيه
قد جال ماء الشباب فيه وأرسل الصدغ فيه فيّه
وقال ابن سناء الملك أدام الله نعمته:

صفا العيش فى ملك العزيز بن يوسف فلم يبق فيه للشوائب باق
فلا عقرب إلا بخد مليحة ولا جور إلا فى ولاية ساق
وقال أيضاً:

ظهرت معجزات ملك العزيز فهى فى وقته ذوات بروز
حية تحت عقرب فوق خد أحمر كاللجين والإبريز
فهما مثل قبضة بحسام ركبوها فى صارم مهزوز

٣١٣ - وأخبرنى بهاء الدين حسن الخراسانى المعروف بابن الساعاتى، قال: أمرنى

١٩٢ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد
السلطان أن أصنع فيما رسم من ذلك بديهاً على وزن قطعة كانت تغنى فى ذلك
الوقت، فصنعت:

أمعننى فيمن هويت جهالةً	انظر بعين العدل فيمن تعذل
أرأيت دريأقاً كبرد رضاها	بعث الصدى وهو الرحيق السلسل
وكحية وكعقرب فى خدها	أبدأ تسى فعالمها وتقبل
تحيا إذا ما باشرت فم عاشق	وإذا تقابل من بعيد تقتل

قال: ثم صنعت:

وخريدة بيضاء ليلة هجرها	من شعرها وجبينها من وصلها
رقت مواشطها على وجناتها	صوراً تعبدنى الغرام لأجلها
أو ما عجبت لحية فى جنة	دونى تفوز بمائها وبظلمها
فحذار منها ما استطعت فقبلها	مكرت بآدم أختها فى مثلها

قال: ثم صنعت أيضاً:

يا ضرة القمرين فى شرفيهما	من أى شىء منك لم أتعجب
أقبلت مثل الشمس فى غسق الدجى	وحملت صباحاً ضاحكاً عن كوكب
من حيث لا ماء الشباب مكدر	كلا ولا برق السلاف بخلب
كتبت بخديك المواشط فتنةً	عمت عموم هواك من لم يكتب
وكأنما رقم الجمال بكفه	وجه الضحى بحريرة من غيب
جاء الكلیم بأية من حية	وأراك جئت بجية وبعقرب

وصنع شهاب الدين ابن أخت الوزير النجم من قصيدة، وأنشدنيها لنفسه:

خود جلا غرتها شعرها	بدر بهى فى ظلام يهيم
يطيب ذكر الشعر من لفظها	كأنما ذاك النسيب النسيم
قد رقت وجننها أرقما	بالمسك فى مذهب ثوب طميم
ما ذاق من قابله غفوة	واعجباً من ساهر بالرقيم
مرسلة بالحسن قد أظهرت	فى نار إبراهيم آى الكلیم

وصنع القاضى أبو العباس أحمد بن القطرسى وأنشدنيها:

فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد ١٩٣

وغادة زينت بأفعى مسك على خدها المصون
فقلت يغنيك سحر لحظ أنفذ سهماً من المنون
قالت رأيت القلوب ليست تطيق ما فيه من فتون
فصاغها الحسن فوق خدى تلقف السحر من جفونى

وأنشدنى القاضى أبو الحسن بن النبيه لنفسه:

وغادة قالت وفى خدها حية مسك سلبتنى المنام
حمرة خدى إذا قارنت سواد أصداغى هام الهوام
أما ترى الحية تسعى إلى النا ر إذا ما أضرمت فى الظلام

وأنشدنى أيضاً لنفسه:

فى ورد خديك بدت عقرب وحية تلسع جانبيها
يقول من بات سليماً بها يا ويح من أصبح حاويها
وصنع المخلص أبو العباس أحمد ابن بنت الفقيه أبى الطاهر بن عوف وأنشدنيه:

حمت ورد خديها بأفعى وعقرب فردت يدى جانيه عن جلناره
أليس محياها المزخرف جنةً فلا غرو أن حفت لنا بالملكاه

وقال أيضاً - رحمه الله تعالى -:

سألتها تصفح عن هفوة من عاشق أقسم ألا يعود
فصورت ملغزة حية وعقرباً من فوق ورد الخدود
فكان تصحيف الذى ألغزت خيفة أن يفهم عنها الحسود
غفرت ما أسلف فلتهنهه جنّة وصلى بعد نار الصدود

وأنشدنى الرضى بن أبى حفصة الأحطب لنفسه:

قالوا نرى عقرباً قد قابلت أفعى فى خد ظبية أنس قط ما ترعى
فقلت لما بدا سحر الجفون لها جاءت له حية فى خدها تسعى
وتلك عقرب خديها فلا برحت لا أنها العقرب المؤذى بها طبعاً
فانظر إلى حية مع عقرب ظهرت بروض وجنتها لم يقتلا شرعاً
وزادتنا حسنهما نفعاً فواعجباً من أهل ضر لها قد أظهروا النفعاً

١٩٤ فى بدائع بدائه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد

لو لم يكن ريقها الترياق ما سلمت وكان لأثمها لا يأمن اللسعا
فقل لمن سامنى ترك الغرام بها لم أسلها والذي قد أخرج المرعى

قال على بن ظافر: وصنعت:

قضيبي قدك هذا الرطب من هصره وخمر ريقك هذا العذب من عصره
وأطلس الخد من بالمسك صور فى محمره حبةً بالمسك مقتدره
يا حسنه أفعواناً لا يعرض وإن أضحى على عضه للعاشقين شره
فلا تظننه رقشاء لاسعة تنساب من وجهها فى روضة نضره
بل نفت الحاظها بالسحر خيل ثعب انا على خدها يلهى الذى نظره
يا ليت شعرى مع أنى الكليم هوى لم أظهرت آيتى الحاظها السحرة

قال: وقلت أيضاً:

وغادة رقمت فى خدها صوراً لتسلب الناس ألبابا وأذهانا
هل عقرب الصدغ خافت فتك أعيننا فاستنجدت عقرباً أخرى وثعبانا
أم العقارب والحيات قد ألفت من وجتيها بحكم الطبع بستانا

الباب الخامس

فى بقية بدائع البدائ

وفيه فصلان:

أحدهما: ما كان من البدائ باقتراح مقترح، كما تقدم فى أول الباب الرابع.
وثانيهما: ما ليس باقتراح مقترح.

الفصل الأول

فيما كان باقتراح مقترح

٣١٤ - فمن ذلك ما روى أن جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وهو مرثد بن عمرو بن عامر بن ماء السماء، وهو آخر ملوك جفنة بالشام، قال لحسان: حب هذا المدامة قد استحوذ على فبغضها إلى، فصنع حسان ارتجالاً:

ولولا ثلاث هن فى الكأس لم يكن لها ثمن من شارب حين يشرب
لها نزق مثل الجنون ومصرع دنى وأن العقل ينأى ويذهب

فقال: حرمتنى لذتها، فحببها إلى، فارتجل وقال:

ولولا ثلاث هن فى الكأس أصبحت من أكسد شى يستفاد ويحلب
أمانيتها والكأس يظهر طيبها على حزنها والهـم ينأى ويذهب
فأمر له جبلة بجائزة وحلة من حلله.

٣١٥ - ومن ذلك ما روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك فى بعض وفاداته عليه، فامتدحه فحباه وأكرمه وأحسن جائزته، فلما خرج من عنده ركب راحلته، وأنشد:

ما حملت ناقة من معشر رجلا مثلى إذا الريح ألقنتى على الكور
فأنهى ذلك إلى عبد الملك، فأرسل وراءه من رده، فلما دخل عليه قال: إيه يا
فرزدق! أنت الذى تقول: ما حملت ناقة... البيت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال:

لتخرجن منها يا ابن اللخناء أو لآتين عليك! فقال مرتجلاً:

إلا قريشاً فإن الله فضلها مع النبوة بالإسلام والخير
ترى وجوه بنى مروان مشرقة يوم السدى كشرفات الدنانير

فقال عبد الملك: أولى لك! ورضى عنه.

٣١٦ - ومن ذلك ما روى أن أبا الخطاب عمر بن عامر السعدى المعروف بابن الأشد، أنشد موسى الهادى:

يا خير من عقلت كفاه حجزته وخير من قلدته أمرها مضر
فقال له الهادى: إلا من؟ فقال واصلاً كلامه:

إلا النبى رسول الله إن له فخراً وأنت بذاك الفخر تفتخر
فظن الهادى والحاضرون أن البيت مستدرك، ونظر فى صحيفته فلم يجده، فأضعف صلته.

٣١٧ - وروى أن على بن جبلة الأعمى العكوك لقى طاهر بن الحسين وهو فى حراقة له، فقال له طاهر: إنك قد قلت فى أبى دلف:

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

فاصنع لى مثلهما ولك بكل بيت ألف، فصنع بديهاً:

عجبت لحراقة ابن الحسي ن كيف تعوم ولا تغرق
وبجران من تحتها واحد ومن فوقها آخر مطبق
وأعجب من ذاك أعوادها وقد مسها كيف لا تورق

فأمر له بثلاثة آلاف درهم، فأخذها وانصرف.

٣١٨ - وذكر الصولى فى كتاب الوزراء قال: حدثنا عيسى بن حماد قال: شرب الحسن بن وهب عند عبد الله بن طاهر، فعرضت سحابة، فأبرقت ثم أمطرت، فقال بعض من حضر المجلس: قل فى هذا شيئاً، فقال:

هطلتنا السماء هطلاً دراكا عارض المر زمان فيه السماكا

قلت للبرق إذ توقد فيها يا زناد السماء من أوراكا
أحيباً نأيته فجفاكا فهو ذا العارض الذى أبكاكا
أم تشبهت بالأمير أبى العبد أس فى جوده فلسـت هناكـا

٣١٩ - وذكر ابن المثنى قال: قلت لخالد الكاتب: أخبرنى عن قولك:

هذا حبيبك مطروق على كـمده حرى مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستبعداً دنفا كانت منيته فى عينه ويده

ألا قلت كما قال أبو نواس:

سماء مولاه لاستملاحه سمجاً فاختال عجباً بهذا الاسم وابتهجـا
ظبى كأن الثريا دون مفرقه والمشتري وضياء الشمس والسرجـا
محكم الطرف يدنى سيف ناظره إذا انتضاه لفتك قال لا حرجـا
لا فرج الله عنى إن مددت يدى إليه أسأله من حبه فرجـا

فصنع بديهاً:

قل لظبى كله حسن ارث لى من فعلك السمج
عينه سفاكة المهج من دمي فى أخرج الحرج
أسهرتنى وهى راقدة باحورار الطرف والدعج
لا أتأاح الله لى فرجـا يوم أدعو منك بالفرج

٣٢٠ - وروى أن أبا تمام لما أنشد أحمد بن المعتصم فى حياة أبيه بحضرة يعقوب بن

الصباح الكندى فيلسوف العرب قصيدته التى أولها:

ما فى وقوفك ساعة من باس تقضى رسوم الأربع الأدراس
وانتهى إلى قوله:

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس
قال له الكندى: ما زدت أن شبهت الأمير بصعاليك العرب، ومن هؤلاء الذين
ذكرت وما قدرهم؟ فأطرق أبو تمام يسيراً ثم أنشد:

لا تعجبوا ضربى له من دونه مثلاً شروداً فى السدى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فجن الحاضرون استحساناً مما أتى به، وأجزل أحمد صلته. ولما خرج قال ابن الصباح: إن هذا الفتى قصير العمر؛ لأنه ينحت من قلبه، فكان كذلك.

٣٢١ - وروى حماد بن أحمد الكندى، قال: كان على بن الجهم يقع فى مروان بن أبى الجنوب ويثلبه، حسداً له على قبوله ومنزلته عند المتوكل، فقال له المتوكل يوماً: أيكما أشعر يا على؟ وأراد أن يغرى بينهما، فقال على: أنا أشعر منه، فقال: ما تقول يا مروان؟ فقال: كل أحد أشعر منى، وإذا أصيب عرضى فى أمير المؤمنين لا أبلى، فقال المتوكل: هذا عدول عن الجواب، قد زعم أنه أشعر منك، فإن كان صادقاً قد مناه عليك، وإلا فبرهن عن نفسك، فقال مروان: يا على، أنت أشعر منى؟ قال: أو تشك فى ذلك؟ قال: لشد ما شككت! قال: فالتاس يعلمون صدقى، قال: فأمر المؤمنين بيننا، قال: إنه يميل إليك، فقال المتوكل: هذا من عيِّك يا على، ثم التفت إلى حمدون بن عيسى وقال له: اقض بينهما، قال: ما لى ولماضى الأسد! فقال المتوكل: قد أبحت كلاً منكما هجاء صاحبه، فليين عن نفسه، فقال على: إنه قد كظنى النبذ فما أقدر على قول الشعر حتى أفيق، فقال مروان: لكننى أقدر يا أمير المؤمنين، قال: قل وعجل، قال:

إن ابن جهم فى المغيب يعينى	ويقول لى حسناً إذا لاقانى
ويكون حين أغيب عنه شاعراً	ويضل عنه الشعر حين يرانى
وإذا خلونا ناك شعرى شعره	ونزا على شيطانه شيطانى
عظمت حواياه وأربى بطنه	فكأئما فى بطنه ولدان
إن ابن جهم ليس يرحم أمه	لو كان يرحمها لما هاجانى

فضحك المتوكل والندامى وانخزل ابن الجهم، فقال المتوكل: بحياتى زد ما حضرك، فقال:

بنت جهم يا عليه	صرت بعدى قرشيه
قلت ما ليس بحق	اسكتى يا حلقيه
اسكتى يا بنت جهم	اسكتى يا نبطييه

فجعل المتوكل يضحك ويضرب الأرض برجله، فقال ابن الجهم: لعمري إن هذا

الشعر يشبه قائله، فقال مروان: صدقت إنه لزل، ولكننى أجد بك، ثم قال:

لعمرك ما جهم بن بدر بشاعر وهذا على نجله يدعى الشعرا
ولكن أبى قد كان جاراً لأمه فلما ادعى الأشعار أوهمنى أمرا

ففضحه فى ذلك المجلس، ولم يحرج جواباً، إلا أنه قال بعد ذلك بيتين يعنيه بهما، وهما:

بلاء ليس يشبهه بلاء عداوة غير ذى حسب ودين
ييحك منه عرضاً لم يصنه ويرتع منك فى عرض مصون

٣٢٢ - قال على بن ظافر: ولما قدم مؤيد الدولة بن ركن الدولة أتى على الحسن ابن بويه الديلمى إلى بغداد فى حياة والده وعمه معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه ليعقد على ابنته زبيدة، قدم معه الصاحب أبو القاسم بن عباد، وهو يومئذ فى حداثة سنه وريعان عمره، وفى هذه السنة كتب كتاب الروزنامة إلى الأستاذ الرئيس أبى الفضل بن العميد، وفى فصل منه ما معناه: أنه حضر عند الأستاذ أبى محمد المهلبى فى ليلة طلعت نجوم سعدى، وأنجزت بها سجع المسرة صادق وعدى، وألحت الكؤوس خاطف برقها، وأسمعت المثانى حثيث رعدى، فجعلوا يتنقلون فى شجون المجون، ويعقدون نكاح ابن الغدير على ابنة الزرجون، فاقترح عليه المهلبى أن يصنع شعراً فى صفة هذا الحال، فقال بديهاً:

تركت لساقى الريح يا ابنة عرعر وزرت لصافى الراح حانة عكبرا
وقلت لعلج يعبد الراح زفها مشعشة قد شاهدت عهد قيصرا
فأوسعنى أساً وورداً ونرجساً وأسمعنى نايًا وطبلاً ومزهرا
هنالك أعطيت البطالة حقها وألفيت هتك الستر كنزاً ومفخرا
كأنى الصبا جريا إلى حومة الصبا أناغى صبيّاً من جليد مزنرا
فعانقته والراح قد أغبقت بنا وكررت تقبيلاً وقد أقبل الكرى
وصد عن العين النعاس وصدنى إلى أن تصدى الصبح يلمع مسفرا
وهبت شمال نظمت شمل بعثى فطارت بها عنى الشمل تطيرا
وكان الذى لولا الحيا لأذعته ولا عيش يصفو للفتى إن تسترا

٣٢٣ - وذكر القاضى أبو على التنوخى فى كتاب النشوان، قال: حدثنى أبو طاهر

٢٠٠ فى بقية بدائع البدائه

عبد العزيز بن حامد الواسطى الملقب سيدوك، قال: كنت بحضرة بعض الرؤساء فى مجلس شراب، فرمى إلى بنارنجة نصفها أخضر ونصفها أصفر، وقال: قل فى هذه شيئاً، فارتجلت:

وطيبة النشر مسكية	مرصعة بالسجايا الطياب
فأصفر فى لون شمس المسا	وأخضر فى لون قوس السحاب
فلون كوجنة مرعوبة	ولون كإثر نصول الخضاب
فهذا كمصة خد الحبيب	وذاك كما عل صرف الشراب

٣٢٤ - قال: وكنت أنا وأبو الفرج البيغاء نشاهد بركة ملئت، وجعل فوقها ورد وبهار وشقائق حتى غطى أكثر الماء، وحضر أبو على الهائم، فسأل أبا الفرج أن يعمل فى ذلك شيئاً، فعمل بحضرتنا وأنشد:

خجل الورد من جوار البهار	فمشى باحمراره فى اصفرار
وحكى الماء فيهما أحمر اليا	قوت حسناً مرصعاً بنضار
جمعاً بالكمال فى بركة تمت	مع حسناً نواظر الحضار
أضرم الماء بالشقيق بها النا	ر وعهدى بالماء ضد النار
فوجدنا أخلاق سيدنا الزهر	ر ذكاء يربى على الأزهار
ظلت منه ومن نداماه للأند	س نديم الشموس والأقمار

٣٢٥ - قال: وكنت بحضرة عضد الدولة فى مجلس أنس فى عشية من العشايا، فغنى له من وراء ستارة الخاصة صوت هو:

نحن قوم من قريش ما هممنا بفـرار

وبعده أبيات ركيكة، فقال: أتعرفون لمن هذه؟ فقال أبو عبد الله بن المنجم: بلغنى أن الشعر للمطيع بالله واللحن له، فقال لى: اصنع أبياتاً على وزنهما وقافيتها ليكون هذا اللحن المليح فى شعر جيد، فتباعدت عن المجلس، واستدعيت دواة ودرجاً وعملت:

أيهذا القمر الطـا	لع من دار القمارى
رائحاً من خيلاء الحسـ	ن فى أبهى إزار
والذى يجنى ولا يستـ	ببع ذنباً باعـتذار
أوضح العذر عذارا	ك على خلع العذار

أنا من هجرك فى بعد —————
فاستحسنها جداً، وأنشد:

نحن قوم نحفظ العهد —————
وغير السحب سحباً —————
أبدأ ننحدر للضيء —————
ف بدوراً من نضار

وبلغنى عن بعض أهل المجلس أنه أمر الستارة بنقل اللحن إلى هذا الشعر، فنقل
وغنى به، وبعد هذا أتممت أنا أبيات القصيدة وامتدحته بها.

٣٢٦ - قال على بن ظافر: وبالإسناد المتقدم ذكر صاحب اليتيمة ما معناه أن أبا
الحسن السلامى الشاعر دخل على الأمير عز الدولة أبى ثعلب فضل الله بن ناصر
الدولة بن عبد الله حمدان وبين يديه درع كأنما جمعت من عيون الدبى، أو غدير غضنت
وجهه الصبا، فقال له: صفها، فارتجل:

يا رب سابعة حبتنى نعمةً —————
أضحت تصون عن المنايا مهجتى —————
كافأتها بالسوء غير مفند —————
وغدوت أبذلها لكل مهند —————
فاستحسن بديهته وأحسن جائزته.

٣٢٧ - وذكر ما معناه أن السلامى سافر فى صباه إلى الموصل وبه جماعة من
الشعراء، فلما أنشدهم شعره اتهموه واستصغروا سنه واستعظموه، فقال لهم أبو عثمان
الخالدى: أنا أكفيكم أمره، ثم صنع دعوة وجمعهم بها، فلما اجتمعوا أخذوا فى سبر
صناعته، والبحث عن قدر بضاعته، فاتفق أن أمطرت السماء مطراً أشبه الثغور فى
لونها وبردها، وجانس بمنشوره منظوم عقدها، فبادر الخالدى فألقى عليه نارنجاً كأنه
كرات ذهب أو شعل لهب، ثم قال: يا أصحابنا صفوا هذا، فارتجل السلامى:

لله در الخالدى —————
أهدى لواء المزن عند —————
حتى إذا صدر العتا —————
بعثت إليه بعذره —————
لا تعذله فإنه —————
أهدى الخدود إلى الثغور

فاعترفوا بفضلہ، وعرفوا عند ذلك مقدار علمه وعقله.

٣٢٨ - وأخبرنى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال: أخبرنى الإمام الحافظ السلفى الأصبهانى - رحمه الله تعالى - قال: أخبرنى الرئيس أبو سعد محمد بن عقيل بن عبد الواحد الدسكرى فى سنة ست وتسعين وأربعمائة قال: حدثنى القاضى التنوخى قال: أصعد أبو الفرج البيغاء هو وجماعة من الشعراء الكبار يمتدحونه، فأخرج يوماً خازنه قدحاً من ياقوت أزرق، فملأه ماء وتركه يتشعشع، فقال له أبو الفرج: يا مولانا، ما رأيت أحسن من هذا! فقال: قل فيه شيئاً وهو لك، فقال أبو الفرج فى الحال:

كم منة للظلام فى عنقى	بجمع شمل وضيم معتنقى
وكم صباح للراح أسلمنى	من فلق ساطع إلى فلق
فعاظنيها بكراً مشعشة	كأنها فى صفائها خلقتى
فى أزرق كالهواء يخرقه اللحد	ظ وإن كان غير منخرق
كأن أجزاءه مركبة	حسناً ولطفاً من زرقه الحدق
ما زلت منه منادماً لعبا	مذ أسكرتها المدام لم تفق
تحتال قبل المزاج فى أزرق الـ	فجر وبعد المزاج فى شفق
أدهشها سكرنا فإن يكن الصم	ت حديثاً فذاك عن فرق
تغرق فى أبحر المدام فيسـ	تنقذها شربنا من الغرق
ونحن باللهو بين مصطبـح	يمرح أمنا وبين مغتـبق
فلو ترى راحتى وصبغتـها	فى لونـها فى معصفر شرق
لخلست أن الهواء لاطفنى	بالشمس فى قطعة من الأفق

فاستحسنها سيف الدولة وأعطاه إياه.

٣٢٩ - وذكر أن السرى الرفاء الموصلى دخل على أبى الحسن باروخ بن عبد الله صاحب ناصر الدولة بن حمدان، وبين يديه ستارة تستر من يجلس برسم الغناء، فأمره أن يصنع ما يكتب عليها، فصنع بديهاً:

تبين لى سبق الأمير إلى العلا	وما زال سباقاً إلى الفضل منعما
فصيرنى بين القيان إذا شدت	وبين نداماه حجاباً مكرما

فى بقية بدائع البدائه ٢٠٣

لأظهر من حسن الغناء محلاً وأستر من حسن الوجوه محرماً

٣٣٠ - وذكر العميد البخارى فى كتاب دمية القصر أن أبا الحسن أحمد بن على البستى أمر بهاء الدولة أن يعمل ما يكتب على تكة إبريسم، فقال ارتجالاً:

لم لا أتليه ومضجى بين الروادف والخصور
وإذا انسجمت فإننى بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة بأكف ربوات الخدور

٣٣١ - ومن ذلك ما روى ابن بسام فى كتاب الذخيرة، ورويته بالإسناد المتقدم، ورواه لى أيضاً جماعة من الأندلسيين متفرقاً أن أبا الفضل صاعداً اللغوى دخل على المنصور بن أبى عامر المعافى كفيل المؤيد بن الحكم بن الناصر الأموى والمتغلب على دولته، فأهدى إلى المنصور وردة منطبقة فى غير أوانها، فقال لصاعد: قل فيها شيئاً، فارتجل:

أتتك أبا عامر وردة يذكر المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكامها راسها
فأفرط المنصور فى استحسانها، فحسده ابن العريف أحد الندماء، وقال: إنهما ليسا له، وقد أنشدنيها بعض البغداديين بمصر لنفسه، وهما عندى على ظهر كتاب بخطه، فقال المنصور: أرنيه فخرج ابن العريف وركب، وجعل يحث حتى أتى مجلس ابن بدر - وكان أحسن أهل وقته بديهة - فوصف له ماجرى، فقال هذه الأبيات ودس فيها بيتى صاعد:

عشوت إلى قصر عباسية وقد جدل النوم حراسها
فقال أسار على هجعة فقلت نعم فرمت كاسها
ومددت يديها إلى وردة يحاكى لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكامها راسها
فوليت عنها على عفة وما خنت ناسى ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مشرقى، وتحيل حتى غير المداد، ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه على صاعد، وقال للحاضرين: غداً أمتحنه، فإن فضحه الامتحان لم يبق فى مكان لى فيه سلطان، فلما أصبح طُلب فحضر،

..... فى بقية بدائع البدائه
وأحضر جميع القدماء، فدخل به وبهم إلى مجلس حفل قد أعد فيه طبقاً عظيماً فيه
سقائف مصنوعة من جميع النوار، عليها لعب من ياسمين فى شكل الجوارى، وتحتها
بركة ماء قد ألقى فيها لؤلؤ مثل الحصباء، وفيها حية تسبح، فقال لصاعد: بلغنا أنك
تكذب فى شعرك، وقد وقفنا على حقيقة ذلك، وهذا يوم إما أن تسعد فيه عندنا وإما
أن تشقى، وهذا طبق ما أظنه حضر بين يدي ملك قبلى، فصفه حالاً، فقال صاعد
بديهاً:

أبا عامر هل غير جدواك واكف	وهل غير من عاداك فى الأرض
يسوق إليك الدهر كل غريبة	وأعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا	عليها فمناها عقر ورفارف
ولما تنهى الحسن فيها تقابلت	عليها بأنواع الملاهى الوصائف
وأعجب منها أنهم نواظر	إلى بركة ضمت إليها الظرائف
حصاها اللآلى سايح فى عبابها	من الرقش مسموم للعاين راجف
ترى ما تشاء العين فى جنباتها	من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع، وكتبها المنصور بخطه، وكان
إلى ناحية من تلك السقائف سقيفة فيها جارية من النوار تجدف بمجاديف من ذهب لم
يرها صاعد، فقال له المنصور: أجدت، إلا أنك لم تصف هذه الجارية، فارتجل:

وأعجب منها عادة فى سفينة	مكللة تصبو إليها المهاتف
إذا راعها موج من الماء تتقى	بسكانها ما أنذرتة الرواجف
متى كانت الحسناء ربان مركب	تصرف فى الكفين منها المجاذف
ولم تر عينى فى البلاد حديقة	زهتها أزهير الربا والزخارف
ولا غرو أن شافت معاليك روضة	تقلبها فى الراحتين الوصائف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع	ورضى ذرتها من سطاك العواصف
إذا رمت قولاً أو طلبت بديهة	فكلنى لها إنى لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب، وأجرى عليه فى كل شهر ثلاثين ديناراً،
وألحقه فى ديوان الندماء.

المعروف بالترنجان، فرمى به، وأشار إليه أن يقول فيه، فارتجل:

لم أدر قبل ترنجان عبثت به أن الزمرد أغصان وأوراق
من طيبه سرق الأترج نكهته يا قوم حتى من الأزهار سراق
كأنما الحاجب المنصور علمه فعل الجميل فطابت منه أخلاق
من ليس يقعه عن سؤدد قدم ولا تقوم له فى سوء ساق
٣٣٣ - وروى أيضاً قال: دخل صاعد اللغوى على بعض أصحابه فى مجلس
شراب، فملاً الساقى قدحاً من إبريق، فتكونت قطرة من الراح فى فم الإبريق ووقفت
ولم تبرح، فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك، فقال بديهاً:

وقهوة من فم الإبريق صافية كدمع مفجوعة بالإلف معبار
كأن إبريقنا والراح فى فمه طير تزقق ياقوتاً بمنقار
وقد أخذه من قول الشريف أبى البركات على بن الحسن العلوى:

كأن ريح الروض لما أتت فتت علينا مسك عطار
كأنما إبريقنا طائر يحمل ياقوتاً بمنقار
٣٣٤ - وذكر ابن بسام أيضاً أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلةً عند الحاجب بن أبى
عامر المظفر بن المنصور بن أبى عامر بقرطبة، فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ظريفة
الخلق، ولم تزل تسهر فى خدمتهم إلى أن هم جند الليل بالانهزام، وأخذ فى تقويض
خيام الظلام، وكانت تسمى أسيماء، فعجب الحاضرون من مكابذتها السهر طول ليلاً
على صغر سنّها، فسأله المظفر وصفها، فصنع ارتجالاً:

أفدى أسيماء من نديم ملازم للكئوس راتب
قد عجبوا فى السهاد منها وهى لعمرى من العجائب
كيف تجافى الرقاد عنها فقلت لا ترقد الكواكب

٣٣٥ - وذكر ابن بسام أيضاً أنه كان يوماً مع جماعة من الأدباء عند القاضى ابن
ذكوان، فجئى بباكورة باقلاء، فقال ابن ذكوان: لا ينفرد بها إلا من وصفها، فقال ابن
شهيد: أنا لهما، وارتجل:

إن لآلىك أحدثت صلفاً فاتخذت من زمرد صدفا
تسكن ضراتها البحور وذى تسكن للحسن روضة أنفا

هامت بلحف الجبال فاتخذت من سندس فى جناها لحفا
شبهتها بالشغور فى لطف حسبك هذا من رمز من لطف
حاز ابن ذكوان فى مكارمه حدود كعب وما به وصفا
قدم در الرياض متخباً منه لأفراس مدحه علفا
أكل ظريف وطعم ذى أدب والفول يهواه كل من ظرفا
رخص فيه شيخ له حسب فكان حسبي من المنى وكفى

٣٣٦ - قال ابن بسام: وحكى أن جماعة من أصحاب ابن شهيد قالوا له: يا أبا عامر، إنك لآت بالعجائب، وجاذب بذوائب الغرائب، ولكنك شديد الإعجاب بما يأتى منك، هاز لعطفك عند النادر يتاح لك، ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا، وكان الذى طلبوه منه زبدة التعنيت؛ لأن المعنى إذا كان جلفاً ثقیلاً على النفس، قبيح الصورة عند الحس، كلت الفكرة عنه وإن كانت ماضية، وأساءت القرينة فى وصفه وإن كانت محسنة، وكان فى المجلس باب مخلوع معترض على الأرض، ولبد أحر مبسوط قد صففت نعالهم عند حاشيته، فقال مسرعاً:

وفتية كالنجوم حسناً وكلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض كأنه الصارم الصقيل
راموا انصرافى عن المعالى والحد من دونها كليل
فالشد فى أمرها فسيح كل كثير له قليل
فى مجلس زانه التصابى وطاردت وصفه العقول
كأنما بابيه أسير تعرض من دونه النصول
يراد منه المقال قسراً وهو على ذاك لا يقول
ينظر من لبده لدينا بجر دم تحتنا يسيل
كأن أخفافنا عليه مراكب ما لها دليل
ضلت فلم تدر أين تجرى فهى على شطه تقيل

فعجب القوم من أمره، ثم خرج من عندهم، فمر على بعض معارفه من الطوافين وبين يديه زنبيل ملآن حرشفاً، فجعل يده فى الجام بغلته وقال: لا أتركك حتى تصف الحرشف، فقد وصفه صاعد فلم يحسن، فقال له ابن شهيد: ويحك! أعلى مثل هذه الحال؟ قال: نعم، فثنى رجله ثم قال:

هل أبصرت عيناك يا خليلى قنافذاً تباع فى زنبيل
 كأنها أنياب بنت الغول لو نخست فى أست امرئ ثقيل
 لقفزته نحو أرض النيل ليست ترى طى حشا منديل
 نقل السخيف المائق الجهول وأكل قوم نازحى العقول
 أقسمت لا أطعمها أكلى ولا طعمتها على شمول

٣٣٧ - وأنبأنى الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن بن المقدسى، عن أبى القاسم
 مخلوف بن على القيروانى السرقسطى، عن الحميدى قال: ذكر أبو عامر بن سلمة أن
 إسحاق بن إسماعيل المنادى حضر مجلساً من أهل الأدب، فدخل عليهم فتى يكنى أبا
 الوليد، وبيده تفاحة غضة، فتنافسوا فيها، وجعل كل يستهديها، فقال: لا يستحقها
 بالأصالة إلا من وصفها فأحسن وصفها، فقال المنادى: هاتها فأنا زعيم بما أردته فيها،
 فأعطاه إياها، فقال:

مجال العين فى ورد الخدود يذكر طيب جنات الخلود
 وأطيب ما تمنى النفس إلف يجدد وصله بعد الصدود
 وآرجة من التفاح تزهو بطيب النشر والحسن الفريد
 فقلت لها فضحت المسك طيباً فقلت لى بطيب أبى الوليد

٣٣٨ - وروى ابن بسام فى كتاب الذخيرة، ورويناه بالإسناد المتقدم قال: حدث
 أبو عبد الله الصفار الصقلى قال: كنت ساكناً بصقلية وأشعار ابن رشيق ترد علىّ،
 فكنت أتمنى لقاءه حتى قدم الروم علينا، فخرجت فاراً بمهجتي، تاركاً لكل ما ملكت
 يدي، وقلت: أجمع بأبى علىّ، فبرقة شمائله، وطيب مشاهدته، سيذهب عنى بعض
 ما أجد من الحزن على مفارقة الأهل والوطن، فجئت القيروان، ولم أقدم شيئاً على
 الدخول إلى منزله، فاستأذنت ودخلت، فقام إلىّ وهو ثانى اثنين، فأخذ بيدي وجعل
 يسألنى، فأخبرته بأمرى فارتفض، وبعد أن تمكن أنسى بمجالسته، قال لى يوماً: يا أبا عبد
 الله، إن هاهنا بالقيروان غلاماً قد سلب كبدي، واستولى هواه على خلدى منذ عشرة
 أعوام، فانهض بنا إليه، فإن أنت ساعدتني عليه قدمت عندي يداً لا يعدها إلا رضا،
 فقلت: سمعاً وطاعة، وسرت معه حتى جئنا صاغة الجوهريين، فإذا غلام كأنه بدر تمام،
 صافى الأديم، عطر النسيم، كأنما يسم عن در، ويسفر عن بدر، قد ركب كافور عارضيه
 مسك صدغيه، على بياض يجرحه الوهم بخاطره، ويدميه الطرف بناظره، فأنشدته قول

إنه من علامة العشاق اصفرار الوجوه عند التلاقى
وانقطاع يكون من غير عى وولوع بالصمت والإطراق
فقال لى: والله ما واجهته قط قبل يومى هذا إلا غشى علىّ، ولكنى أنست بك،
وشغلت بعذوبة لفظك، مع أنى لم أرو طرفى عن وجهه المقمر، ولا تمتعه بقده المثمر،
لتنكيسه رأسه عند طلوعى إليه، فقلت: ولم ينكس رأسه؟ فوالله ما رأيت أشبه بالبدر
منه خدًا، وبالغصن قدًا، ولا بالدرد ثغرًا، ولا بالمسك شعرًا! فقال: يا أبا عبد الله، ما
أبصرك بمحاسن الغلمان، لا سيما من فضضت كف الجمال صفحته، وذهبت وجتته،
وخافت على تفاح خده العيون، فوكلت بها الجفون، يا أبا عبد الله، ينكس رأسه لأنى
علقتة وخده هلالى، وطرفه غزالى، وفرعه ظلامى، ولحظه بايلى، وقده قضيبى، وردفه
كثيبى، وخصره ساجى، وصدره عاجى، فكان طرفى يشوب كافوره بالعقيق، فيحرج
لذلك صدر العشيق، حتى بدا عذاره فأبدى من نيمه نفشا على فضى أديمه، فتوهم
لذلك الطاهر الأعراق، الطيب الأخلاق، أن ذلك مما يضعف قوى محبته، ويمحو رسوم
مودته، فقلت له: بحقى عليك يا أبا علىّ، ألا قلت فى هذا المعنى شيئًا! فأطرق قليلاً ثم
أنشد:

وأسمر اللون عسجدى	يكاد يستمطر الجهما
ضاق بجمال العذار ذرعًا	كالمهر لا يعرف اللجاما
ونكس الرأس إذ رآنى	كأبّة واكتسى احتشاما
وظن أن العذار ممّا	يزيح عن قلبى الغراما
وما درى أنه نبات	أنبت فى جسمى السقاما
وهل ترى عارضيه إلا	حمائل حملت حساما

وهذا كما قال ابن المعتز:

ومستحسن وصلى جعلت وصاله شعارى فما أنفك دأبًا أو اصله
كأن بعينه إذا ما أدارها حساما صقيلاً والعذار حمائله

٣٣٩ - قال على بن ظافر: وذكر أن أبا على حسن بن رشيق دخل على المعز بن
باديس يوماً وفى يده أترجة كأنها واسطة ذهب، أو جذوة لهب، فأشار إلى وصفها،

فارتجل:

أترجة سبطة الأطراف ناعمة تلقى النفوس بحظ غير منحوس
كأئما بسطت كفا لخالقها تدعو بطول بقاء لابن باديس
٣٤٠ - وذكر ابن رشيقي فى كتاب الأتموزج أن كتاب الخراج بالقيروان اجتمعوا
فى الديوان يوماً، فوكت بينهم جرادة، فوضعها بعضهم فى يده وقال: من يصفها؟
فقال عبد الكريم بن إبراهيم النهشلى: قد علمتم أنى امرؤ مرؤ، ولست بصاحب
بديهة، فبدرهم يعلى بن إبراهيم الأريسي وهو أصغرهم سنًا إذ ذاك، فقال:

وخيفانة صفراء مسودة القرا أتك بلون أسود تحت أصفر
وأجنحة حمر كأمثال رذنة تقاصر عن أطراف برد محبر
٣٤١ - وروى أن الشيخ أبا الحسن على بن عبد الرحمن الصقلى دخل على بعض
الرؤساء وبين يديه طبق قد ملئ وردًا أحمر وأبيض، فاستدعى منه وصفه، فقال بديهة:

كأئما الورد الذى نشره يعبق من طيب معانيكا
دماء أعداك مسفوكه قد قارنت بيض أياديكا
٣٤٢ - وذكر صاحب الدمية الباخريزى أن الشريف محمد بن على بن الحسين
الهمدانى قال: دخلت على عمى الرئيس أبى الحسن وقد دخل عليه غلام فحياه
بنرجسة، فقال لى: قل فيه شيئًا صفه به، فقلت:

ومكحل بالسحر أحور شادن حيا بنرجسة أوان بكور
فكأنه وكأنها فى كفه بدر يريك التبر فى الكافور
وتركبت فوق الزبرجد حلقة تحكى فتور اللحظ من مخمور
٣٤٣ - قال على بن ظافر: وبالإسناد المتقدم عن ابن بسام فى كتاب الذخيرة أن
أبا الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمى البغدادى حضر مجلس المعز بن باديس يوماً،
وبالمجلس ساق وسيم، قد مسك عذاره ورد خديه، وعجزت الراح أن تفعل فى الندمان
فعل عينيه، فأمر المعز بوصفه، فقال بديهة:

ومعذر نقش الجمال بمسكه خدًا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه من نرجس جعل النجاد بنفسجا
٣٤٤ - قال على بن ظافر: ذكر ابن خاقان فى كتاب قلائد العقيان ما معناه قال:

حضر الأستاذ أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى عند المأمون ابن ذى النون ببعض
متنزهاته، فى يوم طاب نسيمه، وسرت بالسعود نجومه، والروض قد أجاد وشبه راقمه،
والماء قد جرت بين الأعشاب أراقمه، وثم بركة مملوءة، كأنها مرآة مجلوة قد اتخذت
سباع الطير بشاطها غاباً، ومجت بها من سائح الماء لعباً، لا تزال تقذف الماء ولا تفر،
وتنظم لآلى الحباب بعدما تنثر، فأمره بوصف ذلك الموضع الذى تحب إليه ركاب
القلوب وتوضع، فقال بديهاً:

يا منظرًا إن نظرت بهجته	ذكرنى حسن جنة الخلد
تراب مسك وجو عنبرة	وغيم ند وطل ما ورد
والماء كاللازورد قد نظمت	فيه الالآلى فواغر الأسد
كأنما جائل الحباب به	يلعب فى جانبيه بالنرد
تراه يزهو إذ يحل به الـ	مأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله إن بدا به قمرًا	تأ بدا فى مطالع السعد
كأنما ألبست حدائقه	ما حاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها وأمطرها	بوابل من يمينه رغد

٣٤٥ - وأخبرنى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال: أخبرنى
أبو محمد عبد الله بن مروان بن أبى الحجاج بن على القضاعى قال: اقترحت على أبى
محمد عبد الجبار بن أبى بكر بن حمديس الصقلى الأزدي، وقد وقف ليودعنى، وكنت
عازماً على سفر، أن يصنع لى أبياتاً غزلية فى الوداع، فصنع فى الحال وقال:

ولما رأت طير الفراق نواعباً	وقد هم بالتوديع كل مودع
شكت ما شكا المحزون من غربة	وأبكت لها عينى غزال مروع
ولم أر فى خد يزرر قبلها	من الغيد شمساً فى غمامة برقع
وقد سفرت عن برقع عبر الأسى	لعينى بها عن وجد قلب مفجع
وأقبل در البحر من فوق نحرها	يصافحه من خدها در مدمعى
فيارب إن البين أختت صروفه	على ومالى من معين فكن معى
على قرب عذالى وبعد أحبتي	وأمواء أجفانى ونيران أضلعي

٣٤٦ - قال على بن ظافر: وبالإسناد المتقدم روى ابن بسام فى كتاب الذخيرة ما
معناه، قال: دخل الوزير أبو العلاء زهر بن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر، على

الأمير عبد الملك بن رزىن فى مجلس أنس، وبين يديه ساق يسقى خمريين من كأسه ولحظه، ويبدى درين من حبابه ولفظه، وقد بدا عذاره فى صفحة ضده، وكمل حسنه باجتماع الضد مع ضده، فكانه بسحر لحظه أبدى ليلاً فى شمس، وجعل يومه فى الحسن أحسن من أمس، فسأله ابن رزىن أن يصنع فيه، فقال بديهاً:

تضاعف وجدى إذ تبدى عذاره	وتم فخان القلب منى اصطباره
وقد كان ظنى أن سيمحق ليله	بدائع حسن هام فيها نهارة
فأظهر ضد ضده إذ وشت به	بعنبره فى صفحة الخد ناره
وزاد بجفنيه ذبولاً بنرجس	زهافيه لما أمه جلناره

واستزاده فقال بديهاً:

محيت آية النهار فأضحى	بدر تم وكان شمس نهارة
كان يغشى العيون نوراً إلى أن	شغل الله خده بالعذار

ثم استزاده فقال:

عذار ألم فأبدى لنا	بدائع كنا لها فى عما
ولو لم يحن النهار الظلا	م لم يستن كوكب فى السما

ثم استزاده فقال:

تمت محاسن وجهه وتكاملت	لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر استنار جماله	فى أن تكنفه غمام أزرق

٣٤٧ - وأنبأنى العماد أبو حامد قال: ذكر لى صفوة الدين النابلسى أن الأمير أبا الحسن على بن منقذ كان راكباً فى جماعة منهم ابن حيوس، فنزلوا بروضة غناء فيها شقائق وأقحوان فاستحسنوها وقالوا: ننظم فيها شعراً، وقالوا للأمير: ابدأ أنت، فقال فى الحال:

كان الشقائق والأقحوان	خددود تقبلهن الشغور
فهاتيك ينجلنهن الحياء	وهاتيك يضحكنهن السرور

٣٤٨ - قال العماد: وذكر لى أن معز الدولة - قال على بن ظافر: يعنى تمال بن صالح الكلابى صاحب حلب - جلس على نهر قويق زمن المد وقد خيم به، فذكر ابن النوت الشاعر وهو الرضى عبد الواحد بن الفرج بن النوت المعرى، وذكر سرعة بديهته

واقتراده على الارتجال، فأرسل إليه على البريد فحضر، فقال بديهاً:

رأيت قويقاً إذ تجاوز حده له زجل فى جريه وضجيج
وكان ثمال جالساً بشفيره فشبهته بجرراً لديه خليج
فقال معز الدولة: قد زعم الحلبيون أن هذا ليس بشعرك - وكان فيهم ابن سنان
الخفاجى - فإن قلت بديهة أعطيتك جوائزهم، ثم نظر إلى غرابين على نشز، فقال:
صفهما، فقال:

يا غرابين أنتما سبب البي من فكيف اجتمعتما بمكان
إنما قد وقفتما فى خلو فى فراق الأحباب تشتوران
فاحذرا أن تفرقا بين إلفي من فما تدريان ما يلقيان
٣٤٩ - قال على بن ظافر: وكان أبو سعد الخير البلسى الشاعر كثير الذهول،
مفرط النسيان، ظاهر التغفل، على جودة نظمه، ورطوبة طبعه، وكان كثيراً ما يسلك
سكة الخفافين على بغلته، فاتخذت البغلة النفور من أطراف الأدم وفضلات الجلود
الملقاة فى السكة عادة لها، فعبر السكة يوماً مع أصحابه راجلاً، فلما رأى الجلود الملقاة
نفر ونكص على عقبه، فقال له أصحابه: ما هذا أيها الأستاذ؟ فقال: البغلة نفرت بى،
فعجبوا من تغفله كيف ظن مع ما يقاسيه من ألم المشى أنه راكب، وأن حركته
الاختيارية منه هى حركة البغلة الاضطرارية له، فكان تغفله ربما أوقعه فى مهمة عند
من لا يعرفه، واقترح عليه بعض الأمراء أن يضع بيتين أول أحدهما كتاب وآخره
ذيب، وأول الثانى جوارح وآخره أنابيب، فصنع بديهاً:

كتابى نجيع لاح فى حومة الوغى وقارنه نسر هناك وذيب
جوارح أهليه حروف وربما تولته من نقط الطعان أنابيب
٣٥٠ - قال على بن ظافر: وذكر لى بعض أصحابنا ما معناه أن القاضى الموفق
محمود بن قادوس دخل على الأمير فرج الظهر، فعرض عليه دبوس صينى الحديد،
عديم النظير والنديد، لا تحصن منه خوذة ولا نثرة، ولا تقال لضربته عثرة، تجفل
لصولته آساد الحرب إجحاف الأنعام، وتتضاءل لهيبته البيض حتى تعود أوهى من بيض
النعام، فأمره بوصفه، فقال على لسانه:

ما ضر من كنت فى الهيجاء عدته ألا يعوج على بيض ولا أسل

إذ لا تحصن منى البيض لابسها ولا الدرود ولا مستأخر الأجل
 ٣٥١ - قال على بن ظافر: ودخل أبو خالد بن صغير القيسرانى على الأمير تاج
 الملوك أبى سعيد نورى بن أتابك طغتكين صاحب دمشق، وبين يديه بركة فسيحة
 الفناء، صحيحة البناء، قد راق ماؤها وصفًا، وجر النسيم عليها ما رق من أذياله
 وصفًا، فهو تارة يرشف رضابها ويجعد ثيابها، وتارة يسبكها مبردًا ويحكىها مسردًا، فأمر
 بوصفها، فقال:

أو ما ترى طرب الغدير إلى النسيم إذا تحرك
 بل لو رأيت الماء يلعب فى جوانبه لسرك
 وإذا الصبا هبت عليه أتاك فى ثوب مفرك
 ٣٥٢ - وأخبرنى الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسى
 الحلبي الكاتب قال: أخبرنى القاضى كمال الدين أبو فخر عبد القاهر بن المهنا التنوخى
 المعرى المعروف بخصى البغل، قال: كنت بحماة، فأتيت حانوت رجل يعرف بالحكيم
 أبى الخير، فصادفت عنده رجلاً يعرف بالسديد، فطلبت منه يرنية ورد مربى، فقال: لن
 تراها حتى تقول فى شعراً، فقلت: أما المدح فلا، وأما الهجاء فنعم، فقال: هات،
 فقلت:

أبو الخير أبى الخير فلا خير ولا مير
 ضئيل ناحل الجسم ولكن كله أير
 فقال: اصنع فى السديد، وكان كبير الأنف، فقلت:

كما أن سديد الدين أنف بس لا غير
 تراه بين عينيه كناقوس على دير
 فقال: وفيك أيضاً، فقلت:

فخذها من خصى البغل كمثل البرق فى السير
 ٣٥٣ - قال على بن ظافر: ودخل الأعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن رافع
 ابن بلال الفزارى، فعرض عليه سيفاً قد نظم الفرند فى صفحته جوهره، وأزكى الدهر
 ناره وجهد نهره، وألبسه من جلد الأفاعى رداء، وجسمه ردى أو داء، لا يمنع من
 برقه بدر مجن ولا ثريا مغفر، ولا يسلم من حده من ثبت، ولا ينجو لطوله من فر،
 وهو ييكى للنفاق ويضحك، ويرعد للغيط ويفتك، فأمره بصفة شأنه، فقال بديهاً على

أروق كما أروع فإن تصفنى فإنى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوط الدهر حتى نقلت إلى بلال عن مدافع
وقال أيضاً:

رب يوم له من النقع سحب ماله غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدى وكأنى فى راحة الشمس برق
وقال فيه:

أنا فى الكريهة كالشهاب الساطع من صفحة تبدو وحد قاطع
فكأنما استملت لك وهذه من وصف كف بلال بن مدافع
وقال أيضاً:

انظر لمطرده المياه بصفحتى ولنار خدى كم لها من صال
قد عاد شدى فى المضايق شيمتى كبلال بن مدافع بن بلال
٣٥٤ - وسأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلاً ولوناً، وشق ليلاً
من الشعر جوناً، فقال:

ومتيم بالآبنوس وجسمه عاج ومن أدهانه شرفاته
كتمت دياجى الشعر منه بدرها فوشت به للعين عيوقاته
وقال فيه:

وأبيض ليل الآبنوس إذا سرى تمزق عن صبح من العاج باهر
وإن غاص فى بحر الشعور رأيته تبشرنا أطرافه بالجواهر
وقال فيه:

ومشرق يشبه لون الضحى حسناً ويسرى فى الدجى الفاحم
وكلماً قلب فى لمة أضحكها عن ثغر باسم

٣٥٥ - قال: وجلس بمصر فى دار الأنماط يوماً مع جماعة، فمرت بهم امرأة تعرف
بأبنة أمين الملك، كشمس تحت سحاب الثقاب، وغصن فى أوراق الشباب، فحدقوا
إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب، والمريض إلى الطبيب، فجعلت تتلفت تلفت ظبي

مذعور، أفرقه القانص فهرب، وتثنى ثنى غصن ممطور، عانقه النسيم فاضطرب، فسأله وصفها، فقال: هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطان الأزدي القيروانى:

أعرضن لما أن عرضن فإن يكن حذراً فأين تلفت الغزلان
ثم صنع فقال:

لها ناظر فى ذرى ناضر كما ركب السن فوق القناة
لوت حين ولت لنا جيدها فأى حياة بدت من وفاة
كما دعر الظبى من قانص فمر وكرر فى الالتفات
ثم صنع بديهاً:

ولطيفة الألفاظ لكن قلبها لم أشك منه لوعة إلا عتا
كملت محاسنها فود البدر أن يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت يا مؤيساً يا مطعماً قل لى متى
قالت أنا الظبى الفريد وإنما ولى وأوحش نبوة فتلفتا

٣٥٦ - قال على بن ظافر: وحضر يوماً عند بنى خليف بظاهر الإسكندرية فى قصر رسا بناؤه وسما، وكاد يمزق بمزاحمته أبواب السما، وقد ارتدى جلابب السحاب ولاث عمائم الغمام، وابتسمت ثنايا شرفاته، واتسمت بالحسن حنايا غرفاته، وأشرق على سائر نواحي الدنيا وأقطارها، وحبته السحاب بما ائتمنت عليه من ودائع أمطارها، والرميل بفنائها قد نشر تبره فى زبرجد كرومه، والجو قد بعث إليه لطيمة نسيمه، والنخل قد أظهرت جواهرها، ونثرت غدائرها، والطل ينثر لؤلؤه فى مسارب النسيم ومساحبه، والبحر يرعد غيظاً من عبث الرياح به، فسئل وصف ذلك الموضع الذى تمت محاسنه، وغبط به ساكنه، فجاشت لذلك لجج بحره، فألقت إليه جواهرها لترصيع لبة ذلك القصر ونحره، فقال:

قصر بمدرجة النسيم تحدث فيه الرياض بسرهما المستور
خفض الخورنق والسدير سموه وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية وأقام فى أرض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وجهه فافتقر عن نور يروق ونور
فألروض يسحب حلة من سندس تزهو بلؤلؤ طله المنثور

والنخل كالغيد الحسان تقرطت بسبائك المنظوم والمنثور
والرمل فى حبك النسيم كأنما أبدى غصون سواف المهجور
والبحر يرعد متنه فكأنه درع يشن بمعطفى مقرر
وكأننا والقصر يجمع شملنا فى الأفق بين كواكب وبدور
وكذاك دهر بنى خليف لم يزل يثنى المعاطف فى حير حبور

٣٥٧ - وأخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى الإسكندرى النحوى بما هذا معناه، قال: كنت مع الأعز بن قلاقس فى جماعة، فمر بنا أبو الفضائل بن فتوح المصرى وهو عائد من المكتب، ومعه دواته، وهو فى تلك الأيام قرة العين ظرفاً وجمالاً، وراحة القلب قريباً ووصالاً، كل عين إلى وجهه محدقة، ولمشهد خديه بخلق الخجل محملقة، فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه، فصنع بديهاً:

علقته متعلقا بالخط منعكفا عليه
حمل الدواة ولا دوا لعاشق يرجى لديه
فدماء حبات القلـو ب تلوح صبغا فى يديه
لم أدر ما أشكو إليه أهجره أم مقلته
والحب يخرسنى على أنى الكع سيبويه
مـالى إذا قابلته شغل سوى نظرى إليه

٣٥٨ - وأخبرنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن على اليحصبى القرمونى بدمشق قال: اصطحبت أنا والوزير أبو عبد الله محمد بن الشيخ الأجل أبى الحسن بن عبد ربه حفيد صاحب كتاب العقد فى مركب إلى الإسكندرية، فلما قربنا منها هاج علينا البحر حتى أشرفنا على الغرق، فلاح لنا ونحن على هذا الحال منار إسكندرية، فسررنا برؤيته، وطمعنا فى السلامة، فقال لى: لا بد أن أعمل فى المنارة شيئاً، فقلت له: أعلى مثل هذا الحال الذى نحن فيه؟! قال: نعم، فقلت: فاصنع، فأطرق ثم عمل:

لله در منار الإسكندرية كم يسمو إليه على بعد من الحدق
من شامخ الأنف فى عرينه شمم كأنه باهت فى دارة الأفق
يكسر الموج منه جانبى رجل مشمر الذيل لا ينجو من الغرق
لا يبرح الدهر من ورد على سفن ما بين مصطبـح منها ومغتبـق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته كموقع النوم من أجفان ذى أرق

تهوى إليه وعنه الفلك طائرة بمثل أجنحة صيغت من الخرق
كأنه وعليه الفلك حائمة برج الحمام فمن آت ومنطلق

٣٥٩ - وأخبرنى القاضى الأسعد بن الخطير رحمه الله قال: أمرنى الملك العزيز رحمه الله تعالى أن أصنع له فى فرس أشهب قطعةً أشبهه فيها بالقمر فى لونه وسرعته، وقال رحمه الله: إن الناس شبهوه بالشهاب، والقمر أسرع جرياً منه، فصنعت فى الحال:

وأشهب يقطع عر ض الأرض فى لمح البصر
ما مثله فى لونه وجريه إلا القمـر

٣٦٠ - وأخبرنى القاضى الأسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث قال: اجتمعنا ليلة عند القاضى محبى الدين ولد قاضى القضاة صدر الدين بن درباس - رحمه الله - فتذاكرنا البديهة، فاقترح على أن أصنع له فى شمة كانت بين أيدينا، فصنعت:

وأنيسة باتت تساهر مقلتى تبكى وتبدى فعل صب عاشق
سرقت دموعى والتهاب جواغى فغدا لها بالقط قطع السارق
٣٦١ - وأخبرنى الشريف أبو الفضل جعفر الشاعر المنبوز بالقرطم، قال: لقيت القاضى النفيس أبا العباس أحمد بن عبد الغنى القطرسى، وأنا عائد من الحمام، ومعى سطل نحاس أحر، فمر بنا بعض الشعراء، فسألتهما أن يصنعا شعراً فى صفة السطل، فصنع النفيس بديهاً:

أنا كافل للرى إن بخل الحيا ومهدى الحميا من مراشفى اللعس
إذا حملتنى راحة فكأننى هلال منير حامل كرة الشمس
٣٦٢ - قال على بن ظافر: دخلت مع جماعة من أصحابنا على صديق لنا نعوده، وبين يديه بركة قد راق مأوها، وصحت سماؤها، وقد رص تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضار، وملاً بالحاسن عيون النظار، فكأنما رفعت صوالج فضة على كرات من النصار، فأشار الحاضرون إلى وصفها، فقلت بديهاً:

أبدعت يا ابن هلال فى فسقية جاءت محاسنها بما لم يعهد
عجباً لأمواء الدساتير التى فاضت على نارنجها المتوقد
فكأنهن صوالج من فضة رفعت لضرب كرات خالص عسجد
٣٦٣ - قال: ومن أعجب ما دهيت به ورميت، إلا أن الله بفضله نصر، وأعطى

الظفر، وأعان خاطرى الكليل، حتى مضى مضاء السيف الصقيل، أنى كنت فى خدمة مولانا الملك العادل خلد الله ملكه بالإسكندرية سنة إحدى وستمئة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب، ودخلت سنة اثنتين ونحن مقيمون بالخدمة، مرتضعون لأفوايق النعمة، فحضرت مع من حضر للهناء من الفقهاء، والعلماء، والمشايخ، والكبراء، وجماعة الديوان والأمراء، فى يوم من أيام الجلوس للأحكام، والعرض لطوائف الأجناد بالتمام، فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من العسكر إلا حضر مهنتاً، ومثل شاكراً وداعياً، فلما غص المجلس بأهله، وشرق بجمع الناس وحفله، وخرج مولانا السلطان - خلد الله ملكه - إلى محله، واستقر فى دسسته، أخرج كتاباً ناوله إلى الصاحب الأجل صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته وكبير حملته، وهو مفضوض الختام، مفكوك الفدام، ففتحه فإذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم - أبقاه الله - كتبها إليه يتشوقه ويستعطفه لزيارته ويرققه، ويستحث عود ركابه إلى الشام للمثاغرة بها وقمع عدوها، ويعرض بذكر مصر وشدة حرها، ووقد جمرها، وذلك بعد أن كان وصل إلى خدمته بالثغور، ثم رجع:

أروى رماحك من دماء عداكا	وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولاً كالسعالى شزباً	واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الأبطال كل سميدع	يفرى بعزمك كل من يشناكا
واستعرف السمر اللدان وروها	واسق المنية سيفك السفاكا
وسر الغداة إلى العداة مبادراً	بالضرب فى هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فإنها	مشتاقة أن تبتنى بعلاكا
فالغز فى نصب الخيام على العدا	تردى الطغاة وتدفع الملاك
والنصر مقرون بهمتك التى	قد أصبحت فوق السماك سماكا
فإذا عزمت وجدت من هو طائع	وإذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر فى الأعداء يوم كرية	أحلى من الكأس الذى رواكا
والعجز أن تمسى بمصر مخيماً	وتحل من تلك العراض عراكا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى	مصر لكى نخطى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبى عليك بجرقة	شغفاً ولا حر البلاد هناكا
وانهض إلى راجى لقاك مسارعاً	فمنأى من كل الأمور لقاكا
وابرد فؤاد المستهام بنظرة	وأعد عليه العيش من رؤياكا

واشف الغداة غليل صب هائم أضحى مناه من الحياة منكا
فسعادتى بالعدل الملك الذى ملك الملوك وقارن الأفلاك
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة وجعلت فى كل الأمور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها، وجلا منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها، أخذوا فى استحسان نظامها، وتناسق غريب الثامها، والثناء على الخاطر الذى نظم محكم آياتها، وأطلع من مشرق فكره آياتها، فقال السلطان، خلد الله ملكه: نريد من يجيب عنها بأبيات على قافيتها، فالتفت مسرعاً إلى وأنا على يمينه، وقال: يا مولانا، مملوكك فلان وهو فارس هذا الميدان، والمعتاد للتخلص فى مضايق هذا الشأن، ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه، وألقاه إلى، وعمد إلى دواته فأدارها بين يدي، فقال السلطان - خلد الله ملكه -: على مثل هذه الحال؟ قال: نعم، أنا جربته فوجدته متقد الخاطر، حاضر الذهن، سريع إجابة الفكر، فقال السلطان: وعلى كل حال، قم إلى هاهنا لتكف عنك أبصار الناظرين، وتنقطع غاغاء الحاضرين.

وأشار إلى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو منفرد به، فقامت وقد فقدت رجلى الخزالاً، وذهنى اختلالاً، لهيبة المجلس فى صدرى، وكثرة من حضره من المترقبين لى، المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بى، فما هو إلا أن جلست حتى ثاب إلى خاطرى، وانثال الشعر على ضمائرى، فكنت أرى فكرى كالبازى الصيود، لا يرى كلمة إلا أنشب فيها منسره، ولا معنى إلا شك فيه ظفره، فقلت فى أسرع وقت:

وصلت من الملك المعظم تحفة ملأت بفاخر درها الأسلاك
أبيات شعر كالنجوم جلالة فلذا حكى أوراقها الأفلاك
عجباً وقد جاءت كمثلى الروض إذ لم تذوها بالحر نار ذاك
جلت الهموم عن الفؤاد كمثلى ما تجلو بغرة وجهك الأحلاك
كقميص يوسف إذ شفت يعقوب ريد هاه شفتنى مثله رياك
قد أعجزت شعراء أهل زماننا حسناً فلم لا تعجز الأملاك
ما كان هذا الفضل يمكن مثله أن يحتويه من الأنعام سواك
لم لا أغيب عن الشأم وهل له من حاجة عندي وأنت هناك
أم كيف أخشى والبلاد جميعها محمية فى جاه طعن قناك
يكفى الأعادى حر بأسك فيهم أضعاف ما يكفى الولى نداك

مازرت مصر لغير ضبط ثغورها
أم البلاد علا عليها قدرها
طابت وحق لها ولم لا وهى قد
أنا كالسحاب أزور أرضاً ساقياً
مكشى جهاد للعدو لأننى
لولا الرباط وفضله لقصدت بال
ولئن أتيت إلى الشام فإنما
إنى لأمنحك المحبة جاهداً
فافخر فقد أصبحت بى وبأسك ال
لا زلت تقهر من يعادى ملكنا
وأعيش أنظر ابنك الباقي أبا
فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
لا سيما مذ شرفت بخطاكا
حوت المعلى فى الفخار أخاكا
حيناً وأمنح غيرها سقياكا
أغذوه بالرأى السديد دراكا
سير الحثيث إليك نيل رضاكا
يحشنى شوقى إلى لقياكا
وهوإى فيما تشتهيه هواكا
حامى وكل مملك يخشاكا
أبداً ومن عاداك كان فداكا
وتعيش تخدم فى السعود أباكا

ثم عدت إلى مكاني، وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس الأبيض وروضتها، فلما رآنى السلطان - خلد الله ملكه - قد عدت قال: أعملت شيئاً؟ ظناً منه أن العمل فى تلك اللمحة متعذر، وبلوغ الغرض فيها غير متصور، فقلت: نعم، فقال: أنشدنا، فصمت الناس، وحدثت الأبصار، وأصاحت الأسماع، وظن الناس بى الظنون، وترقبوا منى ما يكون، فما هو إلا أن توالى إنشادى حتى صفقت الأيدى إعجاباً، وتغامزت الأعين استغراباً، وحين انتهيت إلى ذكر مولانا الملك الكامل بأنه المعلى إذ ضربت قداحهم، وسردت أمداحهم، اغرورقت عيناه لذكره، وبان منه مخفى المحبة، فأعلن بسره، وحين انتهيت إلى آخرها فاض دمعته ولم يمكنه دفعه، فمد يده مستدعيًا للورقة، فناولتها إلى يد صاحب، فناولها له ثم نهض.

وإنما حمل صاحب على هذا الفعل الذى غرر بى فى التعريض له أمور كان يقترحها علىّ، فأنفذ فيها بين يديه، ويخف الأمر منها على لدالتى عليه، منها أننى كنت معه فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بدمشق، فورد كتاب من الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماة، وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره، فتشاغل بتسويد كتابة جوابه، فلما كتب بعضه التفت إلى وقال: اصنع أبياتاً أكتبها إليه فى صدر الجواب، وأذكر فيها شعره، فقلت له: على مثل هذا الحال؟ قال: نعم، فقلت: بقدر ما أنجز بقية النسخة:

أيا ملكاً قد أوسع الناس نائلاً وأغرقهم بذلاً وعمهم عدلاً
فدينك هب للناس فضلاً يزينهم فقد حزت دون الناس كلهم الفضلاً
ودونك فامنحهم من العلم والحجا كما منحتهم كفك الجود والبذلاً
إذا حزت أوفى الفضل عفواً فما الذى تركت لمن كان القريض له شغلاً
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصداً لبابك أن يأتى به قل أو جلاً
فلا زلت فى عز يدوم ورفعته تحوز ثناء يملأ الوعر والسهلاً

٣٦٤ - قال: وكنت عند المولى الملك الأشرف أبقاه الله تعالى فى سنة ثلاث وستمئة بالرها، وقد وردت إليه فى رسالة، فجعلنى بين سمعه وبصره، وأنزلنى فى بعض دوره بالقلعة، بحيث يقرب عليه حضورى فى وقت طلبتى، أو إرادة الحديث معى، فلم أشعر فى بعض الليالى - وأنا نائم فى فراشى - إلا وهو قائم على رأسى، والسكر قد غلب عليه، والشموع تزهو بين يديه، وقد حفت به مماليكه كأنهم الأقمار الزواهر فى ملابس كرياض ذات أزاهر، فقمتم مروعاً، فأمسكنى وبادر بالجلوس إلى جانبى، ومنعنى من القيام عن الوساد، وأبدى من جميله ما أبدلنى بالنفاق بعد الكساد، ثم قال: غلبنى الشوق إليك، ولم أرد بإزعاجك التثقيب عليك، ثم استدعى من بمجلسه من المغنين فحضرُوا، وأخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذاً، ويجعل القلوب من الوجد جذاذاً، وكان له فى ذلك الوقت مملوكان هما نيرا سماء ملكه، وواسطتا در سلكه، وقطبا فلك طربه وزهوه، وركنا بيت سروره ولهوه، وكانا يتناوبان فى خدمته، فحضر أحدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر، وكان كثيراً ما يداعبنى فى شأنهما، ويستدعى منى القول فيهما، والكلام فى التفضيل بينهما، فصنعت فى الوقت:

يا مالگًا لم يحك سيرته ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا تفديك أنفسنا فى الليل بين الشمس والقمر
فطرب وأمر فى الحال باستدعاء الغائب منهما، فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيراً، ومعاففه تكسيرا، فقلت بين يديه بديهاً فى صفة المجلس:

سقى الرحمن عصراً قد مضى لى بأكناف الرها صوب الغمام
وليلاً باتت الأنوار فيه تعاون فى مدافعة الظلام
فنور من شموع أو ندامى ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه سقاة مثل أقمار التمام

كالـريـح لم تؤثـر عـندى ملامـته
فقم أدر شـراباً لـذت مـرارته
قد جلت الـدياجى عـننا إنارتـه
فما السـرور عـندى إلا إدارتـه

وأنفذته إليه وهو فى مجلس أنسه مع مملوك لى للوقت، فعاد مخلوعاً عليه خلعة خاصة.

الفصل الثانى

فيما وقع من بدائع البدائـه من غير اقتراح

٣٦٦ - روى أن مرة بن محكان السعدى سعد تميم قدم بين يدى مصعب بن الزبير أيام ولايته العراق لأخيه عبد الله بن الزبير - وأظن ذلك بعد وقعة الحرة ودخول مصعب البصرة - فأمر رجلاً من بنى أسد بقتله، فقال مرة بن محكان بديهاً:

بنى أسد إن تقتلونى تحاربوا تميماً إذا الحرب العوان اشمعلت
ولست وإن كانت إلى حبيبة بباك على الدنيا إذا ما تولت

٣٦٧ - وذكر الطبرى أن الوليد بن عبد الملك - أو سليمان - مضى إلى الحج، فلما وصل إلى المدينة أتى له بجماعة من أسرى الروم، ففرقهم على أشرفها ليقتلوهم، فأعطى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أسيراً منهم ليقبله، فقام وحسر عن ساعديه، وطلب سيفاً فلم يجسر أحد أن يعطيه سيفاً، فناوله بعض الحرس سيفاً كليلاً، فضرب به الأسير ضربة أطارت رأسه وبعض كتفه، فعجب الناس وقالوا: ما قطعها إلا حسبه، ثم أعطى أسيراً لجريز، فقام إليه فدس إليه بعض بنى عبس سيفاً صارماً، فضرب به الأسير فأطار رأسه، ثم أعطى أسيراً للفرزدق، فدس اليه بعض بنى عبس سيفاً كهاماً، فلما ضرب به الأسير نبا، فضحكوا وخجل الفرزدق، ثم قال: يا أمير المؤمنين، هبه لى، ففعل، فأعتقه ثم قال مرتجلاً يعتذر ويعير بنى عبس:

فإن يك سيف خان أو قدر نبا لتأخير نفس حينها غير شاهد
فسيف بنى عبس وقد ضربوا به نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحيانا مناط القلائد

عيرهم بنو سيف ورقاء بن زهير بن جذيمة عن رأس خالد بن جعفر الكلابى قاتل

..... فى بقية بدائع البدائه
أبيه زهير، وقد كان ضربه عدة ضربات، وهو ملق نفسه على زهير، فلم يصنع شيئاً،
وفى ذلك يقول جرير يهجو الفرزدق:

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
فأجابه الفرزدق بقوله:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم
٣٦٨ - وروى أنه سكر يوماً فتكشف، فمرت به امرأة، فسخرت منه، فأنشأ يقول:

وأنت لو باكرت مشمولةً صهباء مثل الفرس الأشقر
عدت وفى رجلك ما فيهما وقد بدا هنك من المئزر
٣٦٩ - وروى أبو الغراف قال: إن الحجاج قال لجرير والفرزدق وهو فى قصره
يجزى البصرة: اثنيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية، فلبس الفرزدق الديباج والخز،
وقعد فى قبة، وشاور جرير دهاة بنى يربوع وشيوخهم، فقالوا: ما لباس آبائنا إلا
الحديد، فلبس رعاءً، وتقلد سيفاً، وتأبط رحماً، وركب فرساً لعباد بن الحصين الحبطى،
وأقبل فى أربعين فارساً من بنى يربوع، وجاء الفرزدق فى هيئته، فقال جرير:

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحاً كرج وخلاخله
أعدوا مع الخز الملاب فإغما جرير لكم بعل وأنتم حلائله
ثم رجعا، فوقف جرير فى مقبرة بنى حصن، ووقف الفرزدق فى المربد.

٣٧٠ - وروى أن الحجاج لما أتى بالحكم بن المنذر الجارود قال: أنت الذى قال
فيك الشاعر:

يا حكم بن المنذر الجارود سرادق العز عليك ممدود
قال: نعم، قال: والله لأجعلن سرادقك السجن، فقال الحكم مرتجلاً:

متى ما أكن فى السجن فى حبس ماجد فإنى على ريب الزمان صبور
فلو كنت خفت النكت والغدر لم أجب دعاك ولو منك الأمان غرور
لقد كنت دهرأ لا أخوف بالتى أخاف ولا يسطو على أمير

فقال الحجاج: لله أبوك! إن زعارة العرب لبينة فيك، خلوا سبيله.

٣٧١ - وروى عن عبد الأعلى الشيبانى أن حماد عجرد ومطيع ابن إياس اجتماعاً

في مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة للسفاح، فتمازحا، فقال حماد:

يا مطيع يا مطيع أنت إنسان رقيق
وعن الخير بطيء وإلى الشر سريع
فقال مطيع:

إن حماداً لئيم سافلة الأصل عديم
لا تراه الدهر إلا بهن العير يهيم
فقال له حماد: ويحك! أترميني بدائك! والله لولا كراحتي لتمادى الشر ولجأ الهجاء
لقلت لك قولاً يبقى، ولكن لا أفسد مودتك، ولا أكافئك إلا بالمدح، ثم قال:

كل شيء لي فداء لمطيع بن إياس
رجل مستملح في كل لين وشماس
عدل روحى بين جنبى وعينى ورأسى
غرس الله له كبدى أو فى غراس
ذاك إنسان له فضـ ل على كل أناس

٣٧٢ - وروى إسحاق الموصلى أن يحيى بن زياد الحارثى قال لمطيع بن إياس:
امض بنا إلى فلانة صديقتى، فإن بينى وبينها مغاضبة لتصلح بيننا، ولكن - والله -
بئس المصلح أنت! فدخلوا إليها، وجعلوا ملياً يتعاطبان ومطيع ساكت، حتى إذا أكثرا قال
له يحيى: ما يسكتك أسكت الله نأمتك! فقال مطيع:

أنت معتلة عليه وما زل مهينا لنفسه فى رضاك
فأعجب يحيى ما سمع وهش، فقال مطيع:

فدعاه وواصله ابن إياس جعلت روحه الغداة فداك
فقام يحيى بوسادة فى البيت، فما زال يصدع بها رأسه ويقول: ألهذا جئت بك يا ابن
الزانية! ومطيع يغوث والجارية تضحك منهما.

٣٧٣ - وروى أن أبا دلامة تاب وعزم على الحج، فلما صار بطبرتاباذ لقيه عالج
من الخمارين الذين كان يألفهم اسمه أبو بشر، فدعاه إلى منزله وأضافه وأحضر له
نبيذاً، فامتنع أبو دلامة منه وأخبره بتوبته وما عزم عليه، فقال العالج: إنه مطبوخ،
فشرب منه، فلم يلبث أن دبث فيه سورته، فرفع عقيرته وأشد:

٢٢٦ فى بقية بدائع البدائه

سقانى أبو بشر من الراح شربةً لها سورة ما ذقتها لشراب
وما طبخوها غير أن غلامهم مشى فى نواحي كرمها بشهاب
٣٧٤ - وروى أنه كان منحرفاً عن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن
العباس، فاتفق أن خرج المهدي إلى الصيد ومعه على وأبو دلامة، فرمى المهدي ظبياً
عنّ له، فأنفذ مقاتله، ورمى على بن سليمان فأصاب كلباً من كلاب الصيد، فارتجل
أبو دلامة:

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فـؤاده
وعلى بن سليمان ن رمى كلباً فـصاده
فهنيئاً لهما كـل فتى يأكل زاده
فخجل على بن سليمان، وضحك المهدي وأمر له بجائزة.

٣٧٥ - وذكر دعبل بن على قال: كان لأبى الشمقمق على بشار مائتا درهم فى
كل سنة، فأتاه أبو الشمقمق فى بعض السنين، فقال: هلم الجزية يا أبا معاذ، فقال:
ويحك! أوجزية هى؟ قال: نعم هو ما تسمع، فقال له بشار يمازحه: أنت أفصح أو
أحكم منى؟ قال: لا، قال: فلم أعطيك؟ قال: لئلا أهجوك، قال: لئن هجوتنى
لأهجونك، قال أبو الشمقمق: أو هكذا هو؟ قال: نعم، فقل ما بدا لك، فقال أبو
الشمقمق:

إنى إذا ما شاعر هاجانيه ولج فى القول له لسانيه
أدخلته فى أمت أمه علانيه بشار يـا بشار ...
وأراد أن يقول: يا ابن الزانية، فوثب إليه بشار وأمسك فاه، ثم قال: أراد والله أن
يشتمنى، ثم دفع إليه مائتى درهم وقال: لا يسمع هذا منك الصبيان.

٣٧٦ - وروى أن أبا نواس لما وفد على الخصب قال له مرة يمازحه وهو بالمسجد
الجامع: أنت غير مدافع فى قول الشعر، ولكنك لا تخطب، فقام من فوره وصعد المنبر
وأشدد مرتجلاً:

محضتكم يا أهل مصر نصيحتى ألا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية أكل لحيات البلاد شروب
فإن يك باق سحر فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت إليه وقال: لا يأتى بها والله خطيب مصقع، فاعتذر إليه، وحلف أنه إنما

٣٧٧ - وروى أنه كان تنزه مرة مع عيسى بن الرشيد بالقفص فى أواخر شعبان، فلما كان فى اليوم الموفى ثلاثين، قيل لأبى نواس: هذا يوم شك، وبعض الناس يصومه احتياطاً، فقال: ليس الشك حجة على اليقين، حدثنا أبو جعفر يرفعه إلى النبى ﷺ أنه قال: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، ثم التفت إلى عيسى وارتجل:

لو شئت لم نبرح من القفص نشربها همراء كالقفص
نسرق هذا اليوم من شهرنا فالله قد يعفو عن اللص

٣٧٨ - وذكر يزيد بن أبى اليسر الرياضى فى أمثاله قال: حدثنا أبو سهل الحاسب ونحن معه فى بعض حوانيت الفسطاط، قال: كان أكثر قعود الحسن بن هانئ فى هذا الحانوت، فمر به فى بعض الأيام ابن عبد الحكم، وكان فى يده سوط، فسلم علينا به، فقال الحسن:

سلم السوط إذ مررت علينا فعلى السوط لا عليك السلام
فقال ابن عبد الحكم لمن معه: من هذا؟ ف قيل: هذا الحسن بن هانئ، فرجع إليه ونزل واعتذر، فقبل الحسن بن هانئ عذره وألطفه.

٣٧٩ - وذكر أبو الفرج فى كتاب القيان والمغنين أنه كان بالكرخ مغن يقال له: أبو عمير، وكان له قيان حسان، وكان عبد الله بن محمد - أظنه التيمى - قد عشق جارية منهن يقال لها: عبادة، فكان يغشى منزله وينفق فيه، ثم أضاق إضاقة شديدة حملته على الانقطاع عنهم، وكره أن يقصر عما كان عليه من برهم، ثم نازعته نفسه إلى لقائها وزيارتها، فاتاها فأصاب عندها جماعة ممن كان يألف منزل مولاهما، فرحبت به الجارية وسيدها، واستبطنوا زيارته وعاتبوه على تأخره عنهم، فجعل يمججم فى عذره ولا يصرح، فلما سكر رفع عقيرته منشداً:

لو تشكى أبو عمير قليلاً لأتيناه من طريق العيادة
وقضينا من الزيارة حقاً ونظرنا لمقلتى عبادة
فقال له أبو عمير: ما لى ولك يا ابن أخى! انظر إلى مقلتى عبادة كيف شئت غير ممنوع، ولا تتمنى لى المرض.

٣٨٠ - وذكر أيضاً فيه برواية تتصل بعلى بن هشام قال: قدمت على جدتى شاهك

من خراسان، فقالت لى: اعرض علىّ جواريك، فعرضتهن عليها، ثم جلسنا على الشراب، ومتيم تغنى، فأطالت جدتى الجلوس عندنا، فلم أنبسط للجوارى إجلالاً لها، فأخذت الدواة وصنعت فى الحال، وكتبت به رقعة ورمت بها إلى متيم:

أنبقى على هذا وأنت قريبة وقد منع الزوار بعض التكلم
سلام عليكم لا سلام مودع ولكن سلام من محب متيم
فأخذته ثم نهضت إلى الصلاة، وعادت وقد صنعت لحناً فغنته، ففطنت جدتى،
وقالت: أظن أننا ثقلنا عليكم، وأمرت الخدم فحملوا محفتها، وأمرت للجوارى
بصلات، وأمرت لمتيم بثلاثين ألف درهم.

٣٨١ - أنبأنى الفقيه النبيه أبو الحسن المفضل على بن الحسين المقدسى، عن الفقيه
أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد
السرقسطى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى الحافظ، قال: أخبرنا أبو
العباس البغدادى، قال: حدثنا أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيرى، حدثنا أبو
سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافى، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن
السرى الزجاج، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، قال: لما وصل المأمون إلى
بغداد وقر بها، قال ليحيى بن أكثم: وددت لو وجدت رجلاً مثل الأصمعى ممن يعرف
أخبار العرب وأيامها وأشعارها، فيصحبنى كما صحب الأصمعى الرشيد، فقال يحيى:
هاهنا شيخ يعرف هذه الأخبار يقال له: غياث بن ورقاء الشيبانى، قال: أحضره، فلما
حضر قال له يحيى: إن أمير المؤمنين يرغب فى حضورك مجلسه، فقال: أنا شيخ كبير لا
طاقة لى بذلك؛ لأنه قد ذهب منى الأطيان، فقال له المأمون: لا بد من ذلك، فقال
الشيخ: فاسمع ما حضرنى، وأنشد اقتضاباً:

أبعد شيبى أصبو	والشيب للمرء حرب
شيب وسن وإثم	أمر لعمرى صعب
يا ابن الإمام فهلا	أيام عودى رطب
وإذ شفاء الغوانى	منى حديث وقرب
وإذ مشى قلـيل	ومنهل العيش عذب
والآن حين رأى بى	عواذى ما أحبوا
آليت أشرب راحا	ما حجج الله ركب

فقال المأمون: اكتبوها بالذهب، وأمر له بجائزة وتركه.

٣٨٢ - وبهذا الإسناد عن الحميدى، قال: أخبرنا أبو محمد على بن أحمد قال: أخبرنا عبد الله بن ربيع التيمى قال: حدثنا أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادي قال: حدثنى أبو معاذ عبدان الخويى المتطبب قال: دخلنا يوماً بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوذه وقد فليج، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل إليه، فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل! ثم أقبل علينا، فقال: ما تقولون فى رجل له شقان، أحدهما لو غرز بالمسال ما أحسن، والشق الآخر يمر به الذباب فيغو! وأكثر ما أشكوه الثمانون، ثم أنشدنا بيتاً من قصيدة عوف بن ملحـم الخزاعى، قال أبو معاذ: وكان سبب هذه القصيدة أن عوفاً دخل على عبد الله بن طاهر، فسلم عليه عبد الله فلم يسمع فأعلم بذلك، فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة وأنشد:

يا ابن الذى دان له المشرقان	طرا وقد دان له المغربان
إن الثمانين وبلغتها	قد أحوجت سمعى إلى ترجان
وبدلتنى بالشطاط الحنا	وكنت كالصعدة تحت السنان
وأبدلتنى من زمان الفتى	وهمتى هم الجبان الهدان
وقاربت منى خطأ لم تكن	مقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بينى وبين الورى	عنانة من غير نسج العنان
ولم تدع فى المستمتع	إلا لسانى وبحسبى لسان
أدعوبه الله وأثنى به	على الأمير المصعبى الهجان
فقربانى بأبى أنتما	من وطنى قبل اصفرار البنان
وقبل منعائى إلى نسوة	أوطانها حران والرقتان

٣٨٣ - وذكر أن تميم بن جميل التغلبى عاث ببعض الأعمال، فحمـله مالك بن طوق إلى المعتصم، فلما قدم بين يديه، وأحضر السيف والنطع لقتله، رآه المعتصم جميلاً وسيماً، فأحب أن يعلم كيف منطقـه، فقال له: تكلم، فقال بعد أن حمد الله تعالى ودعا للمعتصم: إن الذنوب تحرس الألسنة، وتعمى الأفئدة، وقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن، ولم يبق إلا العفو أو الانتقام، وأرجو أن يكون أقربهما منى وأسرعهما إليك، أشبهها بك، وأولاك يكرمك أليقهما بك، ثم ارتجل:

أرى الموت بين النطع والسيف كامناً
وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى
وأى امرئ يدلى بعذر وحجة
يعز على الأوس بن تغلب موقف
وما جزعى من أن أموت وإننى
ولكن خلفى صبية قد تركتهم
كأنى أراهم حين أنعى إليهم
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة
وكم قائل لا يبعد الله داره
يلاحظنى من حيثما أتلقت
ومن ذا الذى مما قضى الله يفلت
وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يسل على السيف فيه وأسكت
لأعلم أن الموت شىء مؤقت
وأكبادهم من حسرة تنفتت
وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
وأخر جذلان يسر ويشمت

فعفا عنه المعتصم وقلده عملاً. وهذه بديعة لو وقعت لمرو ثابت الجأش مع طول
المدة وحصول الأمن لكانت عظيمة، فكيف بالبديهة فى هذه الساعة التى يحول فيها
الجريض دون القريض، وحسبك بحال لم يقدر عبيد بن الأبرص فيها على الروية.
وكذلك على بن الجهم، قال ارتجالاً وقد صلب:

لم يغصبوا بالشاذياخ عشية الـ
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم
ما ضره أن بز عنه ثيابه
فالسيف أهول ما يرى مسلولا
اثنين مسبوقاً ولا مجهولاً
حسنًا وملء قلوبهم تبجيلاً

وهذا من أحسن شعره وأبدعه.

٣٨٤ - وروى عن خالد الكاتب أنه قال: دخلت الدير يوماً، فإذا أنا بشاب مغلول
مربوط إلى سارية، فملت إليه وسلمت عليه، فقال: من تكون؟ قلت: خالد الكاتب،
قال: صاحب المقطعات؟ قلت: نعم، قال: أنشدنى، فأنشدته:

ترشفت من شفثيه عقاراً
وعانت منه قضيباً رطيباً
وعاينت من حسنه فى الظلام
إذا ما تبدى نهاراً جهاراً
وقبلت من خده جلناراً
وردقاً مهيلاً وبدراً أناراً

فأطرق ثم أنشد:

رب ليل أمد من نفس العا
ونعيم ألد من وصل معشو
شق طولاً قطعته بانتخاب
ق تبدلته بسيوم عتاب

قال خالد: فوالله إنى منذ ثلاثين سنة لا أحسن إجازتهما.

٣٨٥ - وروى أبو الفرج أن شحنة بغداد كسر نبیذاً كثيراً حتى ملأ الطريق، فمر به بكر بن خارجة، فلما رآه جلس يبكى، فمر عليه بعض أصحابه، فسأله عن سبب بكائه، فقال بديهاً:

يا لقومى لما جنى السلطان لم يكن للذى أهان هوان
صبها فى الطريق من حلب الكر م عقاراً كأنها زعفران
صبها فى مكان سوء لقد أد رك سعد السعود ذاك المكان

قال الكرمانى: أنشدتها الجاحظ فقال: إن من حق الفتوة والمروءة ألا أكتبها إلا قائماً، فعمدته لأنه كان مفلوجاً حتى كتبها.

٣٨٦ - وذكر أن العباس بن إبراهيم الصولى كان قد ولى بعض النواحي للمتوكل، فأخرج إليه أحمد بن المدبر جملة كبيرة، وجلسا للمناظرة بين یدى المتوكل، ولم يكن إبراهيم من رجال أحمد فى كتابة الخراج، ولا واحد من رجاله فى البلاغة والشعر، فكاد يفتضح، فوقعت قضية للمتوكل أوجبت أن ارتجل إبراهيم:

صد عنى وصدق الأقوالا وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود وعلى وجهه رأيت الهلالا
فطرب المتوكل، وأقره على عمله، وسوغه ما عليه.

٣٨٧ - وذكر أبو الفرج فى كتاب القيان والمغنين أنه كان يعشق جارية لبعض الهاشميين يقال لها: أمل، فدعا إخواناً له من أجلاء الكتاب، ودعاها ودعا قياناً غيرها، فحضرُوا وتأخرت، فتغنص عليه يومه من أجلها، ثم جاءت فسرى عنه، وطرب وشرب، وكتب ارتجالاً:

ألم تريا يومنا إذ نأت فلم تأت من بين أترابها
وقد غمرتنا دواعى السرور بإلهائهما وبإطرابها
ومدت علينا خيام النعيم وكان المنى بعض أطنابها
ونحن فتور إلى أن دننت وبدر الدجى بين أثوابها
فلما نأت كيف كنا لها ولما دننت كيف صرنا بها

٢٣٢ فى بقية بدائع البدائ
وقرئت عليها الأبيات، فقالت: ليس الأمر كذلك، قد كنتم قبلى فى لذة، وإنما
تجملتم بهذا لما حضرت، فقال:

يا من حننى إليه ومن فؤادى لديه
ومن إذا غاب من بي منهم أسفت عليه
من غاب غيرك منهم فإذنه فى يديه
فرضيت عنهم، وأتموا يومهم.

٣٨٨ - وحكى أن على بن الجهم قال: كنت بين يدى المتوكل، وقد آتاه رسول
برأس إسحاق بن إسماعيل، فقال على بن الجهم يخطر بين يدى الرسول وهو يرتجز:

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفى من الغليل
برأس إسحاق بن إسماعيل

فقال المتوكل: التقطوا هذا الجوهر لا يضيع.

قال على بن ظافر: إسحاق بن إسماعيل هذا مولى لبنى أمية، خرج بتفليس فى سنة
سبع وثلاثين ومائتين، حين وثب أهل أرمينية بعاملهم من جهة المتوكل يوسف بن محمد
ابن يوسف، وتولى قتل إسحاق هذا بغا الكبير فى سنة سبع وثلاثين، ولم يكن بين
اغتيال المتوكل بعلى هذا الاغتيال وبين نفيه إلا نحو سنة؛ لأنه نفاه إلى خراسان فى سنة
ثمان وثلاثين.

٣٨٩ - وذكر ابن أبى طاهر فى أخبار بغداد عن محمد بن عبدوس الفارسى أنه
قال: سرت يوماً إلى على بن الجهم، فأنشدنى لنفسه فى العناق:

ولم أنس ليلاً ضمنا بعد فرقة وأدنى فؤاداً من فؤاد معذب
وبتنا جميعاً لو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تسرب
فانقدح زندى لإيراد مثله، فأطرقت وقلت بديهاً:

لا والمنازل من نجد وليتنا بفيد إذ جسدانا فى الهوى جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه سيراً فما أنفك لا خد ولا عضد
ما أنصفونى دعونى فاستجبت لهم حتى إذا قربونى منهم بعدوا

٣٩٠ - أنبأنى المقدسى، عن القيروانى، عن السرقسطى، عن الحميدى قال: حكوا

أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة كان أديباً شاعراً سريع البديهة، كثير النوادر من جلساء الأمير عبد الرحمن - ذكره غير واحد - وحكوا أنه دخل عليه فى يوم غيم، وبين يديه غلام حسن المحاسن، جميل الزى، لين الأخلاق، فقال له: ما يصلح ليومنا هذا؟ فقال: عقار تنفر الذبان وتؤنس الغزلان، وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخت على عنان التبسط، يديرها هذا الأغيد المليح، فضحك ثم أمر بالغناء وآلات الصهباء، فلما دارت الكتوس واستمطر الأمير نوادره واستطرد بوادره، وأشار إلى الغلام أن يلح عليه، فلما أكثر رفع رأسه إليه، وقال على البديهة:

يا حسن الوجه لا تكن صلفاً ما لحسان الوجوه والصلف
تحسن أن تحسن القبيح ولا ترثى لصب متيم دنف
فاستبدع الأمير بديهته، وأمر له ببدره، ويقال: إنه خيره بينها وبين الوصيف، فاختارها نفياً للظنة عنه.

٣٩١ - وذكر أن الخليفة حضر مجلس المتوكل فى جملة الندماء، وقد كبر سنه، وضعف جسمه، وبين يديه شفيح خادمه ينضد ورداً، وعليه قراطق مودة، ولم يكن فى عصره خادم أحسن منه، فأمره المتوكل أن يحويه بودة، ويغمز يده ليحرك خاطره، ففعل فارتجل:

وكالوردة البيضاء حيا بودة من الحمر يمشى فى قراطق كالورد
سقانى بعينيه وكفيه شربة فأذكرنى ما قد نسيت من العهد
له عبثات عند كل تحية بكفيه تستدعى الخلى إلى الوجد
سقى الله دهرًا لم أبت فيه ليلة من الدهر إلا من حبيب على وعد

٣٩٢ - قال على بن ظافر: وهذه الحكاية تشبه حكاية ذكرها الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان أوردتها هاهنا قاطعاً ترتيب الحكايات طلباً للمجانسة حتى إذا نجزت عدنا لترتيب الأخبار على ترتيب الأعصار، قال الفتح بن خاقان: أخبرنى الوزير أبو عامر ابن يشتغير أنه حضر مجلس القائد أبى عيسى بن لبون فى يوم سمرت فيه أوجه المسرات، ونامت عنه أعين المضرات، وأظهر سقاته غصونا تحمل بدوراً، وتطوف من المدام بنار مازحت من الماء نوراً، وشموس الكاسات تشرق فى أكف سقاتها كالورد فى السوسان، وتغرب بين أقاحى نجوم الثغور فتذبل نرجس الأجفان، وعنده الوزير أبو الحسن ابن الحاج اللورقى، وهو يومئذ قد بذل الجهد فى التحلى بالزهد، فأمر القائد

..... فى بقية بدائع البدائه
ساقيه أن يعرض عليه ذهب كاسه، ويحييه بزبرجد آسه، ويغازله بطرفه، ويميل عليه
بعطفه، ففعل ذلك عجلاً، فأنشد أبو الحسن مرتجلاً:

ومفهمف مزج الفتور بشدة وأقام بين تبذل وتمنع
يشنيه من فعل المدامة والصبا سكران سكر طبيعة وتصنع
والله لولا أن يقال هوى الهوى منه بفضل عزيمة وتمنع
لأخذت فى تلك السبيل بماأخذى فيما مضى ونزعت فيها منزعى

٣٩٣ - أخبرنا المسكى، عن السلفى، عن جعفر بن أحمد بن السراج، وابن يعلان
الكبير، قالوا: أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستاني، قال: أخبرنا أبو يعقوب
النجيرمى، حدثنا أبو الجود العروضى، عن جحظة اليرمكى، قال: حدثنا أبو عبادة
البحترى الشاعر - وكان المتوكل أدخله فى ندمائه - قال: دخلت على المتوكل يوماً،
فرأيت فى يديه درتين، ما رأيت أشرق من نورهما، ولا أنقى بياضاً ولا أكبر، فأدمت
النظر إليهما، ولم أصرف طرفى عنهما، ورأى المتوكل فرمى إلى التى كانت فى يده
اليمنى، فقبلت الأرض، وجعلت أفكر فيما يضحكه طمعاً فى الأخرى، فعن لى أن
قلت:

بسرمرنا إمام تغرف من كفه البحار
خليفة يرتجى ويخشى كأنه جنة ونار
الملك فيه وفى بنيه ما اختلف الليل والنهار
يداه فى الجود ضرطان هذى على هذه تغار
وليس تأتى اليمين شيئاً إلا أتت مثله اليسار

فرمى بالدرة التى كانت فى يده اليسار، وقال: خذها يا عيار.

٣٩٤ - وحكى النميرى قال: كنت عند الأمير عبد الله بن المعز وعنده قينة قبيحة
الصورة، فجعلت أتبرم بها، وجعل يظهر شغفاً بها وعشقا لها ليغايظنى بذلك، فلما
اشتد غيظى منه خلوت به فقلت له: نشدتك الله أيها الأمير، أعشقتها؟ فقال مضاحكاً:
نعم، فقلت: ألسنت ترى قبح وجهها وسماجة خلقها، فارتجل:

قلبى وثواب إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فياًباه
يهيم بالحسن كما ينبغى ويرحم القبح فـيهواه

فسكت عنه تعجباً من سرعة بديهته.

٣٩٥ - وروى أنه جاء يوماً إلى أبى العباس ثعلب أحمد بن يحيى وهو فى المسجد الجامع ليسلم عليه، فقام إليه هو والحاضرون، وأجلسه مكانه، فداس قلماً فكسره، فقال:

لكفى وتر عند رجلى لأنها أبادت قليلاً ما لأعظمه جبر
فعجبوا من بديهته وحسنها.

٣٩٦ - قال يزيد الرياضى فى كتابه فى الأمثال: سمعت أبا الطيب الكاتب يقول: ذكر المازرى أنه كان فى مجلس ابن المعتز و غلام على رأسه يذب، فوقعت المذبة على رأس بعض الجلوساء، فقال ابن المعتز:

قل لمن ذب ذب نفسك عنا حسبنا منك أو فحسبك منا
٣٩٧ - حدثنا المسكى بالإسناد المتقدم عن النجيرمى قال: حدثنا العروضى، عن الصولى وذكره. وبهذا الإسناد عن أبى الحسن بندقة، قال: أنشدنا عبد الله بن المعتز بيتى أبى نواس فى الخمر وهما:

وعاشق دنف نهته سحرأ فقام للكأس والصهباء فاصطبحا
ودارت الكأس من صهباء صافية فما حسا قدحا إلا بكى قدحا
فاستمد فكتب:

وقهوة كشعاع الشمس صافية مثل السراب يرى من دقة شبعا
إذا تعاطيتها لم تدر من دهش راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا
٣٩٨ - قال يزيد الرياضى: حدثنا أبو عبد الله الكرمانى قال: حدثنا الصولى قال: ذكر المرادى أنه كان فى بعض الأيام عند ابن المعتز على شراب، فأكثر القوم كلامهم، فقال:

إذا فتح القوم أفواههم لغير شراب ولا مطعم
فلا خير فيهم لشرب المدام فدعهم يناموا مع النوم
٣٩٩ - قال: وذكر المرادى أنه دخل إليه يهنيه ببرء من علة، فقال:

أتانى برء لم أكن واثقاً به كحل أسير فك بعد وثاقه

٢٣٦ فى بقية بدائع البدائه

وكان لأحد بنى المنجم جارية صفراء مولدة، فبلغ به الوجد بها إلى أن مرض ونحل، فدخل عليه الطبيب فجسه، فقال: هذا الفتى قد أحرقتة الصفراء، فقال: أصبت وأحسن من حيث لا تشعر، واستدعى دواة وكتب فى الحال:

قال الطبيب وقد تبين سحتى قد أحرقت هذا الفتى الصفراء
فعجبت منه إذ أصاب وما درى والحق أبلغ ليس فيه مراة

٤٠٠ - ومثل هذه الحكاية ما روى من أن العباس الفارسى كان يهوى مدام الشاعرة الكوفية، وكان مداوماً للشرب، فاعتل واشتدت حماه، فدخل عليه صديق له طبيب يكنى بأبى بشر، فجس يده فوجد حماه حادة، فقال له: ما يتلفك إلا مداومتك مدامك، فقال للوقت:

عجبت من قول أبى بشر وقوله ضرب من السحر
مدامك اهلك فلا تكثرن منها وأنسى لى بالكثير
أصاب فى اللفظ ولكنه أخطأ فى المعنى ولم يدر

٤٠١ - قال القاضى على التنوخى فى كتاب النشوان: أخبرنى أبى قال: حدثنى المعوج الرقى قال: كبا الفرس بيدر الجمالى فافتصد، فدخلت عليه فأنشدته أبياتاً عملتها فى الحال وهى:

لا ذنب للطرف إن زلت قوائمه وليس يلحقه من عائب دنس
حملت بأساً وجوداً فوقه وندى وليس يقوى لهذا كله الفرس
قالوا افتصدت فما عقل العلا معها خوفاً عليك ولا نفس بها نفس
كف الطبيب دعا كفنا نقبلها ونطلب الرزق منها حين ينحبس

٤٠٢ - قال: وحدثنى أبو الفتح أحمد بن على بن هارون المنجم، قال: حدثنى أبى قال: كنا فى دعوة أبى على الحسن بن مروان الكاتب، وحضر فيها الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى، وهو إذ ذاك يخلف أبا جعفر الصيمرى على الأمر ببغداد، فغنت الرقية زوج أبى على صوتاً من وراء الستارة أحسنت فيه، فأخذ المهلبى الدواة، فكتب فى الحال بديهاً وأنشدها لنفسه:

ذات غنى فى الغناء من نغم تنفق فى الصوت منه إسرافا
كأنها فارس على فرس ينظر فى الجرى منه أعطافا

٤٠٣ - وروى أن نصر بن أحمد الخبز أرزى دخل على أبى الحسن بن المثنى فى أثر حريق المريد، فقال له: هل قلت فى هذا شيئاً؟ فقال: ما قلت، ولكن أنشدك ارتجالاً:

أتتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون أن تجحدوا
جرى نفسى صعداً بينكم فأحرق من ذلك المريد
وهاجت رياح حنينى لكم فظلت بها ناره توقد
ولولا جرت أدمعى لم يكن حريقكم أبداً يخمد

٤٠٤ - ومثل هذا ما روينه بالإسناد المتقدم عن ابن بسام فى كتاب الذخيرة، قال: ذكر سليمان بن محمد الصقلى، قال: كان بسوسة إفريقية رجل ظريف يهوى غلاماً، فتجنى الغلام عليه، فبينما هو ذات ليلة يشرب منفرداً، وقد غلب عليه السكر، خطر بباله أن يأخذ قبس نار فيحرق به داره، ففعل ووضع النار فى الباب فاحترق، فاتفق أن رآه بعض الجيران، فخرج أهل الدار فأطفئوا الحريق، ولما أصبحوا حملوه إلى القاضى، فسأله: لم فعل؟ فأنشأ يقول:

لما تمادى على عبادى وأضرمت النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا ولا معيناً على السهاد
حملت نفسى على وقوفى ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبى أقل من لمعة الزناد
فأحرق الباب دون علمى ولم يكن ذاك فى مرادى

فاستظرفه القاضى واستلطفه، وغرم عنه أرش ما أثلفه.

٤٠٥ - أنبأنى الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على المقدسى، عن أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن عبد الله محمد بن أبى عبد الله الحافظ الحميدى، قال: أخبرنى أحمد بن قاسم، جار لنا كان بالمغرب، أن عبد الملك بن إدريس الحريرى كان ليلة بين يدى المنصور بن أبى عامر، والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة أخرى، فارتجل:

أرى بدر السماء يلوح حيناً فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك أنه لما تبدى وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نعى عنى إليه لراجعنى بتصديقى جوابا

٤٠٦ - وبهذا الإسناد قال الحميدى: حضر عقيل بن نصر مجلساً فيه أحداث من

في بقية بدائع البدائه
الكتاب، فاختلفوا في شيء من الآداب إلى أن أفضى بهم ذلك إلى السباب، فقال عقيل
على البديهة، وأنشدنيها بعض الرؤساء ولم يعلم قائلها:

تعس الزمان لقد أتى بعجائب ومحا رسوم الفضل والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدي فيهم رددتهم إلى الكتاب

٤٠٧ - أخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن فاضل بن صمدون الصوري، عن
الإمام الحافظ السلفي، عن أبي غالب شجاع بن فارس الرملي، عن أبي منصور محمد
المالكي البصري، عن أبي محمد عبد الله بن محمد الأكفاني البصري قال: خرجت مع
عمي أبي عبد الله الأكفاني، وأبى الحسين بن لنكك، وأبى عبد الله المفجع، وابن
الحسين السباك في بطالة العيد، فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبز أرزى وهو
جالس يخبز على طائفة، فجلسوا عنده، ثم قاموا عند تزايد الدخان، فقال نصر لابن
لنسكك: متى أراك يا أبا الحسين؟ فقال له أبو الحسين: إذا اتسخت ثيابي - وكانت ثيابهم
جداً قد لبسوها للتجمل بها في العيد - فمشينا في سكة بنى سمرة، حتى انتهيا إلى دار
أحمد بن المثنى، فجلس أبو الحسين بن لنكك وقال: يا أصحابنا إن نصراً لا يخلى هذا المجلس
الذي مضى لنا معه من شيء يقوله، ونحن نبدوؤه قبل أن يبدأنا، واستدعى بدواة وكتب إليه:

لنصر في فؤادي فرط حب يزيد به على كل الصحاب
قصدناه فبخرنا بخوراً من السعف المدخن للثياب
فقال متى أراك أبا حسين فقلت له إذا اتسخت ثيابي
وأنقذ الأبيات إلى نصر، فأملى جوابها في الحال، فقرأناه فإذا هو قد أجاب:

منحت أبا الحسين صميم ودي فداعبني بالفاظ عذاب
أتى وثيابه كقتير شيب فعدن له كريعان الشباب
وقلت متى أراك أبا حسين فجأوبني إذا اتسخت ثيابي
فإن يكن التقدر فيه فخر فلم يكنى الوصى أبا تراب

٤٠٨ - وذكر الباخرزي في كتاب دمية القصر قال: حدثني أبو محمد الحسن بن
علي الجوهري ببغداد قال: أنشدت أبا القاسم الصوري بيتين كان أبو عبد الله عمر بن
يحيى ادعاهما لنفسه في مجلس المهلبى الوزير، فأنكر أبو الفرج الأصبهاني ذلك،
وأخرج في أناشيد ثعلب وهما:

أقول لها إذ بت فى أسر قومها وجامعتى عن منكبى تضيق
لما سرنى أن بت عنى بعيدة وأنى من هذا الإسار طليق
ثم قلت له: أهما أحسن أم بيتان عملتهما فى المعنى، وهما:

أقول لها والحقى قد نذروا بنا ومالى من أسر المنون براح
لما ساءنى أن وشحتنى سيوفهم وأنك لى دون الوشاح وشاح
فأمسك ساعة ولم يجب، ثم عمل فى الحال وأنشدنيه:

ألا مرحباً بالأسرى أم مالك وجامعتى والقد منه قرينى
إذا كنت فى كسر الخباء قريبة تحسين منى لوعتى وأينى
وعمل أيضاً فى الحال وأنشدنيه:

أقول وقد هز القنالى قوامها ومالى من بين الأسنة مذهب
ألا ليت نحري للأسنة ملعب وكفى فى نحر ابنة القوم يلعب
٤٠٩ - قال: وجلس أبو إسحاق النجيرمى عند كافور الإخشيدي، فدخل عليه أبو
الفضل بن عياش، فقال: أدام الله أيام مولانا، وكسر الميم، فتبسم كافور إلى أبى
إسحاق، ففطن لذلك، فقال ارتجالاً:

لا غرو أن لحن الداعى لسيدنا وغص من دهش بالريق والبحر
فمثل سيدنا حالت مهابة بين الأديب وبين القول بالحصر
وإن يكن خفض الأيام من دهش فى موضع النصب لا من قلة البصر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا والفأل مأثوره عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب وأن دولته صفو بلا كدر
فأمر له بثلاثمائة دينار وللنجيرمى بمائتين.

٤١٠ - وذكر صاحب اليتيمة - وقد ذكرنا الإسناد إليه فيما سبق من الكتاب - أنه
قدم إلى عضد الدولة فناخسرو جام بهطة بيضاء عليها لوز منصف، وكان ينادمه رجل
من أهل الأدب، قلما يحضر شىء على المائدة إلا قال فيه شعراً له أو لغيره، فاستدعى
منه عضد الدولة أن يصفها، فأرتج عليه، فارتجل عضد الدولة:

بهطة تعجز عن وصفها يا مدعى الأوصاف بالزور

كأنها فى الجام إذ زينت لآلى فى ماء كافور
٤١١ - وشرب السرى الموصلى يوماً مع جماعة من أصحابه بالقفص فى حانة
لبعض الخمارين، فأقاموا نهارهم يديرون من الكئوس شعلاً يلهبها الماء، ويزول برشفها
الظماء، وبين أيديهم أسد قد نظم من الورد، فقال السرى بديهاً:

رب أيام على القفص لنا لا نرى مثلها طول الأبد
غيضة ريحاننا الغض بها أسد من غابة الورد ورد
ما رأى الناس ندامى قبلنا شربوا الراح على وجه الأسد
قال على بن ظافر: ذكرت بهذا قول ابن الخياط الدمشقى بديهاً فى مثله:

لنا أسد ورد سباناً به الهوى وما كان يهوى قبله الأسد الورد
له وردة حمراء فى فيه غضة يرى عادياً منها وإن كان لا يعدو
كليث قريب بالفريسة عهده فباقى دم المفروس فى فمه يبدو
٤١٢ - وحكى أبو الفضل الهمذانى قال: قال صاحب يوماً لجلسائه وأنا فيهم،
وقد جرى ذكر أبى فراس: لا يقدر أحد أن يزور على أبى فراس شعراً، فقلت: ومن
يقدر أن يزور عليه وهو الذى يقول، وارتملت:

رويدك لا تصل يدها بباعك ولا تعن السباع على رباعك
لا تعن العدو على إنسى يمين إن قطعت فمن ذراعك
فقال صاحب: صدقت، فقلت: أيد الله مولانا، قد فعلت.

٤١٣ - وروى ابن الصابى فى كتاب الوزراء قال: كان فى مجلس صاحب متكلم
يعرف بابن الحضيرى، فغلبه النوم يوماً فى المجلس، فكانت منه فلتة، فقام خجلاً، فقال
فيه صاحب ارتجالاً:

يا ابن الحضيرى لا تذهب على من ضرطة أشبهت نايًا على عود
فإنها الريح لا تستطيع تحبسها إذ أنت لست سليمان بن داود

٤١٤ - وأنبأنى ذو النسبتين الحافظ أبو الخطاب بن دحية، عن الأستاذ المفيد أبى
بكر محمد بن خير بقراءته عليه - عن الحافظ أبى القاسم خلف بن يوسف الشنترينى -
عرف بابن الأبرش - بقراءته على أبى الحسن على بن بسام قال: كان أبو العلاء صاعد
اللغوى البغدادى كثيراً ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبى عامر كفيل المؤيد

هشام صاحب الأندلس، فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبى عامر أحمد صاحب الغرائب الماضية فى هذا الكتاب إلى المنصور فى يوم برد، وكان أخص وزرائه:

أما ترى برد يومنا هذا	صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به	حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطلياً	نغد سيراً إليك إغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه	تدع نبيلاً وتدع أستاذاً
ولا تبالي أبا العلاء زها	بخمر قطربل وكلواذا
ما دام من أرملاط مشربنا	دع دير عمى وطير ناباذا

وكان المنصور فى ذلك اليوم قد عزم على الانفراد بحرمه، فأمر بإحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء، وأحضر ابن شهيد فى محفة - لنقرس كان يعتاده - وأخذوا فى شأنهم، فمر لهم يوم لم يعهدوا مثله، وعلا الطرب وسما بهم حتى تهايجوا ورقصوا بالنوبة، حتى انتهى الدور إلى ابن شهيد، فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس، فجعل يرقص وهو متوكئ عليه، وارتجل قائلاً:

هاك شيخاً قاده عذر لكا	قام فى رقصته مستهلكا
لم يطبق يرقصها مستتباً	فغدا يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفرداً	نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة	قام للسكر يناغى ملكا
أنا لو كنت كما تعهدنى	قمت إجلالاً على رأسى لكا
قهقهة الإبريق منى ضاحكا	ورأى رعشة رجلى فبكى

وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الأخير واسطتها، وكان قد حضرهم ذلك اليوم رجل بغدادى يعرف بالكك، كان حسن النادرة سريعها، وكان ابن شهيد أحضره إلى المنصور، فاستطبعه وارتبطه، فلما رأى ابن شهيد يرقص قائماً مع ألم المرض الذى كان منعه من الحركة قال: لله درك يا وزير ترقص قائماً وتصلى قاعداً، فضحك المنصور، وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة ولللكك.

٢٤٢ فى بقية بدائع البدائه

وعليه ثياب جدد وخف جديد، فمشى على جانب البركة لازدحام الحاضرين فى الصحن، فزلقت رجله فسقط فى الماء، فضحك المنصور وأخرج، وقد كان البرد يقضى عليه، فلما نظر إليه أمر له بثياب وأدنى مجلسه، وقال: يا أبا العلاء، قل فى سقطتك، فأطرق ثم قال:

شيئان كانا فى الزمان عجيبةً ضرط ابن وهب ثم سقطه صاعد
فاستبرد ما أتى به، وكان أبو مروان الجزيرى الكاتب حاضراً، فقال:

سرورى يغرتك المشرقه وديعة راحتك المغدقه
ثنانى نشوان حتى سقطت فى لجة البركة المغرقه
لئن ظل عبدك فيها الغريق فجودك من قبلها أغرقه
فقال: لله درك، قسناك بأهل العراق ففضلتهم، فبمن نقيسك بعد.

٤١٦ - وبالإسناد قال ابن بسام: وحدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان، قال: دخلت يوماً على أبي عامر - قال على بن ظافر: يعنى ابن شهيد - وقد ابتدأت به علته التى مات بها، فأنس بى، وجرى الحديث إلى أن شكوت إليه تجنى بعض أصحابى علىّ ونفاره منى، فقال لى: سأسعى فى إصلاح ذات البين، فخرجت عنه، فلقيت ذلك المتجنى علىّ مع بعض إخوانى وأعزهم علىّ، فتجنبتهما فسأله عن السبب الموجب فأخبره، فمشى حتى أدركنى وعزم علىّ فى مكالمته، وتعاتبنا عتاباً أرق من الهوى، وأشهى من الماء على الظما، حتى جئنا دار أبى عامر، فلما رأنا جميعاً ضحك وقال: من كان هذا الذى تولى إصلاح ما كنا سررنا بفساده؟ قلنا: قد كان ما كان، ثم أطرق قليلاً وأنشد:

من لا أسمى ولا أبوح به أصلح بينى وبين من أهوى
أرسلت من كان الهوى فدرى كيف يداوى مواقع البلوى
ولى حقوق فى الحب ثابتة لكن إلفى يعدها دعوى

٤١٧ - قال على بن ظافر: وذكر ابن خاقان فى كتاب مطمح الأنفس ما معناه: إن أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع والعشرين، فمرت بهم امرأة من بنات أجلاء قرطبة قد كملت حسناً وظرفاً، ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفاً، وقد حفت بها الجوارى كالبدر حُف بالدرارى، فحين رأت تلك الجماعة

المعروفة بالخلاعة، ورمقوا الظبى بعيون أسود رأت فريسة، ارتاعت وتخوفت أن يخطف منها تلك الدرة النفيسة، فاستدنت إليها خشفها، وألزمته عطفها، فارتجل ابن شهيد قائلاً:

وداعية تحت طى القناع	دعاهما إلى الله بالخير داع
أتت بابنها تبتغى منزلاً	لوصل التبتل والانقطاع
فجاءت تهادى كمثل الرءوم	تراعى غزالاً بروض اليفاع
أتتنا تبختر فى مشيها	فحلت بواد كثير السباع
وجالت بأكنافه جولة	فحل الربيع بتلك البقاع
وريعت حذاراً على طفلها	فناديت يا هذه لا تراعى
غزالك تفرق منه الليوث	وتهرب منه كماء المصاع
فولت وللمسك من ذيلها	على الأرض خط كخط الشجاع

٤١٨ - أنبأنى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى، عن الفقيه أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى، عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى، قال: أخبرنا أبو الحسن الراشدى، عن أبى عامر بن شهيد، أن عبد الله بن فاكان الشاعر تناول نرجسة، فركبها فى وردة، ثم قال له ولصاعد - قال على بن ظافر: يعنى أبا العلاء صاعداً اللغوى المقدم ذكره - : صفها، فأفحما ولم يتجه لهما القول، فبينما هم على ذلك، إذ دخل الزهيرى - قال على بن ظافر: يعنى صاحب أبى العلاء صاعد وتلميذه، وكان أديباً شاعراً أُمياً لا يقرأ ولا يكتب - فلما استقر به المجلس أخبر بما هم فيه، فجعل يضحك ويقول بغير روية:

ما للأديبين قد أعيتهما	مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت	كمقلة تنظر فى وجنه

٤١٩ - وبهذا الإسناد عن الحميدى قال: أخبرنى الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن ابن راشد الراشدى، قال: لما نعت أبا عامر بن شهيد إلى ابن الخياط الشاعر - وقد عرفت ما كان بينهما من المنافسة - بكى وأنشدنى لنفسه بديهة:

لما نعى الناعى أبا عامر	أيقنت أنى لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى	وسيد الأول والآخـر

٢٤٤ فى بقية بدائع البدائه

٤٢٠ - وبهذا الإسناد قال الحميدى: وذكر أبو بكر المروانى أنه شاهد محبوباً الأديب الشاعر النحوى قال بديهةً فى وصف ناعورة:

وذاث حنين ما تغيض جفونها من اللجج الخضر الصوافى على
وتبكى فتحى من دموع عيونها لآلى رياض بالأزاهر فى بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع وأزهر مبيض وأدكن مشط
كأن ظروف الماء من فوق متنها لآلى جمان قد نظمن على قرط

٤٢١ - أنبأنى ذو النسبتين الحافظ ابن دحية، عن الأستاذ المفيد أبى بكر محمد بن خبر بقراءته عليه، عن الفقيه الحافظ أبى القاسم خلف الشنترينى عرف بابن الأبرش - بقراءته على أبى الحسن على بن بسام، قال: أمر الحاجب المنذر بن يحيى النجيبى صاحب سرقسطة بعرض الجند فى بعض الأيام، وأميرهم مملوك له رومى يقال له: خيار، فى نهاية الجمال، فجعل ينفخ فى القرن ليجتمع أصحابه على عادتهم فى ذلك، فقال ابن هند الدانى فيه ارتجالاً:

أعن بابل أجفان عينيك تنفث ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفى الحق أن تحكى إسرافيل نافحاً وأمكث فى رمس الصدود وألبث
عساك خيار الناس تأتى بآية فتنفخ فى ميت الغرام فيبعث

٤٢٢ - قال: وكان بقرطبة غلام وسيم، فمر عليه ابن فرج الجيانى، ومعه صاحب له، فقال صاحبه: إنه لصبيح لولا صفرة فيه، فقال ابن فرج ارتجالاً:

قالوا به صفرة عابت محاسنه فقلت ما ذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب فى آثار من قتلت فلست تلقاه إلا خائفاً وجلا

٤٢٣ - قال: وكان يوماً مع لمة من أهل الأدب فى مجلس أنس، فاحتاج رب المنزل إلى دينار، فوجه من يأتیه به من السوق، فدخل غلام من الصيارف فى نهاية الجمال، فرمى بالدينار إليهم من فيه ماحجناً، فقال ابن فرج بديهاً:

أبصرت ديناراً بكف مهفهف يزهى به من كثرة الإعجاب
أومى به من فيه ثم رمى به فكأنه بدر رمى بشهاب

٤٢٤ - وذكر الفرّج بن إبراهيم الكاتب فى سريرة الألباب وذخيرة الكتاب، قال: دخلت يوماً ديوان الإنشاء بمصر، ومتولىه ولى الدولة ابن خيران، فلم أجده فى الديوان،

فى بقية بدائع البدائه ٢٤٥

إلا أنى وجدت الكتاب على رسمهم، والناس على جارى عاداتهم، وإذا سراويله ملقى على طراحة، فجلست أنتظره، فلم أشعر إلا وقد فتح خزانة وخرج، وقدامه غلام صقلبى، كأن الشمس على صفحته، والغصن فى قامته، منكسر الأجفان مطرقها، مورد الوجنة عرقها، وحين وصل الى الطراحة، لبس السراويل وارتجل:

أنا ممن لا يرى للنفس ————— سس إلا بال————— صلاح
لا تدأوى على الإنست ————— عفاظ إلا بال————— نكاح
فعلم الحاضرون أنه كان يفسق به، فأطبقوا عند الخروج على لعنه.

٤٢٥ - وذكر الفرغ بن إبراهيم الكاتب فى هذا الكتاب، قال: دخلت على الوزير الحسين بن على بن الحسين بن المغربى أيام وزارته لشرف الدولة أبى على الديلمى، وببى جزء من شعر شداد بن إبراهيم الخبز أرزى المعروف بالطاهر، فسألنى عنه فأخبرته، فاستنشد فأنشدته:

يا منكراً شغفى به ————— ومكذباً طول اشتياقى
فى أى أحوالى تشك ————— فهن أحوال السيق
أمدامعى أم ضر جسمى ————— أم ضنأى أم احتراقى
كل إذا أنصفتنى ————— حجج عليك بما ألقى
فاستحسن القطعة، وصنع فى الحال:

الله يعلم أننى ————— ألتذ فيكم باشتياقى
وأكاد من أنس التذكر ————— لا أذم يبد الفراق
وأغض طرفى بعدما ————— ملأته غزلان العراق
وأقر من خجل العتا ————— ب إلى مغالطة العناق

٤٢٦ - وأخبرنى ابن المقدسى قال: أخبرنى الشيخ الإمام الحافظ السلفى، قال: سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى يقول: سمعت القاضى طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبرى يقول: كتبت إلى أبى العلاء المعرى حين وافى بغداد:

وما ذات در لا يحل لحالب ————— تناوله واللحم منها محلل
لمن شاء فى الحالين حياً وميتاً ————— ومن شاء شرب الدر فهو مضلل
إذا بلغت فى السن فاللحم طيب ————— وأكله عند الجميع معقل

وخرفانها للأكل فيها كراهة
وما يجتنى معناه إلا مبرز
فما لحصيف الرأى فيهن مأكّل
عليم بأسرار القلوب محصل

فأجابنى وأملى على الرسول فى الحال ارتجالاً:

جوابان عن هذا السؤال كلاهما
فمن ظنه كرمًا فليس بكاذب
لحومهما الأعناب والرطب الذى
ولكن ثمار النخل وهى غضيضة
يكلفنا القاضى الجليل مسائلًا
ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها
صواب وبعض القائلين مضلل
ومن ظنه بخلاً فليس يجهل
هو الحل والدر الحقيق المسلسل
تعاف وغصن الكرم يجنى ويؤكل
هى النجم قدرًا بل أعز وأطول
جديرًا ولكن من يحييك يقبل

فأجبتة ثانيًا بقولى:

أثار ضميرى من يعز تظيره
تساوى له سر المعانى وجهرها
ومن قلبه كل العلوم بأسرها
ولما أثار الحب قاد صنيعة
وقربة من كل فهم بكشفه
وأعجب منه نظمه الدر مسرعًا
فيخرج من بحر ويسمو مكانه
فهناؤه الله الكريم بفضلـه
من الناس طرًا بل أعز وأفضل
وسائرها باد لديه مفصل
وخاطره فى حدة النار تشعل
أسيرًا بأنواع البيان يكبل
وإيضاحه حتى رآه المغفل
ومرتجالًا من غير ما يتمهل
جلالًا إلى حيث الكواكب تنزل
محاسنه والعمر منها مطول

فأجابنى مرتجالاً وأملاه فى الحال:

ألا أيها القاضى الذى بدعائه
فؤادك معمور من العلم أهل
فإن كنت بين الناس غير ممول
إذا أنت خاصمت الخصوم مجادلًا
كأنك علم الشافعى مخاطبًا
وكيف يرى علم ابن إدريس دارسا
تفضلت حتى ضاق ذرعى تكرمًا
سيوف على أهل الضلال تسلل
وجدك فى كل المسائل مقبل
فأنت من الفهم المصون ممول
فأنت وهم مثل الحمائم أجدل
ومن قلبه تملى فما تتمهل
وأنت بإيضاح الهدى متكفل
فقلت وكفى عن جوابك أجهل

لأنك فى كنه الثريا فصاحة وأعلى ومن ييغى مكانك أسفل
فعذرى فى أنى أحبتك واثقاً بفضلك فالإنسان يسهو ويذهل
وأخطأت فى إنقاذ رقعتك التى هى المجدلى منها أخير وأول
ولكن عدانى أن أروم احتفاظها رسولك وهو الفاضل المتفضل
ومن حقها أن يصبح المسك غامراً لها وهى فى أعلى المنازل تجعل
فمن كان فى أشعاره متمثلاً فأنت امرؤ فى العلم والشعر أمثل
تجملت الدنيا بأنك فوقها ومثلك حقاً من به يتجمل

٤٢٧ - وبالإسناد المتقدم عن ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة قال: ذكر أبو عبد الله الصفار الصقلى، قال: كان بالقيروان غلام وضىء، كان يختلف إلى أبى على حسن ابن رشيق، فكان يحذره من المخالطة، فخرج يوماً يتنزه مع جماعته، فأشيع عنه ما ينكر، وبلغ أبا على، فقال بديهاً:

يا سوء ما جاءت به الحال إن كان ما قالوا كما قالوا
ما أحذق الناس يصوغ الخنا صيغ من الخاتم خلخال

٤٢٨ - وقد كان أبو الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمى يهوى فتى ببغداد وينكر حبه، والغلام يعرف شدة وجده به وكلفه، فدمعت عيناه فى الفضل يوماً، فقال الغلام: دمعك شاهد عليك، فارتجل أبو الفضل:

وهبنى قد أنكرت حبك جملةً وهونت من نفسى العزيمة سخطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة سقامى أملاها ودمعى خطها

٤٢٩ - قال: وكان أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدرامى ليلة مع بعض أصحابه وبين أيديهم شمعة، فأفضى حديثهم إلى وصفها، فأطرق بعضهم ليصنع فيها، فبدره أبو الفضل فقال:

ذهبنا فأذهبنا الهموم بشمعة غنينا بها عن طلعة الشمس والبدر
أقول وجسمى ذائب مثل جسمها ودمعتها تجرى كما دمعنى تجرى
كلانا لعمري ذوب نار من الهوى فنارك من حمر ونارى من هجر
وأنت على ما قد تقاسين من أذى فصدرك فى نار ونارى فى صدرى

قال على بن ظافر: وهذا مثل قول الأعمى التطيلي فى شمعة:

بآية ما تبكى وفى النار صدرها وقد جمدت عيناي والنار فى صدرى
٤٣٠ - وبالإسناد المتقدم قال ابن بسام: اصطحب المعتصم بن صمادح يوماً مع
ندمائيه، فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة فى أنواع اللعب، وحضر أيضاً هناك لاعب
مصرى ساحر، فكان لعبه حسناً، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد قائلاً:

كذا فلتلح قمرًا زاهرا	وتجنى الهوى ناضراً ناظرا
وإن لـيومك ذا رونقًا	منيراً كنور الضحى باهرا
وسيك صيب ندى مغدق	أقام لنا هامياً هامرا
صباح اصطباح بإسفاره	لحظنا محيا العلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكئوس	فما زال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحقاً فاتناً	وأحضرتنا لاعباً ساحرا
يرفرف فوق رءوس القيان	فننظر ما يذهل الناظرا
ويخطفها ذيل سرباله	فننظر طالعها غائرا
فظاهرها ينثنى باطناً	وباطننها ينثنى ظاهرا
وثنائه ثنان لألعابه	دقائق تنثنى الحجا حائرا
وفى سورة الراح من سحره	خواطر دلهت الخاطرا
إذا ورد اللحظ أثناءها	فما الوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهره إبداعه	فما انفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتلب المغربات	فيجعل غائبها حاضرا

٤٣١ - وحضر الأديب أحمد بن الشفاق المنعوت بالمنفقل عند القائد ابن درى
بجيان هو وأبو زيد بن مقانا الأشبوني، فأحضر لهما عباً أسود مغطى بورق أخضر،
فارتجل المنفقل:

عنب تطلع من حشى ورق لنا صبغت غلائل جلده بالإثمد
فكأنه من بينهن كواكب كسفت فلاحت فى سماء زبرجد
٤٣٢ - قال: وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذى النون بن خلدون وبحضرتة وصيفة
تحمل شمعة، فاستحسنها ابن مرزقان، فقال بديهاً:

يا شمعةً تحملها أخرى كأنها شمس علت بدرا

امتحنت إحداهما مهجتي بمثل ما تمـتحن الأخرى
٤٣٣ - قال: ودخل الأديب غانم يوماً على باديس بن حيوس صاحب غرناطة،
فوسع له على ضيق فى المجلس، فقال بديهاً:

صير فؤادك للمحبوب منزلةً سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغىضا فى معاشرة فقلما تسع الدنيا بغىضين
وإنما نظم ما روى من أن الخليل بن أحمد دخل عليه بعض أصدقائه وهو على غرقة
صغيرة، فرحب به وأجلسه فى مكانه، فقال له الرجل: إنها لا تسعنا، فقال له الخليل:
ما تضايق سم الخياط بمتحابين، ولا اتسعت الدنيا لمـتباغضين.

٤٣٤ - وخرج الأديب أبو الحسن على بن حصن الإشبيلي إلى وادى قرطبة فى
نزهة، فتذكر إشبيلية، فقال بديهاً:

ذكرتك يا حصـ ذكرى هوى أمـات الحـسود وتعنيته
كأنك والشمس عند الغروب عروس من الحسن منحوته
غدا النهر عقدك والطود تبـ جـك والشمس أعلاه ياقوته
٤٣٥ - قال على بن ظافر: وذكر صاحب قلائد العقيان ما هذا معناه: أن المستعين
بالله أحمد بن المؤتمن بن هود الجذامى صاحب سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة
يوماً لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله، وهو نهر رق ماؤه وراق، وأزرى على
نيل مصر ودجلة والعراق، قد اكتفتته البساتين من جانبه، وألقت ظلها عليه، فما تكاد
عين الشمس أن تنظر إليه، هذا على اتساع عرضه، وبعد سطح الماء من أرضه، وقد
توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة، وأحاطت به إحاطة الطفاوة للغزاة،
وقد أعدوا من مكاييد الصيد ما استخرج ذخائر الماء، وأخاف حتى حوت السماء،
وأهله الهالات طالعة من الموج فى سحاب، وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب،
فلا ترى إلا صيوداً كصيد الصوارم، وقدود اللهازم، ومعاصم الأبكار النواعم، فقال
الوزير أبو الفضل بن حسداى، والطرب قد استهواه، وبديع ذلك المـرأى استرق هواه:

لله يوم أنيق واضح الغرر مفضض مذهب الأصـال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا فيه بعتبى وأبـدى صفح معتذر
نسير فى زورق حف السفين به من جانبـيه بمنظوم ومـنـشـر

مد الشراع به نشرًا على ملك
هو الإمام الهمام المستعين حوى
تحوى السفينة منه آيةً عجباً
تثار من قعره النينان مصعدةً
وللندامى به عب ومرتشف
والشرب فى ود مولى خلقه زهر
بذ الأوائى فى أيامه الآخر
علياء مؤقن فى هدى مقتدر
بحر تجمع حتى صار فى نهر
صيداً كما ظفر الغواص بالدرر
كالراح يعذب فى ورد وفى صدر
يذكو وبهجته أبهى من القمر

قال على بن ظافر: قوله: «نينان» غير معروف، فإن نوناً لم يجمعها نينان، وقد كان
سيبويه لحن بشار بن برد فى قوله وصف السفينة:

تلاعب نينان البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى
فغيره بشار بـ«تيار البحور»، وقد قال أبو الطيب يصف خيلاً:

فهن مع السيدان فى البحر غسل وهن مع النينان فى البحر عوم
٤٣٦ - وجلس المعتمد بن عباد يوماً، فأشد بعض جلسائه قول أبى الطيب:

إذا ظفرت منك العيون بنظرة أثاب بها معبى المطى ورازمه
فاستبدعه المعتمد واستحسنه، وجعله أبدع ما للمتنبى وأحسنه، فارتجل عبد الجليل
ابن وهبون المرسى:

لئن جاد شعرا بين الحسين فإنه يحد العطايا واللها تفتح اللهها
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى بأنك تروى شعره لتألها
فاستحسن المعتمد وأمر له بمائتى دينار.

٤٣٧ - وجلس يوماً والبزاة تعرض عليه، فاستحث الشعراء فى وصفها، فقال عبد
الجليل بديهاً:

للصيد قبلك سنة مأثورة لكننها بك أبدع الأشياء
تمضى البزاة وكلما أمزيتها عارضها بخواطير الشعراء

٤٣٨ - قال على بن ظافر: ذكر صاحب قلائد العقيان ما معناه: خرج ابن وهبون
يوماً لنظر هلال شوال، وأبو بكر بن القبطرنة الوزير يسايره، وهو يومئذ غلام يُخجل
البدر، ويزرى بالغصن النضر، وصفحته لم يسطرها العذار بأنفاسه، ووردة خده لم

يسترها الشعر بأسه، فارتجل عبد الجليل:

يا هلال استتر بوجهك عنى إن مولاك آخذ بشمال
هبك تحكى سناء خدا بجد قم فجئنى لقده بمثال
٤٣٩ - وبالإسناد المقدم قال ابن بسام: أخبرنى الحكيم النديم المطرب الإشبلى،
قال: حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد، وعنده الوزير أبو بكر بن عمار، فلما
دارت الكئوس، وتمكن الأنس، وغنيت أصواتاً ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب،
فارتجل يخاطب الرشيد:

ما ضر أن قيل إسحاق وموصله ها أنت وذى حمص وإسحاق
أنت الرشيد فدع من قد سمعت به وإن تشابه أخلاق وأعراق
لله درك داركهـا مشعشة واحفر فساقك ما قامت به ساق
٤٤٠ - قال: وسائر ابن عمار فى بعض أسفاره، وكان معه غلامان من بنى جهور،
أحدهما أشقر العذار، والآخر أخضره، فجعل يميل بجدثه إلى المخضر العذار، فقال
ارتجالاً:

تعلقته جهورى السنجار	وحلو اللمى جهورى الثنايا
من النفر البيض جرد الزمان	رقاق الحواشى كرام السجيا
ولا غرو أن تغرب الشارقات	وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل إلا جمان الحديث	تساقطه من ظهور المطايا
شتت المثلث للزعفران	وملت إلى خضرة فى التفايا

قال على بن ظافر: ومعنى هذا البيت أنه أبغض المثلث لدخول الزعفران فيه، لشبهه
بعذار الأشقر منهما، وأحب خضرة التفايا، وهى لون من طعام يعمل بالكزبرة؛ لشبهها
بعذار الأخضر منهما.

٤٤١ - قال على بن ظافر: وذكر صاحب قلائد العقيان ما معناه أن ابن عمار تنزه
بالدمشق بقرطبة، وهو قصر شيده خلفاء بنى أمية وزخرفوه، ودفعوا صرف الدهر عنه
وصرفوه، وأجروه على إرادتهم وصرفوه، وذهبوا سقفه وفضضوها، ورخمو أرضه
وروضوها، فبات به والسعد يلحظه بطرفه، والروض يحببه بعرفه، فلما استنفد كافور
الصبح مسك الغسق، ورصع أبنوس الظلام نضار الشفق، قال مرتجالاً:

كل قصر غير الدمشق يذم فيه طاب الحيا وفاح المشم
منظر رائق وماء نـير وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والفجر والليل عندى عنبر أشهب ومسك أحـم

٤٤٢ - وقال على بن ظافر: وأخبرنى الفقيه أبو العرب إسماعيل بن معوشة الكنانى السبتي، قال: أخبرنى شيخ من أهل إشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد، وكان عليه من آثار كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق، وينطق بأن قوله الحق. قال: كنت فى صباى حسن الصورة، بديع الحلقة، لا تلمحنى عين أحد إلا ملكت قلبه، وخلصت خلبه، وسلبت لبه، وأطلت كربه، فبينما أنا واقف على باب دارنا، إذا الوزير أبى بكر بن عمار قد أقبل فى موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قُدت من قنة الجبل، فحين حاذانى ورآنى، أشرب إلى ينظرنى، وبهت يتأملنى، ثم دفع بمخصرة كانت فى يده فى صدرى، وأنشد:

كف هذا السهد عنى فبقلبى منه جـرح
هو فى صدرك نهـد وهو فى صدرى رمـح

٤٤٣ - قال على بن ظافر: وذكر الفتح بن خاقان فى كتاب القلائد ما معناه، قال: أخبرنى ذو الوزارتين أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر عند المؤمن بن هود فى يوم أجرى فيه الجو أشقر برقه، ورمى ببندق ودقه، وحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها، وتميلت قامات الغصون فى الحلل الخضر من أوراقها، والأزهار قد تفتحت عيونها، والكمام قد ظهر مكنونها، والأشجار قد انصقلت بمداوس القطر، ونشرت ما يفوق ألوان البز، وبثت ما يعلو أرواح العطر، والراح قد أشرقت نجومها فى بروج الراح، وحاكت شمسها شمس الأفق فتلفعت بغيوم الأقداح، ومديرها قد ذاب ظرفاً، فكاد يسيل من إهابه، وأخجل خده حسناً، فتكلل يعرق حبابه، إذا بفتى رومى من فتيان المؤمن أقبل متدرعاً، كالبدر اجتاب سحاباً، والخمر اكتست حباباً، والطاووس انقلب حباباً، فهو ملك حسناً، إلا أنه جسد، وغزال ليناً إلا أنه فى هيئة أسد، وقد جاء يريد استشارة المؤمن فى الخروج إلى موضع كان عول فيه عليه، وأمره أن يتوجه إليه.

فحين وصل إلى حضرته لمح ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه، وانبت سراياه فى نواحي قلبه، فأشار إليه وقربه، واستبدع ذلك اللباس واستغربه، وجد فى أن يستخرج الدرة من ماء ذلك الدلاص، وأن يجلى عنه سهكه كما يجلى عنه الخبث عن

الخلاص، وأن يوفر على ذلك الوفرة نعمة جسمه، ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه، فأمره المؤتمن بقبول أمره وامثالته، واحتذاء مثاله، فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها، ورميت شياطين النفوس من كمت المدام بشبهها، ارتجل ابن عمار يقول:

وهويته يسقى المدام كأنه	قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات يبدى عطفه	كالغصن هزته الصبا يتنفس
يسقى بكأس فى أنامل سوسن	ويدير أخرى من محاجر نرجس
أيا حامل السيف الطويل نجاده	ومصرف الفرس القصير المحبس
إياك بادرة الوغى من فارس	خشن القناع على عذار أملس
جهم وإن كشف القناع فإنما	كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره	كالمهر يلعب فى اللجام المخرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا	وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكأسك قد كفتنا مقلة	حوراء قائمة بسكر المجلس

وصنع فيه أيضاً:

وأحور من ظباء الروم عاط	بسالفتيه من دمعى فريد
قسا قلباً وشن عليه درعاً	فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه	وقد ييكى من الطرب الجليد
وإن فتى تملكه برق	وأحرز حسنه لفتى سعيد

٤٤٤ - وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام أن أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد ابن عباد يوماً وقد حمل إليه حمول وافرة من قرايط الفضة، فأمر له بكيسين منها، وكان بين يديه تماثيل عنبر، من جملةتها جمل مرصع بالذهب واللالى، فقال له أبو العرب معرضاً: ما يحمل هذين الكيسين إلا جمل، فتبسم المعتمد وأمر له به، فقال أبو العرب بديهاً:

أجديتنى جهلاً جونا شفعت به	حملاً من الفضة البيضاء لو حملاً
يनाخ جودك فى أعطان مكرمة	لا قد تعرف من منع ولا عقلاً
فاعجب بشأنى فشأنى كله عجب	رفهتنى فحملت الحمل والجملاً

فسارت بهذا الركائب، وتهادته المشارق والمغارب.

٤٤٥ - قال ابن بسام: وكان فى قصر المعتمد فيل من فضة على شاطئ بركة يقذف الماء، وهو الذى يقول فيه عبد الجليل بن وهبون المرسى من بعض قصيدة:

ويفرغ فيه مثل النصل بدع من الأفيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلدا تراه قلمما يخشى هزالا
فجلس المعتمد يوماً على تلك البركة، والماء يجرى من ذلك الفيل، وقد أوقدت شمعتان من جانبيه، والوزير أبو بكر بن الملح عنده، فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديهاً، منها:

ومشعلين من الأضواء قد قرنا بالماء والماء بالدولاب منزوف
لاحا لعينى كالنجمين بينهما خط المجرة ممدود ومعطوف
وقال أيضاً:

كأنما النار فوق الشمعتين سناً والماء من نافذ الأنبوب منسكب
غاماة تحت جناح الليل هامة فى جانبها حفاف البرق يضطرب
وقال أيضاً:

وأنبوب ماء بين نارين ضمنا هوى لكئوس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية يحركها فى الماء لمع الحباب
وقال أيضاً:

كأن سراجى شربهم فى التظائها وأنبوب ماء الفيل فى سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما لئيمان فى إنفاقه يعذلانه

٤٤٦ - قال على بن ظافر: خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوماً إلى بعض منزهاته، فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج، وتنفتت من مسكها الأريج، وماست معاطف أغصانها، وتكللت بلالئى الطل أجياد قضبانها، فتشوق إلى الوزير أبى طالب بن غانم أحد وزراء دولته، وسيوف صولته، يكتب إليه بديهاً فى وريقة كرنب يعود من شجرة:

أقبل أبا طالب إلينا واسقط سقوط السندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى ما لم تكن حاضراً لدينا

٤٤٧ - وجلس يوماً وبين يديه ساقية قد أخذت ببردها حر الأوار، والتوى ماؤها

انظر إلى الماء كيف انحط فى صبيه كأنه أرقش قد جد فى هربه
٤٤٨ - وقال على بن ظافر: وذكر الفتح ما معناه قال: خرج الوزراء بنو القبطرنة
إلى المنية المسماة بالبديع، وهو روض قد اخضرت مسارح نباته، واخضلت مسارى
هباته، ودمعت بماء الطل عيون أزهاره، وذاب على زبرجده بلور أنهاره، وتجمعت فيه
الحاسن المتفرقة، وأضحت مقل الحوادث عنه مطرقة، فخيول النسيم تركض فى ميادينه
فلا تكبو، ونصول السواقى تصول لحسم أدواء الشجر فلا تنبو، والزروع قد ثقت
وجه الثرى، وحجبت الأرض عن العيون فلا تبصر ولا ترى.

وكان المتوكل ابن الأفطس يعده غاية الأدب، ويعدده منبهة للطرب، ومدفعة للكرب،
فباتوا ليلتهم يديرون لمع لهب، ينمون فيه الخلود، ويحتسون ذوب ذهب، لا يصهر به ما
فى بطونهم والجلود، حتى تركتهم ابنة الخاية، كأنهم أعجاز نخل خاوية، فلما هزم
رومى الصباح زنجى الظلام، ونادى الديك: حى على المدام، انتبه كبيرهم أبو محمد
مستعجلاً، وأنشد مرتجالاً:

يا شقيقى واف الصباح بوجه ستر الليل نوره وبهاؤه
فانتبه واغتنم مسرة يوم ليس يدري بما يجىء مساؤه
فانتبه أخوه أبو بكر لصوته، وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته، وانتبه أخوهما أبو
الحسن وهو يرتجل:

يا أخى قم تر النسيم عليلاً باكر الراح والمدام شمولاً
لا تنم واغتنم مسرة يوم إن تحت التراب نوما طويلاً
فانتبه أخوه لكلامه، رافضاً لذة منامه للذة قيامه، وقال مرتجالاً:

يا صاحبي ذرا لومى ومعتبى وبادرا قهوة من خير ما ذخرا
وبادرا غفلة الأيام واغتنما فاليوم خمر وتبدى فى غد خبرا
٤٤٩ - قال على بن ظافر: وركب الأستاذ أبو محمد بن صارة مع أصحاب له فى
نهر إشبيلية، فى عشية سال أصيلها على لجين الماء عقباناً، وطار زوارقها فى سماء
الماء عقباناً، وأبدى نسيمها من الأمواج والدارات سرراً وأعكانا، فى زورق يجول
جولان الطرف، ويسود اسوداد الطرف، فقال بديهاً:

تأمل حالنا والجو طلق محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبلى تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثرى تعبس وجهها فيه السماء
واتفق أن وقف أبو إسحاق بن خفاجة على القطعة، فاستظرفها واستطابها، فقال
يعارضها على وزنها ورويتها وطريقها، فأنشد:

ألا يا حبذا ضحك الحميا بجانها وقد عبس المساء
وأدهم من جياذ الماء نهد تنسازع حبله ريح رخاء
إذا بدت الكواكب فيه غرقى رأيت الأرض تحسدها السماء

٤٥٠ - وذكر ابن خفاجة فى ديوان شعره، وقد أنبأنى به ذو النسبتين الحافظ ابن
الخطاب بن دحية إجازة، قال: صاحبت فى دهرى من الغرب سنة ثلاث وثمانين أبا
محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد، وكان أبو حفص بن رشيق يومئذ قد تمنع
ببعض حصون مرسية، وشرع فى الشقاق، وقطع السبيل، وإخافة الطريق، ولما حاذينا
قلعته وقسد احتدمت جمرة الهجير، ومل الراكب رسيمه وذميله، فأخذ كل منا يرتاد
مقيله، اتفقنا على ألا نطعم طعاماً ولا نذوق مناماً حتى نقول فى صورة تلك الحال
وذلك الترحال ما حضر، وشاء الله أن أجبل ابن وهبون فاعتذر، فقلت أريض نار
نزوته، وأعرض بعظيم لحيته:

ألا قل للمريض القلب مهلاً فإن السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالفراق شكاة حر ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحى النجيع هناك أرضاً وقد سمك العجاج به سماء
وديس به الخطاطا بطن واد قد اعشب شعر لحيته ضراء

٤٥١ - وقال ابن خفاجة: وحضرت يوماً مع أصحاب لى ومعهم صبي متهم فى
نفسه، واتفق أنهم تباروا فى تفضيل الرمان على العنب، فأنبرى ذلك الصبى، فأفرط
فى تفضيل العنب، فقلت بديهاً أعبت به:

صلنى لك الخير برمانة لم تنتقل عن كرم العهد
لا عنباً أم تنص عنقوده ثديا كأنى بعد فى المهـد
وهل تسرى بينهما نسبة من عدل الخصية بالنهد

فى بقية بدائع البدائى ٢٥٧
فخجل خجلاً شديداً وانصرف.

٤٥٢ - قال: وخرجت يوماً بشاطبة إلى باب السمارين ابتغاء الفرجة على خير
الماء بتلك الساقية، وذلك سنة ثمانين وأربعمائة، وإذا بالفقيه أبى عمران بن أبى تليد
رحمه الله قد سبقنى إلى ذلك، فألفيته جالساً على مصطبة دكان كانت هناك مبنية لهذا
الشأن، فسلمت عليه، وجلست إليه متأسساً به، فجرى أثناء ما تناشده ذكر قول ابن
رشيق:

يا من يمر ولا تمر به القلوب من الحرق
بعمامة من خده أو خده منها استرق
فكأنه وكأنه قمر تعمم بالشفق
فإذا بدا وإذا انشى وإذا رنا وإذا نطق
شغل الخواطر والجوا رح والمسامع والحدق
فقلت - وقد أعجبت بها جداً، وأثنى عليها كثيراً -: أحسن ما فى القطمة سياقة
الأعداد والاستتزال، لكنه قد استرسل فلم يقابل بين أطراف البيت الأخير والبيت
الذى قبله، فينزل بإزاء كل واحد منها ما يلائمه، وهل يحسن أن ينزل بإزاء قوله: «وإذا
نطق» قوله: «شغل الحدق» وكأنه نازعنى القول فى أن هذا غاية الجهل، فقلت بديهاً:
ومهفف طاوى الحشى خنث المعطف والنظر
ملاً العيون بصورة تليت محاسنها سـور
فإذا رنا وإذا مشى وإذا شـدا وإذا سـفر
فصح الغزالة والنعا مة والحمامة والقمر
فجن بها. قال على بن ظافر: والقطعة الأولى ليست لابن رشيق، بل هى لأبى
الحسين بن على بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة.

٤٥٣ - وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام أن أبا عبد الله بن أبى الخصال وقف
ببعض القضاة، واستأذن عليه فحجبه، فكتب إليه بديهاً:

جئناك للحاجة الممطول صاحبها وأنت تنعم والإخوان فى بوس
وقد وقفنا طويلاً عند بابكم ثم افترقنا على رأى ابن عبدوس
أشار بهذا القول إلى قول الوزير أبى عامر بن عبدوس:
لنا قاض له خلق أقل ذميمة النزق

إذا جئناه يحجبنا فنلعبه ونفترق

٤٥٤ - قال ابن بسام: كان أبو عبد الله ابن عائشة البلنسى مع ابن خفاجة فى جماعة مع أهل الأدب تحت دوحة خوخ منورة، فهبت ريح أسقطت عليهم بعض زهر، فقال ابن عائشة ارتجالاً:

ودوحة قد علت سماء تطلع أزهارها نجومها

هفنا نسيم الصبا عليها فخلتها أرسلت رجوما

كأنما الجو غار لما بدت فأغرى بها النسيما

٤٥٥ - وأخبرنى أبو عبد الله محمد القرمونى المقدم ذكره بدمشق، قال: كان بين السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية شىء لمدح مدحه به، فلم يجزه عليه، فصنع ذلك المدوح دعوة للمعتصم بالله أبى يحيى بن صمادح، واحتفل فيها بما يحتفل مثله فى دعوة السلطان مثل المعتصم، فصبر السميسر إلى أن ركب السلطان متوجهاً إلى الدعوة، فوقف له فى الطريق، فلما حاذاه رفع صوته قائلاً:

يا أيها الملك الميمون طائره ومن لذى مآتم فى وجهه عرس

لا تقربن طعاماً عند غيركم إن الأسود على المأكول تفترس

فقال المعتصم: صدق والله، ورجع من الطريق، وفسد على الرجل كل ما عمله.

٤٥٦ - قال على بن ظافر: أذكرتنى هذه الحكاية حكاية كنت نسيته، وقد تنبئت لها الآن، كان عباد بن الحريش قد مدح رجلاً من كبار أصفهان من أرباب الضياع والأملاك والتبع الكثير، كنت أعرف اسمه ونسبته، فمطله بالجائزة، ثم أجازته بما لم يرضه، فردّه عليه، وبعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة عظيمة غرم عليها ألوف الدنانير لأبى دلف القاسم بن عيسى العجلي، على أن يحيى إليه من الكرج، فلما استحق المغرم خرج عباد ليلاً، ووقف بين الكرج وأصفهان، ووصل أبو دلف، فلما وقعت عين عباد عليه وهو يساير بعض خواصه، أوماً إلى ذلك المسير له، وأنشأ بأعلى صوته:

قل له يا فديته قول عباد ذا سمج

جئت فى ألف فارس لغداء من الكرج

ما على النفس بعد ذا فى الدناءات من حرج

فقال أبو دلف - وكان أخوف الناس من شاعر - : صدق والله، أجيء من الكرج

إلى أصفهان حتى أتغدى بها! والله ما على هذا مزيد من ذناء النفس. ثم رجع من طريقه، وفسد على الرجل كل ما غرمه، وعرف من أين أتى، وتخوف أن يعود عليه عباد بأشد منها، فسير إليه جائزة سنية مع جماعة، فلم يقبل الجائزة، ثم أنشد بديهاً فقال:

وهبت يا قوم لكم عرضه

فقالوا: جزاك الله خيراً، فقال:

كرامةً للشعر لا للفتى

لأنه أحرص من ذرة على الذى تجمعه فى الشتاء

٤٥٧ - قال على بن ظافر: وذكر أبو الصلت فى رسالته ما معناه أنه عزم هو ورفقاؤه على الاصطباح، فقصدوا بركة الحبش فى وقت ولاية الغبش، وحلوا منها روضاً بسم زهره، ونسم عطره، فأداروها كثوساً تطلع من المدام شمساً، وعابنوها نجوماً تكون لشياطين الهموم رجوماً، فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه، وأبرز ابتهاجه وانبساطه، فقال:

والجوبين الضياء والغبش	لله يومى بركة الحبش
كصارم فى يمين مرتعش	والنيل تحت الرياح مضطرب
دبح بالنور عطفها ووشى	ونحن فى روضة مفوفة
فنحن من نسجها على فرش	قد نسجتها يد الغمام لنا
من سورة الهم غير منتعش	فعاطنى الراح إن تاركها
فهن أروى لشدة العطش	وأسقنى بالكبار مترعة
دعاه داعى الهوى فلم يطش	فأثقل الناس كلهم رجل

٤٥٨ - وأخبرنى الفقيه أبو الحسن بن المفضل القدسى، عن الفقيه الشريف أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى العثمانى الديباجى، عن أبى إسحاق إبراهيم بن المنفق اللخمى السبى، عن أبى الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت: كنت مع الحسن بن على بن تميم بن معد بن باديس بالمهدية فى الميدان، وقد رمى بالنشاب، فصنعت بديهاً:

يا ملكاً قد خلقت كفه	لم تدر إلا الجسود والباسا
إن النجوم الزهر مع بعدها	قد حسدت فى قربك الناسا

٢٦٠ فى بقية بدائع البدائه

وودت الأفلاك لو أنها تحولت تحتك أفراسا
كما تمنى البدر لو أنه أضحى لنشابك برجاسا

٤٥٩ - أخبرنى الشيخ الأديب أبو الحسن على بن خروف القيسى القرطبى رحمه الله، قال: صنع الوزير أبو جعفر أحمد وزير الرئيس أبى إسحاق بن همشك صهر الأمير أبى عبد الله محمد بن مروان، فى غلام أسود بيده قضيب نور بديهاً:

وزنجى أتى بقضيب نور وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفه فقلت الليل أقبل بالنجوم

٤٦٠ - وأخبرنى أن الأستاذ ابن الطراوة حضر مجلس شراب، فعجز بعض الندماء عن الشرب كما يشرب الجماعة، ويسألوه فى شرب نصيبه من بعض الأدوار، ففعل وقال بديهاً:

يشربها الشيخ وأمثاله وكل من تمد أفعاله
والبكر إن لم يستطع صولة تلقى على النازل أنقاله

٤٦١ - أنبأنى الشيخان تاج الدين بن اليمى الكندي، وقاضى القضاة جمال الدين أبو القاسم بن الحرستانى إجازة، عن الحافظ أبى القاسم بن عساكر، قال: وقد ذكر إبراهيم بن سعيد الإسكندرى المعروف بالسديد، وذكره لنا أبو عبد الله بن المحلى فيمن لقيه من أهل الأدب، قال: كان صاعد قد عمل شخص حديد ينفخ النار ساعات، فأراد السديد اختباره كما يجب، فأطفأ النار، فقال صاعد بديهاً:

نار تيممها السديد فردها برداً وكانت قبل وهى جحيم
فكأنما المفتاح آية ربه وكأن إبراهيم إبراهيم

٤٦٢ - وأنبأنى جميعاً عن الشيخ الحافظ أبى القاسم قال: أنشدنا أبو بكر عبد الله ابن منصور، قال: أنشدنا أبو الحسن محمد بن على بن الصفراء الواسطى لنفسه ارتجالاً، وقد دخل عزاء لصبى وهو فى عصر المائة وبه ارتعاش، فتغامز عليه الحاضرون، فقال:

إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاء وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضاً على الله إذ توفى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن ألف وما بين ذلك: هذا المصير

٤٦٣ - وبهذا الإسناد قال الحافظ: أخبرنى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن

أحمد الغسانى، قال: سمعت أبى ينشد لنفسه بديهاً فى صفة نهر ثوراء بحضرة أبى عبد الله محمد بن الحياط الشاعر:

دمشق دار رعاها الله من بلد ونهر ثوراء سقاها الله من واد
كأنه ونسيم الريح خمشه نقش المبارد فى سلساله الهادى
مزجت بالراح منه الراح فاكسبت لوناً وطعماً غريباً غير معتاد
فى روضة من رياض الخلد باكرها صوب الغمام بإبراق وإرعاد
ظلمت فيها رعى البال مع رشاء مهفهم كقضيبي البان مياذ

٤٦٤ - قالوا: وأخبرنا الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى قال: أنشدنى أبو البركات الخضر بن هبة الله بن أبى الهمام لنفسه، وكتب لى بخطه مما أنشده، وقد حضر بين يدى أمير المؤمنين الراشد بالله بن المسترشد على البديهة:

ولما شأوت الحاسدين إلى مدى رفيع يزل العصم دون مراره
ورفعت الأستار لى دون ماجد شفا غلتى من بشره وسلامه
سطوت على صرف الزمان بجوده وصلت على كيد العدا بانتقامه

٤٦٥ - وأخبرنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن على القرمونى قال: لما أفرط أبو يحيى البكاء فى هجاء أهل فاس، تعصبوا عليه، وساعدهم واليهم مظفر الخصى من قبل أمير المسلمين على بن يوسف، والقائد عبد الله بن خيار الجيانى، وكان يتولى أموراً سلطانية بها، فقدموا رجلاً ادعى عليه بدين، وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتى، ورجل يكنى بأبى الحسين من مشايخ البلد، فأثبت الحق عليه، وأمر به إلى السجن، فرفع إليه، وسيق سوقاً عنيفاً، فلما وصل بابيه طلب ورقة من كاتب وكتب فيها، وأنفذها إلى مظفر مع العون الذى أوصله إلى السجن، فكان ما كتب:

ارشوا الزناتى الفقيه ببيضة يشهد بأن مظفراً ذا بيضتين
واهذوا إليه دجاجة يحلف لكم ما نال عبد الله عرس أبى الحسين

٤٦٦ - وأخبرنى الشيخان تاج الدين العلامة أبو اليمان الكندى، والشيخ جمال الدين أبو القاسم بن الحرستانى إجازة، عن الشيخ الحافظ أبى القاسم بن عساكر قراءة عليه، قال: بلغنى أن علقمة بن عبد الرازق العليمى لما قصد بدرأ الجمالى بمصر، رأى على بابيه أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم، فسألهم عن حالهم، فأخبرهم بقدمه

قاصداً له، فكل آيسه من لقائه، فيناهم كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد، فلما رآه مقبلاً
علا نشزاً من الأرض، ثم جعل فى عمامته ريشة نعام ليشهر بها نفسه، فلما قرب إليه
أوما برقعة كانت معه وأنشأ يقول:

نحن التجار وهذه أعلاقنا	درر وجود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك إنما	هى جوهر تختاره الأسماع
كسدت علينا بالشام وكلمنا	قل النفاق تعطّل الصنّاع
فأتاك يحملها إليك تجارها	ومطيتها الآمال والأطماع
حتى أناخوها ببابك والرجا	من دونها السمسار والبيع
فوهبت ما لم يعطه فى دهره	هرم ولا كعب ولا القعّاع
وسبقت هذا الناس فى طلب العلا	فالناس بعدك كلهم أتباع
يا بدر أقسم لوبك اعتصم الورى	ولجوا إليك جميعهم ما ضاعوا

قال: وكان على يد بدر باز، فدفعه إلى البازدار، فضرب على يده وانفرد به عن
الجيش، وجعل يستعيده الأبيات وهو ينشدها، إلى أن استقر فى مجلسه، ثم التفت إلى
جماعة غلمانة وخاصته وأصحابه، وقال: من أحببني فليخلع على هذا الشاعر. قال
علقمة: فوالله لقد خرجت من عنده ومعى سبعون بغلاً تحمل الخلع، وأمر لى بعشرة
آلاف درهم، فخرجت فقلت لمن ببابه: الحقونى يا متخلفين، فلحقونى بأجمعهم، فما
فيهم إلا من خلعت عليه ووهبت له من جائزتى.

٤٦٧ - وذكر القاضى أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين الأمدى النائب كان
فى الحكم بالإسكندرية، قال: دخلت على الأمير السعيد بن مظفر فى أيام ولايته
بالغمر، فوجدته يقطر دهنًا على خنصره، فسألته عن سببه، فذكر ضيق خاتمته عليه، وأنه
ورم بسببه، فقلت له: الرأى قطع حلقة قبل أن يتفاقم الأمر فيه، فقال: اختر من يصلح
لذلك، فاستدعيت أبا منصور ظافر بن القاسم الحداد، فقطع الحلقة وأنشد بديهاً:

قصر فى أوصافك العالم وأكثر النائر والناظم
من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسنه الأمير ووهبه الحلقة، وكانت من ذهب. وكان بين يدي الأمير غزال
متأنس قد ربض، وجعل رأسه فى حجره، فقال ظافر:

فى بقية بدائع البدائـة ٢٦٣

عجبت لجرأة هذا الغزال وأمر تخطى له واعتمد
وأعجب به إذ غدا جائماً وكيف اطمأن وأنت الأسد
فزاد الأمير والحاضرون فى الاستحسان. وتأمل ظافر شابكاً على باب المجلس تمنع
الطير من دخولها، فقال:

رأيت ببابك هذا المنيف شابكاً فداخلنى بعض شك
وفكرت فيما رأى خاطرى فقلت البحار مكان الشبك
٤٦٨ - وأنبأنى العماد أبو حامد قال: وفد أبو الصقر الواسطى على نظام الملك
رحمه الله، فحجب عنه، فكتب إليه بديهاً:

لكن خلف الباب منها مالكا
هذا نظام الملك ضد المقتضى
أنعم بتيسير الحجاب فإننى
ما لى أصادف فى رحابك جفوة
قال: فلما أذن له قال له: إذا كنت غنياً عن مالنا فانكف عنا، فقال: كلا، أنت
شافعى المذهب، وقد جئت لك لذهبك لا لذهبك.

٤٦٩ - وأنبأنى العماد أيضاً قال: ذكر عمارة فى كتابه فى أشعار أهل اليمن قال:
وهب الداعى محمد بن سبالا بن سلمان - رجل من قومه - ألف دينار، والقاضى يحيى
ابن أحمد بن يحيى حاضر - وبنو يحيى بيت كبير بصنعاء - فارتجل القاضى لوقته:

لا فخر إلا إذا أقبلت مستلماً كفى المكين ظهير الدين مولانا
هى التى تهب الآلاف وافية إن كنت غراً فسل عنها ابن سلمانا
فقال الداعى: أنا أبو عبد الله، أما ابن سلمان فهو ابن عمى، وإنما المسئول عنها
أنت. ثم أمر له بألف دينار، فقبضها فى الحال.

٤٧٠ - وذكر عبد الرحمن بن نصر الدمشقى فى كتابه المسمى بـ«التحفة والطرفة»
أن الوزير المزدقانى خرج للتنزه، فرأى امرأة فى بعض القصور فأعجبته، فوقف متأملاً
لها، فأشارت إليه، وأنس منها قبولاً، فأرسل إليها رسولاً يعلمها بشدة شوقه ووجده
بها، فردت رسوله ومعه تفاحة عبر فيها زر من ذهب، ولم تكلمه بشيء، فلم يظن هو ومن
حضره لتأويل ذلك، فقال له ابنه أحمد: قد فهمت ما أردت، ونظمه فى الحال فى بيتين

أهدت لك العنبر فى جوفه زر من التبر خفى اللحم
فالزر فى العنبر معناهما زر هكذا مختفيا فى الظلام

٤٧١ - وأنبأنى الفقيه أبو الحسن بن المفضل المقدسى، قال: أخبرنى الشيخ أبو الحسن على بن عتيق بن مؤمن القرطبى الأنصارى قال: عمل والدى محملاً للكتب من قضبان شبه سلماً، فدخل عليه أبو عبد الله محمد بن مفيد فرآه، فقال ارتجالاً مخبراً عن لسان حال السلم:

أيها السيد الذكى الجنان لا تقسنى بسلم البنيان
فضل شكلى على السلام أنى عمل للعلوم والقرآن
حزت من حلية المحبين ضعفى واصفرارى ورقة الأبدان
فادع للصانع المفيد بفوز ثم وال الدعاء للإخوان
ثم عمل أيضاً:

أيها السيد الكريم المساعى التقت صنعتى وحسن ابتداعى
أنا للكتب محمل خف حملى أنا فى الشكل سلم الإطلاع

٤٧٢ - وأنبأنى الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى قال: أنشدنى تاج الدين المسعودى أبو سعيد عبد الرحمن قال: أنشدنى ظهير الدين أبو النجيب الحسن بن شهراسوب القاضى أبو بكر الأرجانى، وقد دخل عليه من طمع فى طيلسانه، فقال ارتجالاً:

حسبك منى يا فتى خلعة أمسك عن نشر مساويكا
فى طيلسانى لا تكن طامعا طى لسانى عنك يكفيك

وقد أخبرنى العماد أبو حامد أنه سمع جميع شعر القاضى أبى بكر على ابنه عنه، وطلب منى قراءته عليه، فلم أنفـرغ له، وأجازنيه فى جملة ما أجازنى روايته عنه.

٤٧٣ - وأخبرنى القاضى الوجيه الحسين أبى منصور بن حران الواسطى قال: كنت مع خالى نجم الدين بن أبى الغنائم بن المعلم الهرنى على طعام، فأنهى إليه أن ظهير الدين محمود بن محمد بن بردامسيا ضامن بلاد واسط، قد طرح على قرى كانت فى ملكه عدة أكرار أرز، فناولنى درجاً، ثم قال لى: اكتب، فكتبت:

إيه ظهير الدين إنك فى ندى ووغى كغيث جداً وليث عرين
وإذا امرؤ ضاقت عليه أموره وكأنه فى حلقة التسعين
ودعا بك انفرجت سجون صعايبها عنه بأبلغ شامخ العرينين
ثم أتبعها رسالة أملها لى إليه وأرسلها.

٤٧٤ - وأنبأنا العماد الأصفهاني إجازة، قال: اجتمعت أنا والمرضى ابن أبى المؤيد الجعفرى الأصفهاني، فجرى بيننا فى المحاورة ذكر رجل يقال له: ابن عمرو، وكان ينسب إلى كبر، فنظم الجعفرى بديهة يخاطب جمال الدين بن الخجندى فقال:

أيها الصدر كم تشيع فينا من تخيرته بما ليس فيه
وإذا ما عددت أبناء فضل فابن عمرو كمثل واو أبيه
٤٧٥ - وأنبأني أيضاً قال: أخبرني أكرم الدين أبو سهيل خازن دار الكتب بالنظامية قال: دخل على عزيز بن محمد السلمكى دار الكتب ويده عصا، فقلت: إن العصا للشيخ رجل ثالثة، فقال بديهاً:

ضعف جسمى لمشيى لم يضع منى وقارا
صار حالى عبرة العا قل إن رام اعتـبارا
العصا صارت حمارى ولها صـرت حمـارا

٤٧٦ - قال على بن ظافر: وأخبرني بعض أصحابنا أن أبا القاسم بن هانى الشاعر المحدث قد هجا الأجل الموفق أبا الحجاج يوسف بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات هجاءً اتصل به، فأضمر له الحقد بسببه مع إفراط جلاله الرجل، وفرط رياسته، وحسن معاشرته للناس وسياسته، واتفق بعض المواسم التى جرت عادة ملوك مصر بالجلوس فيها لاستماع المدائح وبذل المنائح، وزف بنات القرائح، فجلس الحافظ لذلك، وحضر خواصه فى ظاهر الرواق على مراتبهم، فانتهدت النوبة فى الإنشاد إلى أبى القاسم بن هانى، فأنشد ما اهتزت له المعاطف، وفـض خـتام روضة ليس لها إلا القلب والسمع جان وقاطف، فمال الحافظ إلى القاضى الموفق متعجباً، وقال له: كيف تسمع؟ فاستحسن واستجاب، حتى نسبه إلى الإعجاز أو كاد، وهو فى خلال ذلك يصنع صنع المخاتل، ويحاول قرطسة المقاتل، فسأله الحافظ عن الرجل، فأثنى على أدبه، وثنى بنسبه، حتى أوهمه الاعتناء به.

ففى بقية بدائع البدائه
 ثم قال: ولو لم يكن له مما يمت به إلا انتسابه إلى أبى القاسم بن هانىء شاعر هذه الدولة، ومظهر مفاخرها، وناظم مآثرها لكفى، فكيف وفيه هذا الأدب الغض النضير، والشعر الذى لا ند له ولا نظير! لولا بيت أظهره منه الضجر عند دخوله هذه البلاد، فقال له الحافظ: ما هو؟ فتخرج من إنشاده، وامتنع من إيراده، فأبى الحافظ إلا أن يورده، ففى أثناء ذلك صنع هذا البيت وأنشده:

تبا لمصر فقد صارت خلافتها عظماء تنقل من كلب إلى كلب
 فعظم ذلك على الحافظ، وأمر بقطع صلته، وكاد أن يفرط فى عقوبته، ولم يحصل له انتعاش من جهته طول مدته.

٤٧٧ - قال على بن ظافر: وأخبرنى الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى قال: أخبرنا تاج الدين أبو سعيد - وهو أبو عبد الله أيضاً - محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودى، قال: جاء رجل إلى أبى نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن شمر الصخديهى - وكان قاضى بلد تعرف بخمس القرى - وكان من العلماء الفضلاء، فقال له فى معرض الدعابة والمزاح: اشهد علىّ أننى قد وقفت معدتى على سائر ألوان الطعام، فقال: قد شهدت، فقال: سجل لى، فأمر كاتباً فكتب كتاب وقف، فلما قدم إليه كتب فى موضع الشهادة هذه الأبيات - قال: وكان ارتجالها ما بين ابتداء الكتاب وفراغه - وهى:

يقول أبو نصر المبتلى بأمر القضاء بخمس القرى
 أقر بـضمونه طائعاً أبو الأكل ملتقم ابن القرى
 وحليته صاحب الطيلسان مديد الحوايا قصير القرا

٤٧٨ - وأخبرنى الفقيه الحافظ بن دحية قال: دخلت على الوزير الفقيه الأجل أبى بكر عبد الرحمن بن محمد مغاور السلمى، فوقع الكلام فى علوم لم تكن من جنس فنونه، فقال بديهاً:

أيها العالم أدركنى سماحاً فلمثلنى يحق منك السماح
 أن ترانى إذا نطقت عيياً فبنانى إذا كتبت وقاح
 أحرز الشأو فى نظام ونثر ثم أثنى وفى العنان جهاج
 فبهزل كما تأود غصن وبجد كما تسلس الصفاح

فى بقية بدائع البدائه
 ٤٧٩ - وأخبرنى أيضاً قال: دخلت عليه منزله بمدينة شاطبة فى اليوم الذى توفى فيه وهو يجود بنفسه، فأنشد بديهاً:

أيها الواقف اعتباراً بقبرى استمع فيه قول عظمى الرميم
 أودعونى بطن الضريح وخافوا من ذنوب كلومها بأدى
 تركونى بما اكتسبت رهينا غلق الرهن عند مولى كريم
 ٤٨٠ - وأخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد المقدم ذكره، عن أبيه بما معناه، قال:
 كنت بمجلس الصالح فى يوم أسدل الجو به ستور الغمام، واختفت الشمس فيه اختفاء
 النور فى الكمام، ونثرت السماء درر البرد نثراً عم الربا والآكام، حتى وصل إلى
 أطراف بسط المجلس، فصنع القاضى الموفق بن قادوس قطعة شذت عنى لبعدى عنها،
 إلا قوله منها:

ولكن أتتك ثغور السحاب تقبل بين يديك البساطا
 ٤٨١ - وأخبرنى أيضاً رحمه الله قال: أخبرنى أبى بما معناه قال: كنت فى مجلس
 فارس المسلمين أخى الصالح، وقد نصب سماتاً بمجلسه لخواصه، ونصب سماتاً آخر
 فى بعض المجالس لجماعة من أمراء العرب، وفى جملةهم الأمير إبراهيم بن شادى بن
 مرجان، وهو يومئذ يهتز كالغصن الممطور، وبأبز كالظبي المذعور، قبل أن يصير أحد
 الأمراء الأجداد، والكرماء الأنجاد. قال: فبصرت أنا والأمير علو الدولة حاتم بن
 العسقلانى به، وقد كشف عن معصمه، وهو يشف عن نحه ودمه، فكأنه عمود بلور
 تبدى، وقد حشى ورداً، ووجهه تحت لثامه كالبدر خلف غمامه، قال: فصنع بديهاً:

سلمت من فتنة العيون فارحم فتى هام بالفتون
 قلبى بلى من بلى بظبى يختلس الليث فى العرين
 مذ عقد القاف حل منى عقدة عزمى وعقد دينى
 يقول والقلب فى هواه بلا مجير ولا معين
 إن كنت فرداً بحسن وجه وكنت من ذا على يقين
 فاخلع ثيابى وانظر تشاهد عساكر الحسن فى الكمين

٤٨٢ - وأنبأنى العماد أبو حامد قال: أنشدنى أبو السعادات على بن بختيار لنفسه
 فى البرغوث والبوق، وقد اقترح عليه بحضرة جماعة من الفضلاء، فقال بديهاً:

..... فى بقية بدائع البدائه

ولما انتحى البرغوث والبق مضجعى ولم يك من أيديهما لى مخلص
صفقت بكفى إذ مدامتها دمى فزمر هذا وابتدا ذاك يرقص
قال العماد: وقد كنت عملت أبياتاً ارتجالاً لأصف بها ليلة بتها بنهر دقلا، فقلت:

يا لحا الله ليلة قرصتنى فى دياجيرها البراغيث قرصا
شربت بقها دمى فتغنت وبراغيثها تواجدن رقصا
قد تعريت من ثيابى لقرصى غير أنى لبست منهن قمصا
كلما زدت منعهن بحرص عن فراشى شربن فازددن حرصا
من براغيث خلتها طافرات طائرات جناحها قد قصا
عرضت جيشها الفريقان حولى وهى أوفى من أن تعد وتحصى
لو غزا سنجر بها الغز يوما لم يدع منهم على الأرض شخصا

ومثل هذا ما أنشدنيه الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب بن دحية الحصرى:

ضماقت بلنسية بى وذاد عنى غموضى
رقص البراغيث فيها على غناء البعوض
وما أنشدنيه أيضاً للسميسير:

بعوض شربن دمى قهوة وغننى بضروب الأغنان
كأن عروقى أوتارهن وجسمى الرباب وهن القنان
وأحسن من هذا كله قول ابن رشيق القيروانى:

لك مجلس كملت بشارة لهونا فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله فيه البعوض ويرقص البرغوث
وأسبق من هؤلاء إلى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب - من شعراء اليتيمة فى قوله:

لا أعذل الليل فى تطاوله لو كان يدرى ما نحن فيه نقص
إذا تغنى بعوضه طربا أطرب برغوئه الغنا فرقص

٤٨٣ - وأخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى، قال:

دخلت على الأديب الأعز أبى الفتوح بن قلاقس وهو مريض، فقال: قد صنعت بيتين
بديهما فى الحمى، ووصفتها بأحسن من صفة أبى الطيب، فأنشدته إياهما، فأنشدهما:

وبغيضة تدنو وما دعيت فتبـيت بين الجلد والكبد
 يصبو الفؤاد لـيـنـها فـإذا ولـت بـكـاها سائر الجسد
 ٤٨٤ - وأخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن المقدسى قال: كنت معه - يعنى ابن
 قلاقس - فمر بنا صـبى صـبيـح معروف الاسم فى ثوب أحمر، وعمامة زرقاء،
 فاستحسنه الحاضرون، فصنع فى الحال:

هذا أبو الفضل بدر الأرض قد صفاته أنه كالـبدر فى الأفق
 لما تعمم تـيـها بالنـسـماء بدا وفوق أعطافه ثوب من الشفق
 ولا تقل لاح فى خديه عارضه فإنما هو تأثير من الغسق
 ٤٨٥ - وأخبرنى أبو عبد الله المنجم بن الصواف قال: دخل منزلى الأديب الأعز
 أبو الفتوح بن قلاقس وجماعة من أصحابنا، فأحضرت لهم بطيخة صفراء وشققـتها
 وفرقتها عليهم، فارتجل الأعز:

أتانا الفقيه بـبطـخة وسـكـينة قد أجـيدت صـقالا
 فقطع بالبرق بدر الدجى وناول كل هلال هلالا
 ٤٨٦ - وأخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد، عن أبيه قال: كنت عند الأمير شمس
 الملك نبهان بن عين الزمان، وعنده الأعز بن قلاقس وجماعة ممن يجالسه، وعنده مغن
 يقال له: الحسام، وهو ابن صاحب ربع المشهور، فجعل يغنى ببليقة لحسام الدين
 الإسكندرانى فى هجاء ابن قلاقس، أولها:

اسـألـوا عـنـى فـتـوح بـن قـلـاقـس
 كـيـف رآى ضـرب الشـلـوح بالـدـرافـس
 فعز على ابن قلاقس ما فعله، وأوهم أنه يمضى إلى بيت الخلاء، فقام ثم عاد سريعاً،
 فوقف على باب المجلس، وقال:

لـيس الحـسـام حـسـاماً وإنـما هـو غـمـد
 يـشـدو فـكـم مـن فـؤاد تحـت الـسـيـاط يـشـد
 قـد قـلت إذ تـاه فـيـنا تبـظـر مـا لا يـحـد
 خـرا عـلـيـك ولـو أن مـعـبـداً لـك عـبـد
 فكأنما ألـقم حجراً.

..... فى بقية بدائع البدائه

٤٨٧ - وأخبرنى الأنجب السخاوى الساكن بالإسكندرية قال: لما وصل الأديب الأعز بن قلاقس من صقلية، وكان قد انتجع أبا القاسم بن الحجر، فانبجس بعيون العطاء وانفجر، خرج للسلام عليه جميع معارفه، وخرجت فى جملتهم، فلما نزل من المركب، وأخذنا فى السلام عليه، إذ بأبى العباس أحمد بن محمد بن أبى الصلاح قد خرج، فحين وقعت عينه عليه - أى على الأعز - أنشد مرتجلاً:

أظل هلال عاشقين فلا أهلاً ولا مرحباً بالقادمين ولا سهلاً
ثم انصرف وتركنا متعجبين لسرعة بديهته وقلة وفائه.

٤٨٨ - أنبأنى العماد أبو حامد رحمه الله، قال: جرى بين يدى القاضى الفاضل رحمه الله يوماً ذكر حب الصغير، فارتجل هذه الأبيات:

طفل كفاه القلب داراً له كأنما القلب له قالب
كيوسف الحسن وقلبى له سجن ومائم له صاحب
أصبح والقلب لباس له لا قاصر عنه ولا ساحب
وهو بعينى وهو إنسانها وهى له من خارج حاجب
ضاق به ضيق عناقى له فلم يسع ما قاله العائب

٤٨٩ -- قال: وجرى بين يديه ذكر سيف السلطان الملك الناصر رحمه الله، فارتجل قطعة، علق بحفظى منها:

ماضيات على الدوام دوامى هى فى النصر نجدة الإسلام
فى يمين السلطان إذ جردتها أشبهتها صواعق فى غمام
تنثر الهام فى الحروب فما أش به هذى السيوف بالأفلام
فى محاريب حربه البيض حلت وركوع الظبا سجود الهمام

٤٩٠ - وأخبرنى السعيد أبو القاسم بن سناء الملك رحمه الله، قال: خرجنا للقاء القاضى الفاضل رحمه الله تعالى فى بعض قدماته من الشام، فلقيناه وعدنا، فلما كنا فى سطح الخشى عن ظبى للموكب، فركض خلفه المكين بن حيون، طامعاً أن يلحقه، وكان مثل هذا الفعل لا يليق به؛ لأنه ليس من أهله، ولأن الصدر المتلقى لا ينبغى أن يغلط بين يديه مثله، فعجب الفاضل منه، واتفق أن فاته الصيد الذى طلبه، وسقطت مقرعته من يده، ورجع إلى الموكب وعليه انكسار الفوات وحجل الغلط، فارتجل الأجل

يا عادياً عدو السفـيـه — وعائداً عود الحليم
ضـمـيـت مقـرعة وعد ت سميها من غير ميم
٤٩١ - قال: وأخبرنى الفقيه أبو العباس أحمد الأبي، وكان كثير الصحبة للأجل
الفاضل فى صدر عمره أيام كونه بالإسكندرية، قال: كان يصحبه رجل يعرف بابن
بليمة، ولا يكاد يفارقه، وكان يحضر عنده رجل مغن من أهل الثغر يعرف بشهاب،
وكان يغنى الموشحات، فغنى ليلة، واتفق أن نعس ابن بليمة، فأنبه، فضرط، فضحك
الأجل الفاضل وارتجل:

تغنى شهاب لنا ليلة غناء له هجع السمر
فأعجب هذا ابن بليمة فأقبل من دبره ينعر
٤٩٢ - وأخبرنى الفقيه شجاع الغزالى المتقدم ذكره، قال: مضيت أنا ونشو الملك
على بن مفرج بن المنجم المقدم ذكره إلى دار الكامل شجاع بن أمير الجيوش بن شاور
آخر وزراء الدولة المصرية، ومن كان انقضاؤها بموته، ومعنا قصيدتان قد امتدحناه بهما
فى بعض الأعياد، فرأينا رماحاً قد عملت برسم الموكب، وجعل عليها مكان اللهازم
أهلة من ذهب، فقال نشو الملك: قد وقع لى فى هذه الرماح معنى، فصنع فى الحال:

فعال الكامل الملك المرجى على ما فيه من فضل أدله
نحـا برماحه نحو الأعـادى فكل قد سقاه بها وعـله
ولم يرض النجوم لها نصالاً فنصلها هنالك بالأهـله
ثم كتبها وبعث بها إلى الكامل، فخرجت جائزته فى الحال.

٤٩٣ - وأخبرنى الفقيه الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحموى المتقدم ذكره،
قال: كان بمصر صبي مستحسن وضىء الوجه اسمه أسد، قد شغف به رجل اسمه
الفار، ووقع بينهما ما أدى الرجل إلى أن قتل الصبى وهرب، وخاض الناس فى أمره،
وأكثروا الحديث فيه، فجلست يوماً بسوق الكتب، إذا بابن المنجم قد مر راكباً، فحين
رأنى ثنى رجله على معرفة فرسه، ووقف للحديث، فمر علينا فى أثناء ذلك شاب
مشهور بجمال وانتماء إلى أهل الأدب، فأنشدنا مرثية زعم أنه رثى بها الصبى القتل،
فصنع ابن المنجم فى الوقت:

ولم أر قبله أسداً قتيلاً لفأر ظل يرثيه غزال
٤٩٤ - وأخبرنى بعض أصحابنا قال: قال لى نشو الملك بن النجم: ما رأيت أوقح
ولا أصغر جواباً من أبى الحسن الذروى - يعنى المقدم ذكره رحمه الله - مريوماً وهو
راكب بغلة، وبين يديه عبد له، فصنعت فى الحال:

قل لمن تاه حين مـــــر علينا ببغله
بعد أن كان ليس يمس لك شسعاً لنغله
سقت قدامك الغلا م جزاءً بفعله
هكذا كل شاعر بغله خلف بعله

ثم كررت مسرعاً لألحقه، فتأخر غلامى عنى لأجل إسراعى، واستوقفته وجعلت
أنشده وهو يحسن الاستماع حتى انتهيت، فقال: ليس كل شاعر كذلك، ها أنت شاعر،
وبعلك خلف بغلك، فكلحت والله وانصرفت.

٤٩٥ - وأخبرنى الفقيه القاضى أبو موسى عمران الخندقى رحمه الله، قال:
دخلت أنا وجماعة من أصحابنا على الوجيه الذروى المذكور، وهو وجماعة من أصحابنا
يشربون، فمزحنا وداعبناهم، فصنع بديهاً:

ويوم قاسمتنا اللهو فيه أناس ليس يدرون الوقارا
أدرنا الصفع والكاسات فيه فعربدت الصحاة على السكارى

٤٩٦ - وأخبرنى الفقيه العفيف شجاع العربى المقدم ذكره قال: اجتمعت مع
الوجيه أبى الحسن بن الذروى، والأديب نشو الملك بن المنجم، وجعفر القرشى المنبوز
بشلع - المقدم ذكر الجميع - عند القاضى الأسعد بن الخطير بن مماتى فى بستانه،
فمدحته بقطعة لإحسان كان منه إلى، وكتبها فى ورقة كرم، فحين وقف عليها صنع
بديهاً:

أطربنا شعر العفيف الذى قد فاق فى النبل وفى الفهم
لو لم يكن يسكرنا شعره ما صاغه فى ورق الكرم

٤٩٧ - قال على بن ظافر: وكنت يوماً عند الأمير عضد الدين أبى الصوارم مرهف
ابن الأمير مجد الدين أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ، فدخل عليه رجل
من بقايا جند مصر يعلم الرمى بالنشاب، واسمه الليث بن دبوس، وهو معبس

الوجه كالحه، ثانى عطفه جاعحه، فقال الأمير يداعبه بديهاً:

أصبح اللـيث يوافـي —نا بتعبـيس وتـيه
فمتى أنظر فى يا فـوخه اسم أبـيه
فاستحسنت البيتين، ثم صنعت فى معنهما بعد ذلك بحين، وزدت عليه:
قد جاءنا اللـيث بن دبوس على عادته فى الانقباض ورسمه
فمتى أرى اسم أبـيه فى يافوخه ومتى أرى ناب اسمه فى جسمه
وهذه طريقة بديعة، ومن أحسن ما سمعت فيها قول السلامى فى صبي يعرف بابن
برغوث:

بليت ولا أقول بمن لأنى إذا ما قلت من هو يعشقه
غزال قد نفى عنى رقادى فإن غمضت أيقظنى أبوه
وللصاحب بن عباد فى مغن يعرف بابن عذاب:

أقول قولاً بلا احتشام يفهمه كل من يعيه
ابن عذاب إذا تغنى فإننى منه فى أبـيه
٤٩٨ - ولأبى الوليد النحلى الأندلسى خبر يدخل فى بدائع البدائـه، قال ابن
طوفان: دعا أبى أبا الوليد، فلما قضا وطهرهم من الطعام، جلست أسقيهم، وجعلت
أترع له الكاسات، فلما مشت فيه سورة الحميا ارتجل قائلاً:

لابن طوفان أياد قل فيها مشبهوه
ملاً الكاسات حتى قيل فى البيت أبوه
وللمعقل من شعراء كتاب الذخيرة لابن بسام فى شاعر يعرف بابن الفراء:

فإذا ما قال شعراً نفقت سوق أبـيه
٤٩٩ - أخبرنى الفقيه تقى الدين اليونى الشاعر المعزو إلى ميفارقين سنة ثلاث
وستمائة، قال: اقترح صاحب قرقيسيا الملك المظفر محمود بن عماد الدين زنكى على،
وعلى جماعة كانوا على بابـه من الشعراء أن يعمل فى سرج ما يكتب عليه، فصنعوا
وصنعت بديهاً:

ففت السروج فمسكى المسك رائحةً بغير شك كما عودى هو العود

تحتى البراق متى رمت اللحاق ومن فوقى خليفة هذا العصر محمود
قال: فاستحسنه وأجازنى.

٥٠٠ - وأخبرنى موفق الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله
البغدادى بجران، قال: أنشدنى أبو عبد الله محمد بن جمل صاحب الجرمى لنفسه ارتجالاً:

وعروس خدر حين نبرزها تسطو كأن فؤادها لهب
خلع المزاج على معاطفها ثوباً كأن شعاعه الذهب
وأراد يجلوها فصاغ لها تاجاً ورصع تاجها الحب

٥٠١ - وأخبرنى موفق الدين أبو الحسن على بن محمد البغدادى الساكن برأس
العين، قال: كنت فى خدمة السلطان الملك الأشرف - أبقاه الله - بدمشق، فدخل عليه
الرشيد عبد الرحمن النابلسى الشاعر الملقب مدلويه، وعلى عينه خرقة، فجرت بينى
وبينه معاتبة، فقلت بديهاً:

إن أظلمت عين مدلويه فمن كثرة نقص العهود والذمم
يقسم ألا يخون صاحبه وهو يصير الفجور فى القسم
لو خلق الشعر قيل مسترق واللص يبنى بكثرة التهم
أو شرب المسكرين فى حلب كرسمه بعض ليله لعمى
ولو يكون المجير بعد بها حيا لرمى بالعمى وبالصمم

قال على بن ظافر: المسكران المشار إليهما النبيذ والصفع، والمجير رجل من ندماء
الملك الظاهر كان كثير العبث بالمذكور فى مجلس الملك الظاهر، وهو الذى عناه الأديب
شرف الدين الحلى صاحبنا بيتين من قوله، وكتب بهما إلى الرشيد المذكور إلى دمشق،
أنشد فيهما الموفق عنه، وهما قوله:

قدم العزم يا رشيد وبادر فلقد آن من نواك الحضور
ما تبقى على قذالك نطع تاب سلطاننا ومات المجير

٥٠٢ - وأخبرنى الشهاب ابن أخت نجم الدين بن المجاور - المقدم ذكره - قال:
حضر ابن عنين الشاعر الدمشقى وابن الرومى البسام عند خالى، فتذاكرت معه فى
تشبيه الثغر بالثريا، فادكر قليلاً ثم أنشد:

يا غزلاً أرى الغواية رشداً فى هواه والرشد فى الحب غيا

ما رأينا قبل ابتسامك بدر التـم يفتر عن نجوم الثريا
٥٠٣ - وأخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد المقدم ذكره، عن العماد بن ناصر الدولة
رحمه الله قال: اجتمعنا ليلة بدمشق فى دعوة غناء، ومعنا ابن عنين وعمر غلام الحكيم
بن المطران، فأخذنا فى الحديث باستحسانه واستعظام أمره فى الحسن وشانه، وتمنى
الوصول إلى وصاله، وتشهى الاستمتاع بجماله، فقال له بعض الحاضرين: نبه لها عمر،
وأطرق ثم أنشد بديهاً:

وحاجة بت أشكوها إلى ثقة وقد تزاومت الأشجان والفكر
فقال لى مشفقاً نبه لها عمرأ فقلت واخييتى إن لم ينم عمر
وعمر هذا هو الذى يشير إليه ابن عنين فى قصيدته المسماة مقراض الأعراض التى
عم فيها أهل دمشق بالهجاء، وأولها:

أضالع تنطوى على كرب ومقله مستهلة الغرب
ومنها يعنى الحكيم بن مطران:

ترى أرى سيدى الموفق يخـتال فى عراضها الـرحب
يمشى الهوينى وخلفه عمر يختال مثل المهاة فى السرب
وسيدى قلماً يشاكلة فى الناس إلا تبظرم الـرحبى
المدعى أنه بحكمته علم بقراط صنعة الطب
٥٠٤ - وأخبرنى الأعز بن المؤيد رحمه الله أنه حضر عند بعض الرؤساء، فناولـه
شمامة ريجان وورد، فصنع فى الحال:

سيداً قد أسدى لنا من أياديـه فعـالا تنزه الأبصارا
قرنت راحتاك بالورد ريحا نا فأهدت إلى الخدود عذارا
٥٠٥ - قال على بن ظافر: دخلت يوماً على القاضى الفاضل - رحمه الله -
فجرى فى مجلسه من فنون المذاكرة ما أدها إلى أن قال: كان الرشيد أحمد بن الزبير قد
اجتمعت فيه صفات وأخلاق تقتضى أن تجود معانى الهجاء فيه، من ذلك أنه كان
أسود، ولا يزال يدعى الذكاء، وأن خاطره من نار، فقال فيه ابن قادوس:

إن قلت مسن نار خلقـت وفقت كل الناس فهما
قلنا صدقت فما الذى أطفأك حتى صرت فحما

وأرسل إلى اليمن ولقب علم المهتدين، فقال فيه بعض الشعراء من قطعة يخاطب الخليفة:

بعثت لنا علم المهتدين ولكن علم أسود
يعنى أن الأعلام السود إنما تكون للعباسيين، وأعلام تلك الدولة بيض. وتولى مطابخ الخليفة، فقال فيه بعض الشعراء يخاطب الخليفة:

تولى على الشيء أشكاله فتحسب هذا لهذا أخا
تولى على المطبخ ابن الزبير تولى على مطبخ مطبخا
وكان ينافر فى سوق الشعر ويسرق المعانى، فقال فيه ابن فادوس:

سلخت أشعار الورى جملة حتى دعوك الأسود السالخا
فأخذ الأسعد الخطير يستحسن هذه القطعة، فقلت له: كما تقول، إلا أنه لحن فى قوله: «الأسود السالخ»، وإنما قال: أسود سالخ، وسام أبرص، فاللحن يقيم الوزن، والصواب يكسره، فهو بين خطتى خسف. فأخذ فى المشاغبة إلى أن قال: من أين نقلت هذا؟ فقلت أحضر شاهدى عندك الساعة، كتاب الحيات من كتاب الحيوان للجاحظ، فقال: الجاحظ ليس من أهل اللغة، ونقله فى هذا الموضع لا يسمع، فقال الأجل الفاضل: دع هذا، فالصواب معه، وهذا مجمع عليه، ولكن عرفنا كيف يصنع حتى ينظم المعنى، فقلت: يترك هذا الوزن وينظمه فى وزن يستقيم عليه الصواب، فقال: انظمه لنا، فقلت ارتجالاً:

وسلخت أشعار البرية كلها حتى دعيت لذاك أسود سالخا
فقال: مثلك يقول «لذاك»، فقلت: حتى دعاك الناس، فقال: إنما كنت أريد أن تنظمه أخصر من بيته.

ودخل عليه من انقطع طلبه لدخوله، فلما سكن المجلس قال: تعرف له وجهاً يذهب النقد عنه، ويخلصه من الطعن عليه؟ قلت: مولانا أعلم، فقال: إنه حكى عن الناس تلقيبهم إياه بالأسود السالخ، فكانه لحن على الحكاية، لا لأنه حكى عنه هذا، فاستحسنه وإن لم يكن صحيحاً من الأعذار، ثم خرجت فلقيت الأسعد بن عبد الرحمن بن شيث، فحكيت له الحكاية، فقال: لما طلب منك اختصاره كنت تقول - وقال على الفور:

وسلخت أشعار الورى فدعوك أسود سالخا

٥٠٦ - قال على بن ظافر: بت ليلة أنا والشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين فى منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور، وشهدت له ساميات البروج بالاعتلاء والعروج، قد ابيضت حيطانه، وطاب استيطانه، وابتهج به سكانه وقطانه، والبدر قد محا خضاب الظلماء، وجلا محياه فى زورقة قناع السماء، وكسا الجدران ثياباً من فضة، ونثر كافوره على وجه الثرى بعد أن سحقه ورضه، والروض قد ابتسم محياه، ووشت بأسرار محاسنه رياه، والنسيم قد عائق قامات الغصون فميلها، وغصبها مباسم نورها وقبلها، وعندنا مغن قد وقع على تفضيله الإجماع، وتغايرت على محاسنه الأبصار والأسماع، إن بدا فالشمس طالعة، وإن شدا فالورقاء ساجعة، تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه، وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه، وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب، ويستجيش عليه بتلويح بارقة الموشى بالذهب، ويديم حرفته وسهده، ويبدل فى إلفاته طاقته وجهده، فتارة يضمخه بخلوقه، وتارة يحليه بعقيقه، وآونة يكسوه أثواب شقيقه، فلم نزل كذلك حتى نعس طرف المصباح، واستيقظ نائم الصباح، فصنعت بديهاً فى المجلس، وكتبت بما صنعت إلى الأعز بن المؤيد - رحمه الله - أصف تلك الليلة التى ارتفعت على أيام الأعياد كارتفاع الرؤوس على الأجياد، بل فضلت على ليالى الدهر، كفضل البدر على النجوم الزهر، فقلت:

غبت عنى يا ابن المؤيد فى وق	ت شهى يلهى المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد	ران ثوبا مفضضا مرموقا
وغدا الطل فيه ينثر كافو	را فيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدى النسيم يعتنق الأغ	صان لما سرى عناقاً رفيقا
بت فيها منادماً لصديق	ظل بين الأنام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجهاً صبيحاً	ومثال النسيم ذهناً رقيقا
وغزال كالبدر وجهاً وغصن ال	بان قدا والخمرة الصرف ريقا
مظهر للعيون ردفاً مهيلاً	وحشى ناحلاً وقدار شيقا
إن تغنى سمعت داود أو لا	ح تأملت يوسف الصديقا
وإذا قابل السراج رأينا	منه بدرأ يقابل العيوقا
وأظن الصباح هام بمرأ	ه فأبدى قلباً حريقاً خفوقا

ذاك نجم ما لاح فى الجدر كافو ر بياض إلا كساه خلوقا
 ما بدا نرجس الكواكب إلا قام فى قومه يرينا الشقيقا
 وإذا ما بدت جواهرها فى الجو أبدى فى الأرض منهم عقيقا
 فغدونا تحت الدجى نتعاطى من رقيق الآداب خمرأ حيقا
 وجعلنا ريجاتنا طيب ذكرا ك فخلناه عنبرأ مفتوقا
 ذاك وقت لولا مغيبك عنه كان بالمدح والثناء خليقا

فأجاب عنها على الوزن دون الروى:

قد أتنى من الجمال قصيد يا لها من قصيدة غراء
 جمعت رقة الهواء وطيب المس لك فى سبكها وصفو الماء
 فأرتنا طباعه وشذاه والذى حاز ذهنه من ذكاء
 سيدى هل جمعت فيها اللآلى يا أخا المجد أم نجوم السماء
 أفحمتنى حسناً وحق أيادى لك التى لا تعد بالإحصاء
 فتركت الجواب والله عجزأ فابسط العذر فيه يا مولائى
 هل يسامى الثرى الثريا وأنى يبلغ النجم فرط نور ذكاء

* * *

قال على بن ظافر: وقد ضمنت هذا الكتاب البديع النظم، الغريب الاسم، ما وقع لى إلى هذا التاريخ من حكايات البدائه، وكل ما فيه من الحكايات المسجوعة فخاطرى جالب دُرّه، وحالب دَرّه، وساكب قطره، إلا ما استنبت به، وقد جاء علالة السائر، وأنس المسامر، وملهاة الساهر، ولولا ضيق الصدر بازدهام وفود الهموم، وما ران على البصيرة من تكاثف غيوم الغموم، لتكلفت مشقة الحث، وأنضيت ركائب البحث، فلا أزال فى الطلب موضعاً، حتى لا أرى للزيادة موضعاً، إلا ما تنتجه الخواطر فى الأزمان الآنفه، وتولده الفكر فى الأعصار الرادفة، وقد عقدته عقدأ لا يعقبه فسخ، ونظمتة نظماً محكمأ لا يعرفه نسخ، فمهما اطلعت عليه بعد ذلك من البدائه الواقعة فى الأزمنة الخالية، أو مما تجدد فى الأزمنة الآتية، جمعتة وجعلته كالتمته له، حتى لا أفض ختامه، ولا أفتق أكمامه، والله تعالى يوقعه عند الجنب المحمول إليه موقع الرضا عنه، والقبول له، والإقبال عليه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد زين الملاح، وعلى آله وصحبه أولى الوجوه السماح، وسلم تسليمأ كثيرأ، آمين.

فهرس المحتويات

المؤلف فى سطور	٣
مقدمة المؤلف	٥
الفصل الأول: فى اشتقاق البدئية والارتجال	٨
الفصل الثانى: فى الفرق بينهما	٨
الباب الأول: فى بدائع بدائيه الأجوبة	١١
الباب الثانى: فى بدائع بدائيه الإجازة	٤٢
الفصل الأول: فى إجازة الشاعر لمعاصره	٤٢
الباب الثالث: فى بدائع بدائيه التمليط	١١٢
الباب الرابع: فى بدائع بدائيه الاجتماع على العمل فى مقصود واحد	١٦٢
الفصل الأول: فيما وقع الاتفاق فيه	١٦٢
الفصل الثانى: فيما لم يقع فيه توارده	١٧٠
الباب الخامس: فى بقية بدائع البدائيه	١٩٥
الفصل الأول: فيما كان باقتراح مقترح	١٩٥
الفصل الثانى: فيما وقع من بدائع البدائيه من غير اقتراح	٢٢٣
الفهرس	٢٧٩

BADĀ'Ī AL-BADĀ'ĪH

(Wonders of spontaneity figures
in Arabic poetry)

by
ʿAlī ben Zāfir al-ʿAzdi

Edited by
Muṣṭafa ʿAbdul-Qādir ʿĀṭa

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon